دور الطلبة في ثورة ١٩١٩

١٩١٩ - ١٩٢٢

تأليف

د. عاصم محروس عبد المطلب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مصر النهضة

إشراف: أ. د. يونان لبيب رزق

سكرتير التحرير: خلف عبد العظيم الميري

الاخراج الفني : مراد نسيم

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

إهـــــداء

الى والدى .

اعترافا بفضلك وعظيم أبوتك ..

.. فلك الإهداء ...

تقـــديم

كان للطلبة المصريين زمام المبادأة في اشـــعال فتيل الثورة الشعبية المعروفة بثورة ١٩١٩ ، وذلك من خلال الظاهرة التى نظمها طلبة مدرسة الحقوق يوم ٩ مارس بعد سويعات قليلة من القبض على سعد زغلول ورفاقه وقرار ارسالهم الى المنفى ·

بالرغم من هذه الحقيقة الشائعة فقد استمرت الاشارة الى دور هذه الشريحة من المثقفين المصريين فى الثورة تأتى اما ضمن دراسات عن الثورة نفسها ، أو ضمن دراسات عن الحركة الوطنية بعامة ·

وما يقدمه هذا العدد من عصر النهضة يسعى الى تحقيـق أكثر من هدف :

١ ــ تخصيص دراسة لهذه الشريحة ، الأمر الذى افتقدته من قبل ، والذى تستحقه على وجه اليقين ، على ضوء الدور الذى قامت به ·

٢ ــ الجرى على مسطح زمنى لا يتوقف عند عام ١٩١٩ وانما يمتد حتى صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، وهى سنوات

ثلاث حفلت بالعمل الثورى ، واكتظت بالنشاط الطلابى داخل هذا العمل الثورى ٠

٣ ــ التحرك من الداخل الى الخارج بتقديم دراسة عن دور النشاط الطلابى فى الخارج ، فى أوربا على وجه الخصوص ، لدعم العمل الثورى فى الداخل والخارج ٠

٤ ــ الانتقال من فوق الأرض الى تحت الأرض ، أو بمعنى آخر متابعة العمل السرى للطلاب جنبا الى جنب مع العمل العلنى ، وقد كان لهؤلاء دور كبير فى هذا النمط من العمل الوطنى ٠

وليس من شك فى أن تحقيق كل هذه الأهداف يستحق افراد عدد من « مصر النهضـــة » هو العـــدد الذى بين يديك عزيزى القارىء ٠

والله وراء القصد ؟

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

تمهيد

ترجع أهمية الطلبة فى مصر الى أنهم يمثلون القوى المثقفة المعبرة عن آمالهم ومصالحهم بالنسبة للسواد الأعظم من السكان الذين تتفشى بينهم الأمية ، كما انهم كانوا أكثر القوى الشعبية تنظيما وأدراكا ومن ثم كان أثرهم الواضح فى الحركة الوطنية بل تصدروا لقيادتها فى فترات من تاريخ مصـــــر ·· وتبدو هذه الأهمية الى ما حاولته التنظيمات الســـياسية المختلفة من احتواء للحركة الطلابية ·· لذلك فان دراسة الطلبة كقوى شعبية خالصة ومالهم من دور فى المسيرة الوطنية له من الأهمية بمكان بالنسبة لتاريخ مصر لاسيما بعد الدراسات التى تناولت العمال وغيرهم ·

وقطاع الطلبة هو أحد الاجنحة الرئيسية للمثقفين المصريين بل هو اقواها وبلا شك فان مايؤثر على المثقفين بخصوص سياسة التوظف أو الأجور أو السياسة التعليمية للاحتلال هى أمور حيوية ومصيرية بالنسبة للطلبة باعتبارها أمورا متعلقة بحياتهم ومصيرهم وليس معنى ذلك أن هذه العوامل فحسب والخاصة بالمثقفين كانت محركا لهم فى دورهم الوطني ولكن الطلاب كانوا أكثر قوى البرجوازية حساسية وشفافية بالقضية الوطنية المصرية ، لدرجة أن الطلاب

كانوا يتناسون أهدافهم الخاصة أمام الاهداف الوطنية فى الثورات المصرية وقاموا بدورهم الطليعى والمؤثر فى هذه الثورات بشكل واضح وظاهر ·

ان الحركة الطلابية فى مصر فى مجالها الوطنى لم تكن حركة ذيلية أو تابعة بل كانت طليعية وفى المقدمة بصفة أساسية للحركات الوطنية المصرية ، فكان لهم الشخصية المستقلة ولم يكونوا مدفوعين فيها أو اليها بل ان حركة الطلبة فى مارس ١٩١٩ وهى التى أشعلت الثورة كانت بدون توجيه من الوفد بل على عكس نصيحته ·

وكان أسلوب كفاح الطلبة فى الحركة الوطنية المصرية متعدد الجوانب متنوع الأسلوب فقد استخدموا كافة أســاليب العمـل الجماهيرى وآزروا المشاريع الاقتصادية الوطنية ، كما لجأوا الى العمل السرى ، كما شارك فى الكفاح الوطنى جمعيات الطلبة فى الخارج التى كان اتجاهها السياسى والوطنى فى الغالب نتيجة مباشرة لجهود الحزب الوطنى واهتمامه بحركة الطلاب وعندما ضعف الحزب الوطنى أخذ نشاط هذه الجمعيات فى الذبول حتى كانت ثورة ١٩١٩ فتجاوب معها هؤلاء الطلاب ·

وكانت بداية التحرك الوطنى الطلابى فى مطلع القرن العشرين فكانت مجلة المدرسة عام ١٨٩٣ أول مجلة مدرسية عرفتها الحركة الطلابية وكانت تنشر الروح الوطنية من خلال الأدب والشــعر وتوالى ظهور الجمعيات بين طلبة المدارس العليا وبتأسيس نادى المدارس العليا عام ١٩٠٦ كانت الانطلاقة للحركة الطلابية فى أداء دورها الوطنى الذى استمر حتى قيام ثورة مارس ١٩١٩ ·

وفى نطاق العمل السرى شكل الطلاب جمعيات للعمل الوطنى وهددت الخديو عباس فى ١٤ نوفمبر ١٩٠٨ وعلى أيدى احدى

هذه الجمعيات كان اغتيال بطرس غالى ١٩١٠ وفى عام ١٩١٤ كانت محاولة اطلاق النار على الخديو عبـــاس حلمـــى الثانى بالاستانة وكذلك محاولات اغتيال السلطان حســـين كامل فى ٨ أبريل ١٩١٥ و ٩ مايو ١٩١٥ تعبيرا عن رفضهم للحماية البريطانية على مصر كما ساهمت جمعيات الطلبة المصـــريين فى فرنسـا ، انجلترا ، ايطاليا ، سويسرا ، بلجيكا وغيرها بدور كبير فى خدمة القضية المصرية بطريق الكتابة فى الصحف أو اقامة المؤتمرات والمشاركة فيها والتى كان يعقدها مصطفى كامل ومحمد فريد أو ارسال البرقيات الوطنية لكبار ساسة العالم أو بالمؤتمرات الصحفية لتعريف الصحافة الأجنبية جوانب القضية المصرية ٠

وهكذا عندما تنفجر ثورة ١٩١٩ كان الطلبة مهيئين تماما لبذل كل مجهود فى سبيل القضية المصرية وفى نطاق هذه المحاور الثلاثة ٠

وأخيرا فان هذه الدراسة لاتهتم بالأحداث التاريخية ، فلسفتها وأسبابها ومادار حولها من آراء الا بقدر مايساعد على توضيح دور الطلبة فى الحركة الوطنية المصرية ٠

الفصـــل الأول

ثـــورة مـــارس ١٩١٩

- القبض على سعد زغلول
- بداية التحرك الثورى
- احداث الثـــــورة
- الثورة فى الأقاليـــم
- اللنبى والثـــورة

لما كان موضوع الدراسة قاصرا على دراسة دور الطلبة في الحركة الوطنية المصرية فلن تتعرض الدراسة للاحداث التاريخية أو تحليلها الا بالقدر الذى يوضح ويبرز هذا الدور ·

القبض على سعد :

تطلع الشعب المصرى لنيل حريته بينما كان الاحتلال يوطد أركانه وأقدامه فى مصر ، ورغم تصـــريحاته ووعوده بالجلاء ، فبريطانيا تفرض الحماية على مصر وتعلن الاحكـام العرفيـة ، وتفرض الرقابة على الصحف وتعطل الجمعية التشريعية ، فضلا عما لاقاه المصريون فى فترة الحرب من سخرة ومصادرة لأرزاق الناس وحاصلاتهم ، وسيطرة تامة على كل صغيرة وكبيرة فى مصر فى مجال السياسة والاقتصاد وغيرها من نواحى الحياة ، مما أدى الى تذمر الشعب(١) · فالى جانب استياء المثقفين كما سبق الاشارة الى ذلك ، يشير ملنر فى تقريره أن التحكم فى أسعار القطن أدى الى تذمر الفلاح ، لأنه حرم نتيجة لذلك مزية المزاحمة فى الأسواق الأجنبية ، مع ازدياد ايجار أطيانه ومصادرة حبوبه وحيواناتـه اثناء الحرب(٢) · كما أن الحكومة ثبتت مركز البنك الأهلى بمرسوم

٢ أغسطس ١٩١٤ فالمادة الأولى من المرسوم تنص على أن « أوراق البنكنوت الصادرة من البنك الأهلى المصرى تكون لها نفس القيمة الفعلية التى للنقود الذهبية المتداولة رسميا فى القطر المصرى » . وسمح للبنك بارسال رصيده الذهبى الى لندن وأعفى من الغطاء الذهبى لأوراقه النقدية ، وكان لهذا أثره السيىء على الاقتصاد المصرى ، وارتفعت الأسعار مما شكل عبئا ثقيلا على الطبقات المتوسطة والفقيرة ، ومنح الموظفون علاوة غلاء ولكن ارتفاع الأسعار فاق هذه الزيادة فقد ارتفعت أسعار السكة الحديد مثلا ١٠٠٪ (٣) . وطرد الكثيرون من أعمالهم وتطلعت الجماهير الى الخبز(٤) .

ثم كانت مبادىء الرئيس ولسن ، واعترفت بريطانيا وفرنسا بهذه المبادىء فى تصريحهما فى أوائل نوفمبر ١٩١٨ فقد تضمن التصريح أن « بريطانيا العظمى وفرنسا تنويان تحرير الشعوب التى انقذت من الظلم العثمانى تحريرا تاما ، وأن تنشىء لهم حكومات وطنية تستمد سلطتها من السنن التى يسنونها من تلقاء أنفسهم .. » وان كان ذلك خاصا بسوريا والعراق لكن المعتمد البريطانى السير ريجنلد ونجت أبان بأن هذه السياسة سيكون لها صدى فى مصر وزد على هذا أن المصريين كانوا قد شاهدوا قبل ذلك بقليل «انشاء مملكة مستقلة فى بلاد العرب التى لايزالون يعدونها متأخرة بمراحل فى الحضارة والارتقاء عن بلادهم التى تضارع بلاد الغربيين بعض المضارعة»(٥) .

وفى نفس الوقت كان لاذاعة مشروع السير وليم برنيات الذى كان يهدف الى الاصلاح الدستورى فى أوائل ١٩١٨ ، أثر سيىء فى نفوس المصريين لأنه باختصار يمنح الجمعية التشريعية سلطة

استشارية ، ويعهد بالسلطة التشريعية لمجلس الشيوخ حيث يضمن الأغلبية للاعضاء الذين تعينهم الحكومة والأعضاء الأجانب(٦) ٠

ولسنا بصدد دراسة أسباب الثورة فهى كثيرة ومتشعبة وباختصار ماكادت الحرب تضع أوزارها فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ حتى تطلعت الشعوب المغلوبة المستعمرة طبقا لمبادىء الحرية وتقرير المصير الى نيل استقلالها ، وكان الشعب المصرى من اوائل الشعوب التى بدأ رجال الساسة والفكر فى الاستعداد للمطالبة بالاستقلال ، منذ ظهرت بشائر السلام فى الافق ، وكان ثمرة هذا البحث والاستعداد ، تاليف « الوفد المصرى » الذى ظل يمثل العمود الفقرى فى الحياة السياسية المصرية لمدة تزيد على ثلاثين عاما(٧) ٠

وقابل الوفد ـ سعد زغلول ، عبد العزيز فهمى ، على شعراوى وكلهم اعضاء بالجمعيه التشريعيه ـ المعتمد البريطانى بناء على تحديد سابق فى ١٢ نوفمبر ١٩١٨ وعرضوا المطالب المصريه ، كالغاء الاحكام العرفيه ومراقبة الصحف والمطبوعات والاستقلال الذى أكد له سعد عندما تساءل ونجت قائلا « نعم ونحن له اهل ٠ وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الامم المستقلة » ، وان شروط الاستقلال متوفرة فى مصر كما ذكر عبد العزيز فهمى وفى اخر اللقاء قال سعد « نحن نعترف الان ان انجلترا اقوى دوله فى العالم واوسعها حرية وانا نعترف لها بالاعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر فنطلب باسم هذه المبادىء ان تجعلنا اصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر ٠ وانا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصا لهذه الدولة العظيمة وعند الاقتضاء نسافر للتكلم فى شانها مع ولاة الامور فى انجلترا ، ولانلتجىء هنا لسواك ولافى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية ، ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر مطلعا على احوالها أن تساعدنا للحصول على هذه المطالب » ٠ وكان رد ونجت

بأنه يعتبر هذه المقابلة غير رسمية ، وأنه لايعرف وجهة نظر الحكومة البريطانية فى هذا الصدد وتمنى لهم الخير فشكروه على حسن المقابلة(٨) ٠

وبدون التطرق الى تفسير الحديث السابق فانه فى نفس اليوم زار ونجت رشدى باشا وبناء على اتفاق سابق مع سعد وطلب سفره وعدلى للمناقشة فى شئون مصر وقال « ان السلطان موافق على ذلك تمام الموافقة ، وان مؤتمر الصلح سيوافق على الحماية رسميا وعليه لايمكن ترك ماهيتها وكنهها بلا تعريف وتحديد ، فقد كان لمصر تحت السيادة العثمانية حقوق معلومة وهو وزميله يريدان أن يعلما ما هى حقوقها على بريطانيا العظمى تحت حمايتها » ٠ ودار النقاش حول مقابلة سعد وأبدى ونجت دهشته من تحدثه وزميليه باسم الأمة واجابه رشدى بأن لهم هذه الصفة باعتبار ان سعدا وكيل الجمعية التشريعية وزميليه عضوان فيها(٩) ٠

واعتذر المندوب السامى أيضا بعدم امكانية سفر الوزيرين وقال ان وزير الخارجية والوزراء الآخرين سيكونون خارج لندن ومشغولين بمؤتمر الصلح ، ولن يكون فى مقدورهم أن يخصصوا انتباههم فى موضوع الاصلاح الداخلى لمصر(١٠) ٠ وكان موقف الوطنيين قويا لدرجة أن الوزراء وافقوا على السفر ، اذا سمح لزغلول ورفاقه ، ولما كان ذلك محظورا فلم يكن أمامهم الا الاستقالة ، وسافر المندوب السامى الى لندن ليقدم تقريرا عن الموقف(١١) ٠

فلقد أدرك رشدى الخطورة التى تحيط به فلقد امتلك زغلول سمع مصر واذا سافر هو الى لندن بينما ظل زغلول بمصر فمهما حصل عليه فانه سيقابل عند عودته بالرفض وسيحطم تماما فأصر على عدم السفر الى لندن الا اذا سافر سعد أيضا وشارك فى المسئولية معه(١٢) ٠

ولما علم سعد بذلك من رشدى عمل على تكوين هيئة اسماها الوفد المصرى من سعد زغلول رئيسا ، على شعرواى ، عبد العزيز فهمى ، محمد محمود ، أحمد لطفى السيد ، عبد اللطيف المكباتى ، محمد على علوبة أعضاء ليسعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلا فى سبيل استقلال مصر استقلالا تاما ، وأن الوفد يستمد قوته من رغبة أهالى مصر وآمالهم وله أن يضم اليه أعضاء آخرين(١٣) ٠

وكانت صيغة التوكيل التى وضعها الوفد تنص على « ان يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب » ٠ وبعد تدخل رجال الحزب الوطنى عدلت الصيغة الى « نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات ٠٠ وأن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما »(١٤) ٠

ولقد شارك الطلبة فى عملية تعديل التوكيل « وكنت حينئذ طالبا بالمدرسة الخديوية الثانوية فتوجهت الى دار سعد زغلول مع بقية مندوبى المدارس نطالب بتغيير هذه الصيغة وحذف اسم بريطانيا ، وفعلا نزل الوفد على ارادة الشعب وحذف اسم بريطانيا من التوكيل »(١٥) ٠

ولقد أراد سعد بجمع التوكيلات ان يقوى قيادته ، ويؤكد بأن الوفد هو الممثل الشرعى للأمة المصرية والمفاوض الوحيد فى المستقبل(١٦) ٠ فقبل عملية التوكيل التى قام بها بالدرجة الأولى الطلبة الشبان المنتمون لنادى المدارس العليا المنحل ، كان الوفد مجرد تنظيم من القادة ، وليس له صلة تنظيمية بالشعب ولكن هذه

العملية أدت الى تقوية الوفد المصرى ، كما أوجدت شعورا سياسيا بين الناس ، فانتشار الطلبة على مستوى القطر لجمع التوكيـــلات أوجد يقظة عريضة وادخلت كثيرا من المصريين فى الحركة(١٧) ٠

وكتب ونجت للورد هاردنج وكيل وزارة الخـــارجية فى ١٣ ديسمبر ١٩١٨ عن عملية جمع التوكيلات وجاء فى خطابه « ٠٠ ولم يستحسن محمد سعيد الدعاية فى المديريات ، وقال اونجت بصـفة سرية حسبما سمع من ابنه وكان طالبا فى مدرسة الصنايع والفنون ان هناك دعاية شاملة فى معظم المدارس على نطاق القطر ، ونتيجة لذلك أصدر ونجت تعليماته للسلطات المختصة لايقاف هذه الدعاية فى الحال »(١٨) ٠

واحتج سعد لدى رشدى باشا ضد تدخـــل وزارة الداخليـة فأوضح رئيس الوزراء أنه غير مسئول وحتى فى ظل القوانين العرفية فان مثل هذا العمل مسموح به(١٩) ، وأراد من ناحية أخرى اثبـات انه فهو يقوم مقام التوكيل فقام بالاتفاق مع رشدى بتقديم احتجاج كتابى على عملية المنع ورد عليه وزير الداخلية « اجابة الى كتابيكم المؤرخين فى ٢٣،٢٤ الجارى (نوفمبر) أتشرف باحاطتكم علما بأنه ان كانت قد صدرت أوامر من جانب مستشار الداخلية لمنع امضاء التوكيلاتالمشار اليها فى كتابيكم المذكورين ، فان كان ذلك لأن القطر لايزال تحت الأحكام العرفية ولأن مثل هذه التوكيلات قد اعتبرت مما يدعو الى الاخلال بالنظام العام » ، وكان ذلك اعترافا بمنع عملية التوكيلات وهى من أبسط مظاهر التعبير عن الرأى(٢٠) ٠

وتمر الحوادث ويطلب الوفد الاذن بالسفر للندن فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ وردت السلطة العسكرية بأنه سينظر فى طلبه فى اقرب وقت فلما أبطأت أرسل اليها مرة أخرى فى ٢٨ نوفمبر فردت فى اليوم

التالى بأنه « قد عرضت صعوبات تمنع من اجابته الى طلبه فى الوقت الحاضر ، ومتى زالت تلك الصعوبات تبادر باعطـــائه وصـــحبه الجوازات التى يطلبونها » ، فرد سعد فى اليوم التالـــى بأنه من الضرورى تواجده والوفد قبل نهاية ديسمبر ، وختم رده بقوله « انا معتمدون كثيرا على تقاليد بريطانيا العظمى التى مازالت تقدم للعالم كثيرامن الأمثلة على تمسكها بمبادىء الحرية الشخصية اعتمادا يجعل لنا ثقة فى أن طلب التصريح لنا بالسفر سيفصل فيه عاجلا ٠٠» ورفض السفر وطلب بأن تقدم أية اقتراحات مطلوبة كتابة بخصوص كيفية الحكم فى مصر ، واحتج الوفد وأصدر بيانا لمعتمدى الدول الأجنبية بمطالب الأمة(٢١) ٠

وتتطور الأحداث بسرعة ، ولاشك ان السلطات البريطانية فى مصر لايمكن اعفاؤها من اللوم ، فلم يكن واضحا حتى النهاية ان الأمر خطير ، وان المندوب السامى فى نصيحته الى حكومته لم يؤكد عليها أو يعطها القوة أو الاصرار الذى يجعل الحكومة تسمع هذه النصيحة ، بل ولم يصاحبها وصف للخطر المتوقع ، فمن الواضح أن السلطات سواء المدنية أو العسكرية فى مصر لم تتحقق من خطورة الموقف . فحتى آخر لحظة فانهم كانوا يبرقون بأنه ليس هناك خطر حقيقى ، ولم يتخذوا الاحتياطات لمواجهة الموقف ٠ وقبل بدايـــة الاضطرابات فى مارس بأسبوعين فقد أبرق السيرملن شيتام Miln Cheetham القائم بأعمال المندوب السامى الى اللورد كيرزن بأن عدلى ورشدى قد فقدا أى شعبية ترتبت على استقالتهما وأن سعدا لم يعد يثق فيه أحد وأن البلاد هادئة(٢٢) ٠

وكانت الأيام الأولى من مارس فى مصر تغلى بالقلق وأخذت السلطات البريطانية تخشى من الاثارة التى يحدثها حزب الاستقلال وفي ٣ مارس التقي زغلول بالسلطان فؤاد وقدم اليه مذكرة شكلت

عائقا لمحاولة حاكم مصر في تشكيل حكومة جديدة ، ورأى السير ملن شيتام ان هذه الخطوة من جانب الوفد دليل على أن سعد قد نشر قلاعه للريح ، وخشى ان يلجأ الى مزيد من أعمال العنف فلم يضيع الوقت في التوصية بنفي سعد الى مالطة ، ووافقه وزير الخارجية على ذلك(٢٣) . وفي ٦ مارس استدعى الجنرال واطسن القائد العام في مصر هيئة الوفد الى مقر القيادة وحذرهم من أن نشاطهم ضد الحماية سيعرضهم لقانون الأحكام العرفية وأنهى تحذيره بقوله « لامناقشة » واحتج الوفد على ذلك ببرقية الى رئيس الحكومة البريطانية على هذا الانذار ، وأكد مطالبته بالاستقلال وعدم مشروعية الحماية . ويبدو أن السلطات العسكرية اقتنعت بأن بقاء النظام واحتفاظها بالسلطة العليا يقتضى ايقاف نشاط الوفد ، وفي ٨ مارس ١٩١٩ قبضوا على سعد زغلول ، واسماعيل صدقى ومحمد محمود وحمد الباسل ونفوهم الى مالطة واحتج بقية أعضاء الوفد على ذلك في رسالة للسلطان وفي برقية لرئيس الوزراء البريطاني(٢٤) .

بداية التحرك الثوري

كان القبض على سعد وزملائه كالشرارة التي تلقى في مستودع البارود ، فالمشاعر ملتهبة والنفوس متحفزة للثورة ، فأعمال السلطة العسكرية الانجليزية أثناء الحرب وبعدها والمعاملة القاسية لأعضاء الوفد ، وهم صفوة رجال الأمة يضاف الى ذلك القبض على سعد وهو زعيم الأمة ومعقد آمالها الذى برهنت على عظيم تقديرها له وحبها اياه .. كل ذلك لم يبق في قوس صبر الأمة منزعا فهبت آحادا وجماعات في جميع انحاء البلاد تعلن مشيئتها وأكبر الظن ان الحكومة الانجليزية لو كانت قد عرفت نفسية الأمة المصرية لما سلكت هذا المسلك ولما أقدمت على اعتصابها بالوقوف في وجه امانيها

الأولى ، ثم القبض على زعمائها بل عملت من أول الأمر على اجابة مطالبها ولكنها أساءت فهم نفسيتها فأساءت التصرف وكان ذلك لخير أراده الله بالأمة المصرية(٢٥) ٠

ولاشك أن منع الوفد من السفر كان تصرفا أحمق ، فلقد سافر من العرب فيصل فماذا فعل ؟ لاشىء ، فلو تركوا الوفد وسافر لكان لمؤتمر الصلح أو الحكومة البريطانية أبواب يملكن غلقها فى وجهه متى شاءوا(٢٦) ٠ ويمكن القول بأن المظاهرات الأولى ليست هى سبب الثورة الوحيد ، فكانت الأمة تغلى كالبركان وفى حاجة الى فتيل الاشعال ، وأن الثورة فى انتشارها السريع يدل على عمق مكانتها وتأجج وقودها ، وأنها هى السبب فى المظاهرات وليست نتيجة هذه المظاهرات ، فما شاع خبر اطلاق الرصاص واعتقال الطلبة والشباب حتى عم الغضب أرجاء مصر وكان ظهوره على نمط واحد فى جميع البلاد بغير تدبير أو تخطيط سابق(٢٧) ٠

ويمكن تقسيم ثورة ١٩١٩ الى مرحلتين :

الاولى : فى مارس وهى الثورة العنيفة على أثر نفى سعد وزملائه الى مالطة وهى مرحلة قصيرة قاومتها السلطة العسكرية بكل عنف ، وهى تتميز باشتراك الفلاحين فيها اشتراكا فعليا ، وقيام الحكومات الوطنية المستقلة مثل زفتى والمنيا ٠٠ الخ وهى المرحلة التى كان يمكن أن تتطور ثورة ١٩١٩ من ثورة سياسية الى ثورة اجتماعية ٠

الثانية : تبدأ من حوالى ابريل ١٩١٩ وهى مرحلة طويلة الأجل تتميز بخروج الفلاحين من العمل الثورى الايجابى ، وانحصرت الثورة فى القاهرة والمدن ولعبت فيها أهالى المدن بجميع طوائفها ،

من طلبة ، وموظفين ، ومحامين ، وعمال الدور الرئيسي وهي مرحلة الكفاح السلمى(٢٨) ٠

وفى كلتا المرحلتين كان للطلبة الدور البارز والأساسى فالطلبةأول من فجروا الثورة بمظاهراتهم فيمارس ١٩١٩ ، فكان لهـــم فضل المبادرة واستمروا فى الثورة حتى نهايتها فلم يتخلفوا قط(٢٩) ٠ فلم يبق بالمسرح السياسى ١٩١٩ بعد خروج الفلاحين والعمال سوى الطلبة كقوة لها وزنها ، أما الموظفون فكان دخولهم فى الثورة متأخرا كما أن ثورتهم كانت محدودة ، فالاضراب الثانى انتهى بمجرد انذار اللنبى لهم بالفصل فعادوا ولم يضربوا بعد ذلك لما أغدقه محمد سعيد فى وزارته الرابعة بعد وزارة رشـــدى على الموظفين من علاوات ودرجات ، كما أن اضراب الموظفين كان بعد تسلمهم مرتباتهم(٣٠) ٠

ولقد تعرض دور الطلبة للتحريف فمثلا ويفل فى كتابه يقول ان الزعماء الشعبيين لاسيما سعد زغلول استغل « الطلبة كسـلاح سياسى فبات من السهل تهييجهم بقليل من الخطب الملتهبة ، وبالطبع ألفى هؤلاء مظاهرات الشوارع أكثر تسلية من ذلك الروتين التعليمى الثقيل ، وأضحت الاضرابات المدرسية أمرا مألوفا تبعث عليه أتفه المناسبات ، فيكفى أن يلقى فى لندن أحد الوزراء البريطانيين خطبة لاترضى التلاميذ حتى يترك هؤلاء مقاعدهم مندفعين الى الطرقات فى مظاهرات ذات ضوضاء وعجيج ، وأصبحت مناســبات بعض الحوادث من سنة ١٩١٨ الى سنوات عدة « الحجة » التى يهملون بها واجباتهم ويفضلون بموجبها الفوضى وبات التعليم والطاعة غير معروفين لنسبة كبيرة من التلاميذ المصريين »(٣١) ٠

وليس هناك شك فى أن ذلك مغالاة فى التحريف لدور الطلبة فلم يكونوا منتهزين لاية مناسبة لاغلاق مدارســهم والتظـــاهر فى

الشوارع . كما أن الحركة الطلابية بصفة عامة فى دورها الوطنى كانت بعيدة عن استغلال الزعماء بوعى للطلاب فقد كان الطلبة هم الذين أطلقوا الشرارة الأولى لهذه الثورة بل وهم الذين فجروها عند باقى عناصر الأمة(٣٢) ، فكانوا كما قال سعد نفسه لهم فضل المبادرة فهم أول من هبوا فى ٩ مارس يعلنونها ثورة حمراء واستمروا فى المعركة حتى نهايتها فلم يتخلفوا قط فنظموا المظاهرات المتعددة التى واجهت القوات البريطانية المسلحة فأخذوا يجوبون شـــوارع القاهرة ولم تستطع مدافع « رسل » ايقافهم رغم سـقوط القتلى من الطلبة(٣٣) . ولايستطيع مؤرخ الا أن يسجل أنه فى معظم مديريات مصر كان الطلاب هم طليعة الثورة فى بور سعيد والبحيرة والمنوفية والغربية وفى زفتى بالذات قام طلبتها باعلان الاستقلال وانزال علم الدولة ورفع علم وطنى آخر ، وسيطرت على المدينة لجنة وطنية قامت بادراة أمور المدينة ، وكانت مظاهرات البنادر الأخرى ومعظم القرى راجعة الى عودة الطلاب اليها بعد اغلاق المدارس الاميرية والعالية وقيامهم بنشر الوعى القومى بينهم(٣٤) . فلم تخل قرية واحدة أو مدينة ممن اشتركت فى الكفاح ضد الاستعمار ، من لجان قيادية مكونة أساسا من بعض الأعيان والمثقفين محامين وطلبة ، وهى التى كانت تعد العدة لقطع السكك الحديدية وتنظم وســـائل المقاومة(٣٥) . ومن الطلبة كان الخطبـــاء فى كل ركن من أركان الشوارع يصعد منهم فوق كراسى المقاهى ، ويدعون بأصـــواتهم وحناجرهم وايماءاتهم الحماسية الى الاســـتقلال التـام أو الموت الزؤام(٣٦) ، حتى عندما وصلت موجة الاضراب الى عمال النظافة وامتنع الكناسون عن ممارسة عملهم عدة أيام مشاركة منهم فى اظهار وحدة الشعب ، قام الطلبة مع غيرهم بتنبيه ربات البيوت والسكان الى واجب كل منهم فى أداء النظافة بنفسه فى الحيز الذى يسكنه(٣٧) .

ولقد نظم الطلبة أنفسهم فى لجان لتنظيم اعمالهم وتحركاتهم فى الثورة وكانت هذه اللجان تعمل بوحى من شعورها الخاص فى المراحل الأولى للثورة قبل أن تنضوى تحت لواء الوفد ، وليس أدل على ضخامة حركة الطلبة ، من أن عدد المعتقلين منهم عقب مظاهرة اليوم الأول بلغ ثلثمائة طالب ، بل وبلغ عدد المعتقلين من طلبة المعهد الدينى بالاسكندرية ٤١٥ طالبا(٣٨) .

وفى جميع مراحل الثورة قام الطلبة بواجبهم كاملا ، واعتمدت عليهم قيادة الوفد البرجوازية فى كثير من الأعمال ، فالى جانب المظاهرات قام الطلبة بدور البوليس الوطنى لحفظ النظام أثناء المظاهرات والاجتماعات ، وتوزيع المنشورات وتنظيم وسائل المقاومة ، وهو عمل ايجابى على مقياس واسع وكبير ، فلقد ساهموا فى الحركة الوطنية بدور كبير وفعال له أثره فى تدعيم مركزهم وتشجيعهم على مواصلة الاشتراك فى الحياة العامة ، وبخاصة فى ذلك الصراع الذى لازم الحركة الوطنية(٣٩) .

ويؤكد عبد الرحمن فهمى أحد قادة ثورة ١٩١٩ والذى تحمل عبئا كبيرا فيها بعد نفى سعد وسفره الى باريس والأكثر اتصالا بالطلبة وتنظيماتهم عن روح التضحية الكبيرة والتضامن لدى الطلاب ، فيقول فى مذكراته ان رجال الشرطة قبضوا فى احدى المظاهرات بحى السيدة زينب على عدد من الطلبة وساقوهم الى السجن فى هذا القسم ، وبدلا من أن يفر باقى الطلبة خشية أن يقبض عليهم،تقدمت جموعهم طالبة أن يقبض عليهم كلهم لأنهم مشتركون مع زملائهم فى الجريمة « ان كانت هناك جريمة لأنهم لايحبون أن يختص بعضهم بشرف التضحية والألم فى سبيل الوطن دون البعض الأخر .. »(٤٠) . وماكان أروع من رؤية الطلبة يقابلون الرصاص بصدورهم واذا سقط رافع العلم فى مقدمة الموكب جريحا أو قتيلا

تقدم غيره ويرفع العلم بدل الجريح أو القتيل ومناديا بحياة الوطن ، فيردد وراءه الجميع النداء فى قوة وحماس(٤١) وكان هناك نظرة استخفاف بالجنود الانجليزية رغم أن الطلبة كانوا عزلا من السلاح، فكانت أفئدتهم تزخر بتلك الآية الخالدة لشاعر الشرق طاغور « أن جيوش الامبراطورية الانجليزية وأساطيلها التى كان لايغيب عنهـا الشمس فى البر والبحر لاتهز شعرة من رأسى » ، وهو ماكان شعور الطلبة ، فكانوا يستقبلون رصـــاص الانجليز كأنه رذاذ من الملبس وقطع الحلوى تصوب اليهم(٤٢) · وبوجه عام كان الطلبة هم قواد الثورة بحق ، ليس بخطابتهم التى الهبت نفوس الثائرين ، ولكنهم كانوا أيضا الشعلة التى تضىء ، فكانوا حملة الاعـــلام وقـــادة المظاهرات ، وانفتحت امامهم أبواب السجون والمعتقلات ومن بينهم كان كثير من الضحايا الذين استبسلوا واستشهدوا(٤٣) ·

لقد جذب هذا العمل الكبير الذى قام به الطلبة أثناء الثورة ، أنظار قيادة الوفد خصوصا سعد زغلول الذى لمس فيهم قوة فتية يمكن الاعتماد عليها فى كفاحه المقبل ، ولفت سعد نظر مساعديه سنة ١٩٢٠ الى هذه الحقيقة ، ناصحا لهم بالاعتماد على الطلبة ، فان « الطلبة قوة لايجب التغاضى عنها ·· » ، وبدأ سعد الاهتمام بهم وأخذ يعمل على ربطهم بعجلة الحزب ، ولقى ذلك قبولا لـــدى الطلبـــة وهذا أمر طبيعى فالوفد يمثـــل البرجوازية ، وكان الطلبة المثقفون أحد عناصر هذه البرجوازية وأقرب اليها من أية طائفة أخرى ، وبناء على ذلك أخذ سعد ينظم صفوفهم ، فكان يسمح للجنتهم التنفيذية المتولية قيادتهم أن تجتمع فى بدروم بيت الأمة ، لتكون القيادة الطلابية قريبة من قيادة الوفد ، وعلى اتصال مستمر بهـــا لتصدر لها الأوامر وتوزعها على الطلبة فى أنحاء القطر ، ثم خصص لهم سعد مقعدا في مجلس النواب وجعله وقفا عليهم واختار لهذا

المقعد زعيم الطلبة وقتذاك حسن يس ، فرشحه الوفد ونجح بفضل هذا الترشيح فى أول مجلس نيابى فى مصر وظل الوفد يرشحه فى كل انتخاب رمزا الى تلك الفكرة التى كان يقدسها سعد ويرددها لمن حوله ·· « أنه لم يكن يعرف السيد حسن يس ولا هو اتصل به فى عمل من قريب أو بعيد ، ولكنه يعلم أنه زعيم الطلبة فى عهد الثورة ، ولذلك اختاره ليمثل الطلبة فى أول بناء استقلالى حصلت عليه البلاد» حتى يكون فى هذا التقرير الرسمى اعتراف جميل بما كان للطلبة من تضحية وجهاد(٤٤) ·

ومن هذا الدور الكبير الممتد للطلبة فى أثنــــاء ثورة ١٩١٩ والصدى الواسع وانتشار الثورة بين جماهير الشعب فشملت بعد يومين العمال والتجار وســـائقى الترام وغيرهم ، ويمكن بذلك أن نستخلص عدة حقائق :

الأولى : أن الحركة الطلابية قد اكتسبت شرعيتها الجماهيرية بهذا التأييد الشعبى الجارف وأصبحت حركة عامة فرضت نفســها وشرعت وجودها ·

الثانية : أن شمول الحركة التى فجرها الطلاب لكل طبقات الشعب قد أصاب السلطة العسكرية للاحتلال بالذعر ، الأمر الذى جعلهم يتدخلون بعنف لقمع الحركة ، ويصدرون الأوامر والانذارات والتهديدات لمن يحاول مخالفة دعوتهم بمنع التظاهر والتجمع(٤٥) ·

وهنا أحب أن أشير الى ملاحظتين :

الملاحظة الأولى :

أنــه اذا كنــا نشــير الى الطلبة بصـــفة عامة فــان هذا لايعنى أن الطلبة هنا طلبة المدارس العليا والثــانوية والابتدائيــة وغيرها من المدارس الأميرية والخاصة بما فيهم الطالبات فقط ، انما

يشمل هذا المعنى أيضا طلبة الأزهر والمعاهد الدينية وهو أمر لايمكن انكاره أو تجاهله فى دور الطلبة فى الحركة الوطنية المصرية .

والأزهريون هم طلبة جامعة الأزهر وكانوا قبل الحرب حوالى ٢٠ ألف طالب من أقطار العالم الاسلامى ، ولكن انخفض هذا العدد الى ٨ أو ١٠ آلاف سنة ١٩١٩ ، لصعوبة السفر من الأماكن البعيدة كالهند وأصبح فى معظمه من المصريين ، وكان كل فلاح مصرى يحاول أن يكون له ابن بالأزهر لأن ذلك يعفيه من الخدمة العسكرية فضلا عن حصوله على الجراية(٤٦)، وهو أمر له أهميته فى انتشار الثورة فى ريف مصر بعد عودتهم الى بلادهم اثناء تعطيل الدراسة ، ولقد قام الأزهر بدوره كاملا فى هذه الثورة وكما حدث أثناء الحملة الفرنسية أصبح الأزهر معقل الثورة ومركز اشعاعها(٤٧) .

فكان لعلمائه وطلابه شأن كبير فى قيادة الحركة وتغذيتها واذكاء نارها ، بل ان الأزهر كان مكانا للتدبير والتنظيم للثورة وميدانا للخطابة . ولقد أدركت الأمة المصرية من وقت هذه الحركة أن الأزهر لايزال نبراس الهدى والحرية ومعقل الوطنية والقومية(٤٨) فاذا كانت أول مظاهرة قد خرجت من مدرسة الحقوق،فان الاستجابة التى لاقتها الحركة من طلبة الأزهر جديرة بالاشارة اليها فقد أصبح الأزهر فى الايام التالية مركزا للتجمعات الطلابية ، وأصبح طلبتها الطليعة التى تحث الجماهير على التجمع والتآخى من خلال خطبهم وقصائدهم ونتيجة لذلك،تسابقت كل طبقات الشعب الى الأزهر(٤٩) .

ويؤكد عبد الرحمن فهمى هذا الدور الذى لعبه الأزهر فيقول ، « لقد كان طلبة الأزهر على الدوام فى مقدمة الصفوف فى المظاهرات، وكانوا أكثر الطلبة جرأة وحماسة وكانوا من أكثر العاملين على بث الروح الوطنية وحركة الاضراب فى طبقات الشعب المختلفة ، وقد

كانوا لذلك من أكثر الطبقات تضحية فى سبيل القضية المصرية » ويستطرد فى ذكر بطولة الأزهريين بأن الانجليز قاموا بحصار الازهر ليمنعوا خروج طلابه ولايقاع الفشل والرعب فى صفوفهم ، وكان الجند الانجليز مسلحين بالسلاح وبالمدافع الرشاشة ، ورغم ذلك لم يهن الطلبة ودفعت الحماسة أحدهم فهجم على أحـــد المدافـــع واختطفه من أيدى الجند وسار به نحو زملائه عند أبواب المسجد ، ولكن الجند أدركوه واستردوه منه،ويعلق عبد الرحمن فهمى على ذلك بقوله « ·· تلك جرأة منقطعة النظير ·· » ، واستمرت الخطب النارية والقصائد الحماسية تلقـــى من فوق منبره يســـتمع اليها الطلبة الأزهريون وطلبة المدارس وكافة رجال الطبقات حتى النساء فى كل الأوقات ، وكانت تدبر فيه كثير من المظاهرات وتوضع الخطط(٥٠) ·

وتعاقب على منبر الأزهـــر طلبته وطلبة المدارس والعلمـــاء والقسس والمحامون والصحفيون وغيرهم من طبقات الأمة ، وبرز بينهم الشباب والطلبة كخطباء وأخذوا يتوافدون على الأزهر حيث ألفوا البقاء فيه طيلة النهار وجزءا من الليل متحمســـين للخطابة مستبشرى النفوس(٥١) ·

كما كان أيضا علماء الأزهر وطلابه وطلاب المدارس وممثلون لطبقات الشعب المختلفة ، يؤمون الكنائس فى كثير من الأيام لتوكيد الاتحاد بين عنصرى الأمة ، ولاشـــك أن هذا الدور الكبير للأزهر واجهته السلطات البريطانية بكل ماتستطيع من عناد ، فسدت مسالكه بالجند حتى لايؤمه الشعب ، ولكنهم لم يفلحوا فى ذلك واتخذ الناس مسالك لايعرفها الجند ، منها اسطح المنازل بل وقد هدم جدار أحد المنازل لكى يصل الناس اليه ، ومن الطبيعى لم تستطع ســـيارات الانجليز أن تتوغل فى كثير من الطرق لضيقها(٥٢) · وباختصـــار

« فان الأزهر خلال سنة ١٩١٩ كان فى فترة من الزمن المعسكر العام للثورة القومية التى قامت فى مصر عقب انتهاء الحرب العالمية»(٥٣) ٠

الملاحظة الثانية :

اذا كان الطلبة لهم فضل السبق فى أحداث الثورة قبل غيرهم ولهم فضل تحريك الجماهير من الطبقات الأخرى للانضمام اليها وبايجاز فهم عصب الثورة والمشكلون لها ، كان لهم تنظيماتهم التى كانت تعمل بوحى من شعورهم فى الأيام الاولى للثورة وقبل أن تنضوى تحت لواء الوفد ، ولم تكن تتفق مع افكار القيادات الوفدية والوطنية ، بل كانت مظاهرات الطلبة الاولى على عكس نصيحة الوفد ٠

فقبل اعتقال سعد وصحبه توجه بعض تلامذة المدارس الى منزل سعد فى ١٤ ديسمبر ١٩١٨ وصرحوا له برغبتهم فى الاحتجاج على الحماية فى ذكرى اعلانها ، فلم يوافقهم سعد ونصحهم بالعدول عنه ، فأوضحوا له أن فى نيتهم الاضراب عن حضور الدروس فرد عليهم بأن « الأمر يحتاج الى التأمل وان كان مبدئيا لاشىء فيه » ، وعادوا اليه مرة أخرى فقال « ولم نوافقهم على الاحتجاج أما الانقطاع عن الدروس فما دام انهم سيعطلونها من الساعة ١٠ فلا مانع» ٠ وكان ذلك بعد مقابلته لونجت ، وربما أراد سعد من ذلك عدم ازعاج الحكومة المصرية وتعطيل مساعيها من خلال رشدى وعدلى فى محاولة الوصول الى حل مناسب مع السلطة الانجليزية ، ومن ناحية أخرى فان هذا الموقف يمكن أن يفسر الى نظرة سعد والوفد الضيقة فى بداية تكوينه الى حركة الجماهير ، ورغبته فى عدم استثمارها او اللجوء اليها كما حدث عند بداية الثورة ، ويؤيد ذلك تلك النشرة التى وزعت على المدارس فى ذلك الوقت وتدعو الى التزام جانب

الحكمة وعدم القيام باية مظاهرة أو اخـــلال بالأمن : « ففى ذلك الضرر بالقطر المصرى والأحسن الاكتفاء بالامضاءات » أى التوكيلات وعلق سعد على ذلك المنشور بقوله و « كان لهذا الاعـــلان تأثيـر حسن »(٥٤) .

ولم يكن ماحدث من مظاهرات فى الأيام الأولى من مارس والتى قام بها الطلبة ، فى ذهن سعد أو ضمن توقعاته فيروى محمد محمود أن نسخة من جريدة المقطم والتى كانت تشير الى قيام المظاهرات رآها سعد بمالطة وعقب عليها بان هذا دس خصيصا فى نسخة المقطم التى وصلتهم ، لكى يوجد الانجليز مبررا لاطالة اعتقالهم فى مالطة فهذا الحدث فى نظره بعيد الاحتمال(٥٥) ، ويبرىء أحمد لطفى السيد الوفد من أحداث هذه الثورة ، والقاء تبعة حدوثها « على السلطة العسكرية التى نفت أربعة من رجال الوفد المصرى بلا ذنب اتوه الا ان يطالبوا بحريـــة بلادهـــم ثم قابلت المظاهرات البريئة بالترالليوز فغضب اهالى البلاد لقتل ابنائهم وقاموا بهذه الحركة »(٥٦) .

بل ان قادة الوفد وبعض الوزراء السابقين وعددا من الأعيان أصدروا نداء يوم ٢٤ مارس أى بعد انتشار الثورة التى فجـــرها الطلاب واستشهادهم فيها مستنكرين الاعتداءات وقطـــع السكك الحديدية ويناشدون « الشعب المصرى بأسم مصلحة الوطن بأن يتجنب كل اعتداء وألا يخرج أحد فى أعماله عن حدود القوانين حتى لايسد الطريق فى وجه من يخدمون الوطن بالطرق المشروعة ..»(٥٧) .ولم يكن الاتجاه الشعبى لتحطيم وسائل المواصلات الا اتجاها غريزيا لمنع القوات البريطانية من الحركة والوصول الى القرى لجمع السلاح ونهب الأقوات(٥٨) ، وهو تصرف تلقائى لم يطلبه زعيم ولو كان باعث التحطيم العدوان على الملك والنفس ولم يكن للاحتجاج ، لاتجـــه

الثائرون الى نهب خزائن الحكومة وأموال الأغنياء والمصارف وهو مالم يحدث قط فى أى بلد من البلدان(٥٩) ٠

ويرسل سعد زغلول لعبد الرحمن فهمى بالبعد عن مثل هذه الأعمال فلا « يحسن التداخل فى مسائل الاعتصابات ولاغيرها من الأمور التى حرمتها السلطة العسكرية بل يجب تجنبها حتى لايكون للخصوم حجة عليكم فى أى شىء كان »(٦٠) ٠

ويؤكد عبد الرحمن فهمى هذا الاتجاه عندما تستدعى السلطة الانجليزية قيادات الوفد والقت عليهم مسئولية الاضطرابات ، وبالتالى مسئوليتهم عن ازالته ويدور النقاش ويجيب قادة الوفد بأن « هذا الاضطراب ليس نتيجة متوقعة ولاغير متوقعة لعملنا ولايسوغه برنامجنا بحال من الأحوال بل نحن نأسف له ٠ وأما تسكين هذا الاضطراب فليس فى يدنا وسيلة فاعلة فيه ٠٠ » ، وفى تقرير أعضاء الوفد للمندوب السامى فى ٣٠ مارس يقولون ٠٠ « فلم يكد خبر القبض على زملائنا يعلم حتى رأينا لفيفا عظيما من الشبان الطلبة فى المدارس العالية قد حضر يقول لنا انهم لابد أن يقوموا بمظاهرات فنصحنا لهم نصحا طويلا ان يكفوا عن ذلك وأن يعكفوا على دروسهم ملازمين الهدوء والسكينة ولكن يظهر ان شبابهم الغض لم يحتمل صدمة اليأس ، فلم يتدبروا النصيحة أو لم يستطيعوا اقناع اخوانهم بها ٠٠ »(٦١) ٠

وبذلك يتضح أن ثورة ١٩١٩ — وهى من أعنف الثورات التى حدثت فى المستعمرات فى الشرق بعد الحرب العالمية الأولى ، لم يكن الوفد هو المحرك لها ، ولم تكن فيها رئاسة مدبرة على الاطلاق ، بل ان مظاهرة الطلبة الأولى التى فجرت الموقف وتطورت على أثرها الأحداث ، كانت من وحى ضمير الطلبة ولم يحركها الوفد ، بل انها

حدثت على عكس نصيحته عندما تقدم مندوبو الحقوق الى بيت الأمة وقابلوا عبد العزيز فهمى واشـــاروا اليه بما يهمون القيـــام بـــه بمظاهرات للاحتجاج فرد عليهم « انكم تلعبون بالنار دعونا نعمل فى هدوء ولاتزيدوا من غضب الانجليز »(٦٢) ٠

ولم يكن الأمر قاصرا على قيادات حزب الوفد بل تعداه الى غيرهم من القادة السياسيين فعبد الرحمن الرافعى أحد قادة الحزب الوطنى يقول عن أحداث ثورة ١٩١٩ ، بأنه رغم مايشـــعر به من « ميل دائم للتفاؤل لم أكن أتوقع أن تقوم فى البلاد ثورة فى مثل هذه الظروف ، وبمثل هذا الاتساع وبتلك السرعة والقوة والروعة التى تجلت فى ١٩١٩ ولم أكن وحدى فى هذا الشعور بل ان فريدا رحمه الله حين بلغته وهو فى منفاه أنباء الثورة عدهـــا من الحوادث المفاجئة»(٦٣)، فلقد قال فريد وهو زعيم جيل ماقبل ثورة ١٩١٩ أنها «٠٠من الأمور التى كانت غير منتظرة ماحصل بمصر فى شهرى مارس وأبريل من هذه السنة (١٩١٩) وهى قيام ثورة عامة اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها ٠٠ » ، وأيضا « ان هذه الحركة لم تكن فى الحسبان وان ما اظهره المصريون من التضامن والاتفاق ماكان ليحلم به ٠٠ »(٦٤) ٠

وأكثر من ذلك أن بعض الصحف كالوطن لم تتفهم ثورة الطلبة وعدتها حركة شغب وتنصح الشباب بالالتجاء الى الطرق المشروعة ليعود السلام الى مصر التى اشتهرت به بين الأمم وتؤكد أن الشغب غير مشروع «ولاهو أمر منتج نتيجة ترجوها البلاد ٠٠»(٦٥) ، وفى اليوم التالى ١١ مارس فى مقالة بنفس الجريدة مؤكدة المعنى السابق فتقول « ٠٠ ويقينا أن رجال مصر العقلاء الذين هم المصدر الذى يستقى منه الطلبة حب الوطن والارتقاء لايوافقون على وقوع حوادث كالتى وقعت أمس واليوم ، بل اننا نستطيع أن نقرر بأن أولئك العقلاء

قد نهوا الطلبة مرارا عن المظاهرات ، وأوصوهم بالانصراف الى دروسهم فالبلاد ليست فى غنى عن مجهوداتهم المخصصة للدرس وتحصيل العلم ، فان كان الطلبة قد قاموا بما قاموا به من تلقاء أنفسهم فقد أخطأوا ويجب ردهم عن الخطأ ، فنصيحتنا التى قلناها أمس وقبل أمس مائة مرة ، ونقولها اليوم أن يجتهد الطلبة فى التغلب على نزعات شبابهم الشديدة بالحكمة والتعقل ، وأن يدركوا أن عاقبة أعمالهم ليست مايريدون لمصر التى يحبونها هانئة سعيدة ··»(٦٦) ، وتجاهلت جريدة المقطم أحداث ٩ مارس ولم تنشر شيئا عنها فى اليوم التالى وفى ١١ مارس نشرت خبرا مؤداه أنها شغب فقالت « تجمهر لفيف من طلبة المدارس أمس وأول أمس وانضم اليهم جمهور من الغوغاء وطافوا الشوارع وكسروا عددا من مركبات الترام ··· » ، وامتنع الطلبة عن الدراسة وقبض البوليس على كثير من المتظاهرين وفرق الباقين واستتب النظام فى العاصمة وتؤكد على أن كل من « تتبع هذه المظاهرات يتأسف لوقوعها ومن ترك الطلبة لدروسهم والاشتغال بمثل هذه الأمور التى تعطل أوقاتهم وتضر بمستقبلهم من غير طائل فيجدر بآباء التلاميذ أن ينصحوهم بالتفرغ الى دروسهم والاشتغال بها ·· »(٦٧) ، بل ان السلطات البريطانية لم تتفهم طبيعة مظاهرات الطلبة وبواعثها ، فيرسل ملن شيتام الى حكومته فى ٩ مارس يقول عنها « أن الحركة معادية لبريطانيا ، معــادية للعرش معادية للأجانب ، وفيها نزعات بلشفية تتجه الى تخريب الأملاك والمواصلات وهى منظمة ومدبرة ولابد أن تكون مأجورة »(٦٨) ؛ وهو وصف بعيد عن الحقيقة الا انها معادية للانجليز ـ ولقد أقرت الحكومة البريطانية عدم الفهم لطبيعة الأحداث ، ففى مذكرتها التى أصدرتها بعد ذلك بشهر واحد بأن هناك شواهد عدة تثبت أن الثورة كانت مدبرة ومنظمة بإحكام من قبل الأتراك والألمان(٦٩) ·

ولقد كان واضحا منذ البداية أن هناك اتجاهين متناقضين ·· اتجاه العناصر المعتدلة ، وهو اتجاه يستهدف استخدام الطرق السلمية المشروعة(٧٠) ، ويستمر هذا الاتجاه حتى بعد اعتقال الزعماء الأربعة حيث يجتمع بقية أعضاء الوفد برياسة وكيل الوفد على شعراوى ويرسلون برقية احتجاج الى لويد جورج ويختموه بقولهم « ·· اننا سنستمر فى الدفاع بكل الطرق المشروعة عن قضية البلاد العادلة ·· »(٧١) · وكان الاتجاه الآخر قوامه المثقفون الثوريون ومن انضم اليهم من العمال والفلاحين وهدفه الاستقلال التام وأسلوبه العنف الثورى(٧٢) وكان الطلبة وهم من قوى المثقفين الثوريين ، معبرين عن هذا الاتجاه الثورى سواء أكانوا طلبة مدارس أميرية أم أزهرية الذين أعلنوا فى مظاهراتهم شعارا للثورة رددته الجماهير بعد ذلك ، وهو « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » ولقد حمل هذا الشعار المعنى الكبير الذى تحرك به الضمير المصرى فى ذلك الوقت ، هو أن للحرية ثمنا والثمن هو التضحية بالنفس(٧٣) ·

ونقطة جديرة بالاهتمام هو أن هذه الثورة لم تعرف الصراع الطبقى وان كانت هناك اشارات تقول ان الفلاحين فى ساحل سليم بالصعيد حاولوا الاستيلاء على اراضى محمود باشا سليمان ، ولكن هناك استبعادا بأن يكون الصراع الطبقى هو المحرك لأن الأذهان فى الريف بصفة خاصة لم تكن مهيأة لأفكار من هذا النوع ولاسيما فى الصعيد الاعلى ، ولقد حدث فى المدن اعتداءات على المتاجر وحطمت بعض المرافق ، وهى حوادث تدل على أن هناك حالة سخط لها أسباب سياسية ، ولكن ليس لها هدف اجتماعى فلقد تسبب الاستعمار فى كل المتاعب الاقتصادية التى عاناها الناس أيام الحرب ، وكان الجلاء هو العلاج الناجح فى نظر الجماهير(٧٤) · ، فلم يكن الصراع الطبقى أو الثورة الاجتماعية فى فكر ثورة ١٩١٩

بشكل واضح بارز لدى الجماهير وكذلك فى فكر القيادات ، وفى «الضاحك الباكى» يقول فكرى أباظة انه عندما هاجم الفلاحون منزل والد محمد محمود ويحاول أن يفهمهم أنه منزل أحد المنفيين يـرد الفلاحون وهل وزع محمد محمود أرغفة العيش على الجائعين « نحن طلاب قوت » ، ويقول « وكانت صدمة لى خلط عجيب بين طلاب الاستقلال وطلاب القوت وخلط غريب بين الكفاح القومى والاشتراكية الساذجة »(٧٥) ، وعندما يسمع عبد الرحمن الرافعـــى الفلاحين يصيحون يحيا العدل يتساءل مامعنى هذا الهتاف(٧٦) ، فثورة ١٩١٩ ثورة سياسية قامت من أجل استقلال الوطن ولم تقم لاحداث تغيير اجتماعى وان لم تخل من ارهاصات طبقية ضعيفة(٧٧) :

أحداث الثورة :

ومنذ صباح ٩ مارس سنة ١٩١٩ بقيام الطلبة بمظاهراتهـــم واحتجاجهم مفجرين الثورة تغير مسار الحركة الوطنية تغييرا جذريا فبعد أن كان مسار الحركة تنازليا يبدأ من القمة وينتهى الى القاعدة. انعكس المسار فأصبح يسير تصاعديا من القاعدة الى القمة ، ولقد بدأت حركة الثورة من القاعدة بأحدث أجيال الشعب المعاصرة ، بدأت بالطلبة(٧٨) •

ويبدو ان السلطة البريطانية اعتقدت أنها بنفى سعد وزملائـه قد ملكت زمام الموقف . وانها استطاعت أن تقضى على الغضب ولكن تفاؤلهم لم يكن له أساس فبدون انذار انفجر الموقف(٧٩) . كما أن انطباعهم الأول عن الأحداث لم يكن يشير الى خطورة ، وبدا كما لو كان الموقف فى قبضة وسيطرة البوليس المصرى ، ولكن شعور التفاؤل هذا سرعان ما انتهى بعد عدة ساعات وحل محله التقدير الواقعى لحقائق الموقف لاتساع نطاق المظاهرات(٨٠) •

لقد انتشرت اخبار اعتقال سعد وزملائه انتشارا بطيئا ، لأن السلطات البريطانية قد منعت الصحف من أن تنشر الخبر أو حتى مجرد الاشارة اليه ، ولكن اعضاء الوفد وآخرين القريبين من دائرة الوفد ، قد عرفوا الخبر فى نفس اليوم كما عرفه قادة الطلبة كحسن يس وزهير صبرى(٨١) ، وانتشر الخبر بين الطلبة لأنهم كانوا يجتمعون فى امكنة متقاربة وينتمى بعضهم الى أعضاء الوفد واصدقائه بصلة القرابة أو المعرفة(٨٢) ، بل ان بعض الطلبة رأوا باعينهم سعدا وهو يركب سيارة انجليزية امام بيت الأمة والجنود الانجليز شاهرة حرابها فى أطراف البنادق حوله(٨٣) .

كانت بداية الثورة فى مظاهرة الطلبة التى بدأت بطلبة مدرسة الحقوق فكانوا أول المضربين واتخذوا زمام المبادأة ، ويرجع ذلك الى وعيهم القانونى(٨٤) ، فعقدوا عزمهم على الامتناع عن الدراسة، وانتخبوا من بينهم طالبا مسلما وأخر مسيحيا لينهيا لناظر المدرسة على لسان جميعهم ، أنهم يريدون ابطال الدروس لعمل مظاهرة سلمية يعربون بها عن ذات نفوسهم ، ازاء هذه الحالة السيئة التى يعامل بها الانجليز بلادهم ، ومن شانها القضاء على استقلال البلاد وبقائها رازحة تحت عبء العبودية والاستعباد(٨٥) . وحاول ناظر المدرسة مستر والتون نصحهم بلطف للعدول عن الاضراب . فلم يستمعوا الى نصحه فاستدعى لهم مستر « موريس شلدون أيموس » نائب المستشار القضائى ، وكان قبل ذلك ناظرا للمدرسة وكرر لهم النصح ، ولكنهم رفضوا وكان مما قاله لهم ، لقد كنت ناظرا لهذه المدرسة سنة ١٩١٥ فاعتصبتم يوم أن زار مدرستكم السلطان حسين كامل ، وكانت نتيجة اعتصابكم أن رفت جمع منكم وعوقب آخرون . فاستيشروا آباءكم قبل ان تقدموا على ماتريدون(٨٦) فرد ابراهيم عبد الهادى الطالب بالمدرسة « لقد اعتقلتم آباءنا وابعدتموهم فمن

اذن يتولى هذه المسائل » ، ورفض طلبة الحقوق دراسة القانون فى بلد يداس فيه القانون ، وعندما كان النقاش بين الطلبة من جهة وناظر المدرسة ونائب المستشار من جهة أخرى كان أحمد أمين واقفا خلفهما ويلوح للطلبة بالخروج(٨٧) .

ولكن الى اين ؟ انهم لو سكتوا الآن فقد ضاعت القضية لسنوات طويلة ، ولكن الشوارع تعج بجنود الامبراطورية المنتصرين ، والشعب الذى طال سباته من غير المؤكد أن يثور؟ان المسألة تجربة جديدة ليس لها سابقة ، وحسما للموقف أرسلوا وفدا منهم الى بيت الأمة فقابل عبد العزيز فهمى وذكروا له ماعزموا القيام به فيرد عليهم « انكم تلعبون بالنار دعونا نعمل فى هدوء ولاتزيدوا النار اشتعالا .. ولاتزيدوا من غضب الانجليز»..فكان رد الطلبة«باننا ماجئنا لنحمل الوفد المسئولية واننا سنتحمل مايحدث»(٨٨) . وبلاشك كان ارسال هذا الوفد الى بيت الأمة بناء على أن فريقا من الطلبة خطر له أن الخروج ربما كان فيه مخالفة لمشيئة الوفد أو مايفسد عليه خطـة يتواخاها ، وبعد كلمات عبد العزيز فهمى تركه الطلبة متذمرين ، فلحق بهم الاستاذان محمود أبو النصر وعبد اللطيف المكباتى وخففا عنهم هذه المقابلة وتلطفا فى نصحهم بالتزام السـكون واجتناب المظاهرات ، فانصرف رسل الطلبة مترددين بين اتباع هذه النصيحة أو الاغضاء عنها ، ولكن زملاءهم حسموا الموقف حيث استبطأوا عودتهم ومتأثرين بما قيل من خطب فخرجوا قبل أن يصل اليهـم الرسل(٨٩) ، ولقد سهل لهم الخروج الصاغ أحمد عطية الضـابط بالجيش ، وكان مسئوليته النظام والأمن وهكـذا كانت بداية أول مظاهرة(٩٠) ، وتحمل الطلبة بذلك المسئولية كاملة .

وسارت المظاهرة تجاه الهندسة حيث التقوا بطلبتها واتجه الجميع الى مدرسة الزراعة العليا ، فانضم طلبتها اليهم وساروا

هاتفين بحياة سعد باشا والاستقلال والحرية تجاه مدرسة الطب بشارع القصر العينى(٩١) ، حيث كان طليتها فى فناء المدرسة هاتفين للحرية ، وقد أطل عليهم ناظر المدرسة «كيتنج» الانجليزى من أعلى السلم الموصل الى مكتبه معنفا اياهم من الخروج ، وقرر الطلبة أن يوفدوا مندوبا عنهم للتفاهم معه على فتح أبواب المدرسة ، وما ان وصل الطالب الى حيث يقف الناظر الذى فقد أعصابه وتحول تهديده الطلبة الى سباب وشتائم لكل مصرى ، وكادت عملية السباب تتحول الى ضرب باليد من قبل العميد ، ولكن قبل أن تهوى يده على الطالب ، كان الطالب أسبق فى ركله بقدمه بقوة فسقط على الأرض وتدحرج جسمه الضخم على السلم وضاعت هيبته(٩٢) ، فاستنجد الناظر بالمستر كولس الذى رمى نفسه على الطالب المذكور ، وعندئذ تقدم الطالب على راتب بالمهندسخانة والطالب نهاد خلوصى بالزراعة العليا وكان مع كل منهما حقيبة مليئة بالكتب ، فانهالا على وجه المستر كولس ، ووقع فوق الدكتور كيتنج وبعد أن افاق قال « أبعد خدمة ست وعشرين سنة اهان هذه الأهانة من المصريين ، ولايجوز لى أن أخدم شعبا لايريدنا ؟ » وقدم استقالته(٩٣) · وبينما كان كيتنج ينصح طلبة الطب بعدم الخروج صاح الطلبة من الخارج بسقوط مدرسة الطب ، فأوقد ذلك الحماسة فى قلوب طلبة المدرسة فخرجوا منها ، وتركوها غير مبالين بنصح ناظرهم(٩٤) ، وخرج الطلبة وواصلوا سيرهم الى ميدان السيدة زينب وقبل بلوغه لقيهم عساكر بوليس قسم السيدة فأخذوهم الى القسم ، وفى ذلك الوقت أى بعد الظهر بقليل كانت قوة بوليس الخفر فى المحافظة قد تحركت مشاة وركبانا بقيادة الضابط أرثر وكيل الحكمدارية ، فأراد صرف الطلبة الى بيوتهم فأبوا ، فقاد الطلبة الى المحافظة ، وساروا تحرسهم جنود البوليس من قسم السيدة زينب ، وفى الطريق انضم طلبة مدرسة التجارة المتوسطة والالهامية الثانوية ودار العلوم والقضاء

الشرعى وغيرها ، وبينما الطلبة سائرون وعند وصولهم - قنطرة الذى كفر - داس حصان على رجل طالب فنبه العسكرى راكبه الى أنه لابد أن يحذر من دوس الطلبة ، فما كان من الجندى الا أن ضرب الطالب . فلما رأى الطلبة ذلك غضبوا لأخيهم وساعدهم العامـــة وانهالوا ضربا على العسكرى ففر وتبعه غيره من العسكر ، واستمر الطلبة المتظاهرون فى سيرهم الى باب الخلق(٩٥) . وفى الطريق كانت الزغاريد تتردد من خلف المشربيات والهتاف يرتفع ، وفى المحافظة خرج الحكمدار الانجليزى ليلقى أوامره واقترح أن تتقدم قيادات الطلبة بالمدارس العليا نيابة عن بقية المشتركين فى المظاهرة لتقديم طلباتهم ، وحجز الحكمدار قيادات المدارس العليا بدعوى مناقشتها فى المطالب ، وحتى المساء لم يلتق بهم أحد ، ثم فوجئت هذه القيادات بعربات اللورى تحملهم وتوزعهم على أقسام البوليس ، ومنها الى القلعة حيث تم « اعتقالهم داخل خرابة مهجورة مليئة بالأتربة وفى كل يوم كان يتوافد علينا من المعتقلين ، ويدسون بينهم جواسيس الطابور الخامس ، ولم يقدم لنا الا أرغفة من الخبز الجاف علينا أن نقتات منها طول اليوم »(٩٦) . فلم تعامل السلطات قيادات الطلبة معاملة كريمة بل عاملتهم كما يعامل الخسيس من وقع فى يده من أعدائه . هكذا عاملوا الطلبة فى أكلهم ونومهم . وكان أكثر هؤلاء التلاميذ من ذوى البيوت الطيبة والأسر التى طالما استعان بها الانجليز فى تثبيت أقدامهم بمصر ، وقد أرادت السلطة أن تطلـــق بعضهم اكراما لمن تنتظر فائدتهم ، ولكن أبدى هؤلاء التلاميذ اباء شديدا ورفضوا أن يتركوا اخوانهـــم ويخرجوا ، وهذا هو الدليل الثانى الذى أقامه التلاميذ على أن روح التضـــامن قد ســرت فى نفوسهم ، وكان الدليل الأول رفضهم ترك اخوانهم فى سجن المحافظة وبقائهم حتى منتصف الليل(٩٧) .

أما الحكمدار رسل بك والضابط حيدر فلم يكتفيا بالذى حدث ، وسلحا جند بلوك الخفر بالعصى وخرجا بهم الى ميدان باب الخلق ، وكان غاصا بصغار التلاميذ والمارة وعابرى السـبيل والمتفرجين والسائرين والباحثين من شتى الخلائق ، وسدت العساكر كل الطرق وأحكموا ايصادها ، وانحاز الفرسان الى ناحية جعلوها موقفا لهم وكان الحـكمدار يشـير الى ناحيـة فينيه حيدر الجنـود فيهجم الجنود وهو فى مقدمتهم على الناس ، حتى اذا ماقضـى العساكر ما أمروا به عادوا الى مواقعهم ، ثم يأمرهم بالاتجاه الى نقطة أخرى ، والناس لامنجى لهم ولاملجأ من هذا الموقف الحرج ، وقد ظل الأمر على ذلك لمدة ساعات(٩٨) ٠

أما الطلبة المعتقلون بالقلعة ، فأخذ كل واحد منهم طبقا لمعرفته يساهم فى أعداد المكان القذر ، ولم يتذمر الطلبة ولم يضـعف واحد منهم رغم المعاملة السيئة من الجنود الانجليز ، وفى ليلة من ليالى الاعتقال كتب محمود الحفنى كلمات الأغنية المشهورة التى قال فيها :

ياعم حمزة

احنا التلامذة

واخدين على العيش الحاف

مسـتعدين

ناس وطنيين

دايما صحيين

احنا التلامذة يحيا الوطن ٠٠٠٠(٩٩)

وفى تقرير ملن شيتام الى ايرل كيرزن الذى ارسل من القاهرة فى ٢٢ مارس ١٩١٩ تحت رقم ١٣٥ يقول فيه بعد القبض على سعد

زغلول ورفاقه « كان من الطبيعى ان نتوقع نوعـــا من المظاهرات الودية ، وكان من الطبيعى كذلك أن تتخذ هذه المظاهرات أسـلوب الاندفاع من جانب الطلبة الذين كان سعد زغلول موضع اعجابهم ، ففى صباح الأحد قام طلبة مدارس الحقوق والزراعـة والهندسـة والتجارة بمظاهرات صاخبة ، ودخلوا مدرسة الطب وأجبروا طلبتها على الانضمام اليهم ، ولابد أن أذكر ان الدكتور كيتنج مدير مدرسة الطب ومدير مستشفى القصر العينى قد ضرب فى تلك المظاهرة ، ولكنه لم يصب بأذى ٠ وقد فرق البوليس المظاهرة بصعوبة وألقى القبض على ٣١٠ أشخاص ٠ »(١٠٠) ، ولقـد انتهت مظاهرات هذا اليوم بسلام ولم يحدث ضحايا(١٠١) ٠

ولم يكن طلبة الأزهر والمدارس الأخرى لاسيما المدارس الثانوية قد علمت بمظاهرة التاسع من مارس فلم يشاركوا فيها ، وبالتالى قر رأيهم جميعا على الاضراب فى اليوم التالى ٠

ولعل أشد ما أقلق راسل باشا فى مظاهرات ذلك اليوم والأيام التالية ، هو وحدة طلبة المدارس الأميرية مع طلبة الأزهر ، فلقد كان المفترض حينذاك أن طلبة المدارس الأميرية يختلفون فى أصولهـم الاجتماعية والفكرية عن طلبة الأزهر ، فبينما طلبة المدارس الأميرية من أصول قاهرية أو بندرية كان معظم الأزهريين من أصول ريفية(١٠٢) فلقد كانت كل عائلة ريفية كما سبق الاشارة تحاول أن تلحق أبناءها بالأزهر ، وعلى الرغم من عدم اختلاطهم مع طلبة المدارس الاميرية فانهم بالنسبة لهذه القضية قد انضموا اليهم(١٠٣) ، ولقد سارت هذه المظاهرة المكونة من طلبة المـدارس الأزهرية مـــارة بدور المعتمدين السياسيين هاتفة للوفد وللحرية ولمصر وبسقوط الحماية ، وهذا دليل على أن هذه المظاهرة لم يكن لها هدف سوى الايضاح عما فى نفوسهم من شعور وطنى ، واحتجاج أمام ممثلى الدول الأجنبية فى

مصر(١٠٤) • وتؤكد جريدة الافكار هذا القصد الطلابى فى مقالة جاء فيها « يعد الساسة فى الادم الراقية المظاهرات السلمية وسـيلة من وسائل الاعراب عن العواطف ، اذا كان القائمون بها من صفوة الامة المتنورين المتكلمين الذين يعرفون الحدود المشروعة ‥ ولا ارتياب مطلقا فى أن الطلبة أرادوا بالمظاهرة الغرض الشـريف السـامى المقصود منها ، وأرادوا أيضا أن تكون مظاهرة سلمية لايقصد بها الاعتداء على أحد أو اهانة أحد »(١٠٥) •

وبلا شك فى أن مظاهرة يـوم ١٠ مارس كان فيها شيء من التنظيم والاعداد من جانب الطلبة حرصـا على اتسـاع نطاق المظاهرات ، ففي صباح نفس اليوم دخل لطفى المسلمى مدرسـة بنباقادن الابتدائية،وطلب من الناظر أن يتسلم شقيقه الصغير الذى أصر على أن يخرج معه الطالب حافظ محمود صديقه وكان هذا بايعاز لطفى ، فلما أصبحوا خارج المدرسة سلم لكل منهما علما وحملهما على كتفيه وأخذ يهتف ويردان عليه بالدماء تحرر الأوطان، وفى غضون دقائق على سير هذه المظاهرة الثلاثية الصغيرة انضم اليها الألوف . وماعمله لطفى قام بمثله زملاؤه فى أماكن أخرى ، حتى اخذت القاهرة تموج كلها بالمظاهرات التى أخذت تتلاقى فى أماكن معينة(١٠٦) • ولكن فى هذه المظاهـرات كان من المتعذر ألا يحدث فى هذا اليوم مايوجب الأسف ، فقد تعدى البعض على واجهات عدد من المحال التجارية ومعظمها كان ملكا للأوروبيين(١٠٧) ، فلقد انتهز فرصة مظاهرات الطلبة « أهل الدعـارة والغوغاء وأبنـاء الدروب وأحلاس الأزقة وحثالة الناس » واندسوا فى وسط المظاهرات ووجهوا همهم بتحطيم زجاج الحوانيت وسرقةماتصل اليه أيديهـم من البضائع ، كما اشترك فى هذه المظاهرات بعض البوليس السرى وأغروا الذين يتبعون المظاهرة بتحطيم زجاج بعض المحلات التجارية

بالموسكى وغيره(١٠٨) ، وازدحمت الشوارع فى هذا اليوم بالمتظاهرين لاسيما فى الموسكى وقصر النيل وبجوار الوزارات وكان الاعتداء على بعض الدكاكين ، وقذف خط حلوان بالحجارة وفى الظهر تــم استدعاء قوات الجيش للمقاومة ، واطلقت النيران على الجماهير وكان هناك عدد كبير من الضحايا والمعتقلين(١٠٩) ٠

ولقد أسند الجميع هذه الاعتداءات الى ماأسموهم بالرعاع أو بالجياع بعيدا عن الطلبة ، فقالت جريدة مصر فى ١١ مارس « فى كل أمة راقية يعلن الناس شعورهــــم بكيفيات نظامية مشـــروعة ، ويعبرون عما يختلج فى صدورهم بما لايخرج بهم الى الاســـاءة والعبث بالنظام،وهذا ماتوخاه شبابنا العاقلون باديء ذى بدء ،لولا أولئك الجياع الذى لايهمهم من كل عمل عمومى الا ما يملأ بطونهم الخاوية بكل مطعوم ومشروب تصل اليه أيديهم خفية ، ولايصح نسبة أعمالهم السيئة الى عماد المستقبل » وتقصد الطلبة(١١٠) ، وعلى نفس المنوال تتحدث جريدة وادى النيل عن مظاهرات الطلبة السلمية ولكن « عادة انضمام الرعاع الذين يوجدون فى كل مكان الى أمثال هذه المظاهرات ، أدت الى أن يتبع مظاهرة الطلبة أفراد من هؤلاء فبدرت منهم اثناء المظاهرات بوادر شر لاتصدر الا منهم ووقع اعتداء على بعض المتاجر(١١١) ولايغير من جلال هذا العمل الطلابى ، وهو الدعاية للقضية الوطنية أمام المعتمدين الأجانب ، والاحتجاج على الحماية واعتقال سعد وفى الوقت نفسه تحريك لجماهير الشـــعب فيشتد ساعة الحركة ـ ماحدث من شغب وهى أمور ليس من الميسور تجنبها وهى بعيدة عن الفكر الطلابى العام فضلا عن أنها لاتتضمن تلفيات ضخمة مقصودة فتحطيم المصابيح أو واجهات محـــلات مملوكة للأجانب أو للمصريين أو احراق ترام ٠٠ كلها من الأمور من السهل أن تتضمنها أية مظاهرة لاسيما وانها ليست من أعمال الطلبة،

وهو ماتؤكده « الجورنال دى كير » أنه من دواعى الأسف حدوث ماحدث فى مثل هذه الاحوال « فان جماعة من الغوغاء احتشـدوا حول المتظاهرين ، وقاموا بأعمال يؤسف لها اذ انتزعوا الأشجار من الشوارع ، وحطموا الزجاج غير أنه لايمكن بأية حال أن نجعل الطلبة مسئولين عن ذلك ‥ »(١١٢) ٠

وادرك الطلبة أهمية هذه الحوادث ومايمكن أن تحدثـه من اساءة لحركتهم أو تتطور ضدهم ، فساروا يناشدون المصـريين لتجنب مثل هذه الأعمال ونشر بيانهم فى الصحف المختلفة وجاء فيه :

« يستحلف طلبة المدارس العليا جميع مواطنيهم الأعزاء ، وباسم مصر البلد الأمين أن ينفذوا مايوجهونه اليهم اليوم من الرغبة الشديدة فى التزام الهدوء والسكينة التامة ، فان مركز مصر يتطلب ذلك ، فمن كان مصريا صميما فليلب هذه الدعوة الصادقة ، وان خير وسيلة لتحقيق الغرض المقصود هى اجتماع القلوب على محبة البلاد فى اخلاص تام ، والذى يلجأ الى مثل ماحدث مما يؤسف له نكون بريئين منه وكذلك مصر والمصريون »(١١٣) ، كما وجهوا بيانا الى الأجانب مباشرة « الى حضرات اخواننا ومواطنينا الأجانب ، قد تأسفنا نحن معاشر الطلبة المصريين مما وقع من الغوغاء عند قيامنا بمظاهراتنا السلمية التى ماقصدنا بها الا لاظهار عواطفنا وشعورنا مع محبتنا لمواطنينا الأجانب الأعزاء ، وهكذا فلنكن أحباء كما عشنا مدى الأزمان »(١١٤) ٠

وهذان البيانان على قدر كبير من الأهمية فهما يؤكدان من ناحية أنه ليس هناك قيادة للشعب فى بداية الثورة ــ والمعروف أن العمال انضموا الى الطلبة فى هذا اليوم ــ سوى قيادة الطلبة ، فهم الموجهون للحركة الحريصون عليها ومن ناحية أخرى ، أبانوا

فى هذين البيانين سلمية الحركة وأنها ليست عدوانية وأن الهدوء والسكينة لصالح مصر ، كما أنهم ينظرون الى الأجانب نظرة الاخاء والمواطنة ، ويبينون لهم أن هدف هذه المظاهرات هو اظهار شعورهم ازاء قضيتهم ، وليسوا ضد الأجانب فى شىء بل تربطهم بهم على مر الزمن المحبة والاخلاص ٠

وكانت حوادث الاعتداءات فرصة لبعض الأصوات لأن ترتفع منادية بعودة الطلاب الى مدارسهم ، فهم ليسوا أهلا لهذا العمل أو بمعنى آخر ليس هذا عملهم ، فتقول جريدة الوطن ان مصر لايمكن ان تنال أمانيها العادلة عن طريق حركات العنف على الاطلاق ، بل « ان قدر لها أن ترتقى شرفا وسعادة فليس الطلبة هم الذين يسعدونها باضرابهم عن دروسهم وطوافهم فى الشوارع واختلاطهم بالغوغاء ، ففى البلاد رجال حنكتهم التجارب،وملأهم الدهر علما وفهما وزادهم الاختبار معرفة بالضار والنافع من الأمور،وهؤلاء هم الذين يطلب منهم وحدهم أن يخدموا مصر ، ويتولوا رعايتها ويقودوا سفينتها فى وسط الأنواء والعواصف بمهارة الربان الحاذق ٠٠»(١١٥) ٠ وفى مقالة أخرى تؤكد بحوادث الشغب هذه ضرورة « أن يعود الطلبة الى مدارسهم ، وان يتركوا للرجال ما لايقدرون عليه والرجال فى وسعهم ألا يتركوا للغوغاء فرصة لعمل ما من شأنه تشويه الشعور القومى وافساح الطرق المؤدية الى التحرج وحدوث حوادث لاترضاها الحكومة ولايرضاها الجمهور ٠٠ »(١١٦) ٠

فلو استمع الطلبة لهذه النصيحة ، وعادوا الى مدارسهم ولم يشاركوا بعد ذلك لا بكبيرة ولاصغيرة فى أحداث الثورة فى سنة ١٩١٩ ، فان الأمور لاتحتاج الى شك فى اتخاذها مسارا آخر غير ماحدث ، اذا وضعنا فى الاعتبار أن الطلبة هى القوة الوحيدة التى

استمرت على مراحل الثورة ، بعد أن خــرجت القــوى الأخرى كالفلاحين والعمال والموظفين ٠٠ الخ ٠

ولم تمر الأمور بدون ضحايا فى هذا اليــوم ، فالمظاهــرات احتجاج ضد بريطانيا ولم يكن هذا هو اليوم الأول بل والثانى : أى أن السلطات البريطانية استعدت واتخذت كافة احتياطاتها لمواجهة الموقف ، وهو مايقوله شيتام فى رسالته الى ايرل كيرزن ، يوضح فيها بأن طبيعة حوادث ٩ مارس أوجبت ضرورة الاستعانة بالقوات المسلحة بجانب البوليس ، حتى تكون القوات جاهزة فى الصباح التالى ، ويمكن نقلها الى أماكن أخرى حيث تقتضى الضرورة ، ولم تستطع قوات البوليس وقف الطلبة الأزهريين المتجهين لقلب المدينة فطلب قائد البوليس المعونة فتسلم الجنرال واطسون زمام الأمور بالمدينة ، واتخذ الاجراءات اللازمة لحماية دار الحماية والكبارى وغيرها من المراكز الهامة ، ووزعت جنود البوليس الحربى بمدافعهم الرشاشة ومدافع لويس فى الأماكن المناسبة ، وانضم الى الطلبة جموع من الدهماء وحدث الشغب فأطلقت القوات العسكرية النيران، وحدثت خسائر قليلة فى الأرواح(١١٧) ٠ فعندما مر المتظاهــرون بشارع الدواوين ، أطلقت القوة المكلفة بحراسة دواوين الحكومة عدة أعيرة نارية على المتظاهرين أصابت بعضا منهم(١١٨) ، وقد حقق الزافعى حدوث القتل والاصابة فى يوم ١٠ مارس ، فرجع الى دفتر الوفيات بقسم السيدة زينب حيث رأى وفاة مصرى مجهول « ولعله رمز الى الشهيد المجهول أو المصرى المجهول ــ وغلام مجهول يوم ١٠ مارس بمستشفى قصر العينى،وأنهما ــ أصيبا فى حادثة مظاهرة ــ فتحقق لنا من هذا القيد أن حوادث القتل فى المظاهرات السلمية بدأت يوم الاثنين ١٠ مارس »(١١٩) ٠

وتستمر المظاهرات الطلابية فى اليوم التالى ١١ مارس بما فيهم

طلبة الأزهر ، وواجهت القوات البريطانية المظاهرات بالرصاص فكان القتلى(١٢٠) ، فكانت أول مصادمة حصلت بين الجنود والطلبة على الجسر الممتد فوق السكة الحديد المؤدى الى حى شبرا وفى شارع عماد الدين ، فلم يـزد هذا الاعتداء جمهور الطلبـة الا ثباتا على مظاهراتهم وحماسا للمناداة بحقوق البلاد ، وأروع ماشوهد فى هذه التصادمات بين الجنود والطلبة أنه اذا سقط حامل العلم فى موكب من المواكب مضرجا بدمائه قتيلا أو جريحا برصاص الانجليز ، تقدم من خلفه طالب واستلم العلم بيديه من القتيل أو الجريح ، ومناديا بأعلى صوته « ليحيا الوطن لتحيا مصر » فيرد عليه اخوانه . ثــم يكرر النداء باللغة الفرنسية فباللغة الانجليزية ، فيجيب المتظاهرون بصوت يصل الى عنان السماء(١٢١) .

ولقد أسفرت هذه المصادمات عن سقوط الشهداء ، منهم محمد عزت البيومى ، عبد الفتاح محمود جاد ، طلبه حســـن . ويؤكد الرافعى ان أول الشهداء من الطلبة محمد عزت البيومى ، وكان فى هذا اليوم فى المصادمة مع الطلبة على مقربة من كوبرى شبرا ، وانه أطلع على اسمه فى دفتر الوفيات بقسم السيدة زينب ، اذ قيدت وفاته نتيجة جروح ناريه ، أما مصطفى ماهر أمين الطالب بالسنة الثالثة بالمدرسة السعيدية ، فقد استشهد يوم ١٦ مارس وكان هناك رأى بأنه أول الشهداء ، ولقد اشــــترك مع الطلبة فى هذا اليــوم السائقون فتعطلت المواصلات ، وأغلق التجار متاجرهـــم وأقفلت البيوت التجارية(١٢٢) . كما أضرب المحامون عن مزاولة أعمالهم ، وأصدرت نقابة المحامين احتجاجا على هذه التصرفات ، فكادت أعمال القضاء تتوقف لولا أن النقابة أنابت عنها واحدا أو اثنين فى كل محكمة لطلب التأجيل(١٢٣) ، وعندما اشتد اعتداء الانجليز على المتظاهرين أخذ أهالى الأحياء الشعبية كالازهـــر والســـيدة زينب

والحسين وباب الشعرية والجمالية وغيرها فى اقــامة المتاريس والحواجز لمنع مرور السـيارات الانجليزية ، وحفروا الخنــادق واتخذوا من انقاضها وقاية لهم من رصاص الجنود ، أو كمعاقل يهاجمونهم منها بالطوب والحجارة(١٢٤) وكان حى الأزهر يمثل أمام السلطات العسكرية مشكلة صعبة ، وقامت القوات بحصاره بكردون شاركت فيه قوات الجيش المصرى(١٢٥) ٠

وهكذا وجدت المظاهرات الطلابية صـــدى ومشاركة لـــدى العمال والحوذية والتجار والمحامين وغيرهم وسكان الأحياء الشعبية فانتشرت الثورة ، وفى تقرير شيتام الذى أرسله الى ايرل كيرزون فى ٢٣ مارس ١٩١٩ ـ يذكر أحداث ١١ مارس وانتشـــار الثورة فى أماكن عديدة من القاهرة « ففى ساعة مبكرة من الصباح تجمع الثائرون ، ومعظمهم من طلبة الأزهر وبعض الأفراد ، فى الاماكن الرئيسية فى قلب المدينة ، وزحفوا فى اتجاه ورش السكك الحديدية لاخراج من يعملون فيها وقابلهم الجنود فى ميدان المحطة وأطلقوا عليهم بضعة أعيرة نارية تفرقوا على أثرها ، بعد أن وقعت بينهم بعض الاصابات ، وقد اعتقل ٢١ من زعماء المظاهرة وبينما كانت المظاهرة فى طريقها نشبت أعمال عنف فى أماكن أخرى من المدينة ، حيث نهبت الحوانيت وتعرض شارع الموسكى لأضرار بالغة »(١٢٦) ٠

وازاء استمرار المظاهرات اضطرت سلطات الاحتـــلال الى اصدار الأمر بمنعها ، وعلقته على الجدران فى الشوارع ، وتنفيذا لذلك انتشرت الدوريات البريطانية فكانت المصـادمة بينهـــم وبين المتظاهرين(١٢٧)،وذهب هذا البلاغ آدراج الرياح فمن العبث اقناع أمة بلغ سخطها هذا المبلغ ، بأنها تعرض نفسها للمحاكمة ان هى عبرت عن مكنون ضميرها(١٢٨) ٠

وأعتقد أنه بعد الوصول الى هذا الحد من تحركات الطلاب وبعد أن انضم اليهم العمال والمحامون وغيرهم ، أنه من الصعب أن أقدم يوميات للثورة طيلة الدور الأول الذى يمتد حتى نهاية مارس تقريبا ، الا بقدر مايوصل للهدف الذى أصبو اليه وهو ابراز دور الطلبة ، وأنهم فى هذه الثورة كانوا الطليعة والمحـــركين للطبقات الأخرى ، وهم القيادة التى تحرك العمل وتوجهه ومنهم الشـــهداء والمعتقلون بواسطة قوات الاحتلال ، وبقدر الوصول الى هذا الهدف سيكون التعرض لأهم مظاهراتهم وتحركاتهم ضد الاحتلال ، فانه من الثابت أن مظاهرات الطلبة لم تنقطع حتى بعد تهديد السلطة العسكرية لهم ٠

وتجددت المظاهرات وأطلق الجنود البريطانيون النـــار على المتظاهرين وكان أكثرية القتلى من طلبة الأزهر ، فلقد قامت مظاهرة كبيرة من طلبة الأزهر وســـاروا بموكبهـــم الى الغورية فالحلمية الجديدة ، حيث التقوا بجمهور من طلبة المدارس العالية والخصوصية وساروا الى المحكمة الشرعية بشارع نور الظلام ، وهزت هتافاتهم للحرية والاستقلال وقـــادة الثورة المنطقة كلها ، فأمـــرت المحكمة القضاة والموظفين بالانصراف وأطلق الجنود البريطانيون الرصاص عليهم فسقط منهم القتلى والجرحى(١٢٩) ٠

وتتكرر أعمال الرعاع والشغب ، ويجد الطلبة أنفسهم ربما كانوا محل اتهام بها ، فيصدرون بيانا ، يبرئون فيه أنفسهم من هذه الأعمال ، وجاء فيه « : قال بعضهم ان الطلبة هم الذين ارتكبوا مستنكرات الأمس ، ولكن يعلم الله أنهم براء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وجل ماعملوه هو مظاهرة سلمية اظهارا لعواطفهم ٠٠ وعليه يعلن الطلبة انهم لم يحرضوا على أى عمل مما حصل ، لأن ذلك مخالف لتعاليمهم السلمية البحتة ، والله يشهد بأن الطلبة أنفسهم

كانوا يهدئون الرعاع ، ويقللون من حدتهم مااستطاعوا الى ذلك سبيلا »(١٣٠) ·

وتعلق الصحف على ذلك البيان ، بأنه لايخطر على بال أى اجنبى أن يسىء الظن بالطلبة فهم من الأمة ، وأنه اذا بدر من بعض السوقة شيء فهذا أمر موجود فى كل أمة ، وأعمال فردية لاتنسب للمجموع ، لا سيما اذا أعلن المجموع براءته منها(١٣١) ·

ويشتد الضغط على الطلبة والمتظاهرين وتهدد السلطات العسكرية فى بيان جديد يوم ١٤ مارس ، ازاء تفاقم الأحوال واستمرار المظاهرات . باطلاق الرصاص على من يعتدى على الدوريات بالطوب ·· الخ ، وعلى الرعاع وهم ينهبون المحلات والدكاكين(١٣٢) ، ومع ذلك تستمر المظاهرات فى نفس اليوم ، فلقد اجتمع الطلبة قريبا من مسجد الامام الحسين وأرادوا السير فمنعهم البوليس ، وبعد قليل وصلت سيارة مدرعة محملة بالجنود ، وحاول الضابط تفرقة المتظاهرين ولكن اعتدى على اثنين من الجنود ، فاطلق الجنود النيران على الطلبة فأصابوا منهم ١٢ طالبا وتشتت بعد ذلك المتظاهرون ، ويذكر الطلبة أن الرعاع هم الذين اعتدوا على الاثنين من الجنود البريطانيين(١٣٣) ، ويؤكد تشيرول أن الجنود البريطانيين كانوا فى حالة دفاع ، فيقول أنه فى يوم ١٤ مارس وهو يوم جمعة عقد مؤتمر بالأزهر عقب الصلاة ، وشاهد أعضاؤه بعد خروجهم من بعد سيارة لورى عليها بعض الجنود الانجليز المسلحة ، فكانت صيحات المتظاهرين واندفاعهم تجاهها فرد الجنود باطلاق النار ·(١٣٤) ، ولقد احتج الأطباء بالقصر العينى لمدير مصلحة الصحة وهو انجليزى ، لاستخدام الجنود الانجليز النار فى تفريق المتظاهرين المجتمعين لغرض سلمى ، وهى غير مسلحة «ورأينا من بين المصابين أطفالا ونساء قتلى وجرحى ولايمكن مطلقا

أن يكون قد وقع منهم أى اعتداء على السلطة ، كما رأينا أن عددا ليس بالقليل من الجرحى مصابون اصابات خطيرة متهتكة فى البطن والصدر ، مما يدل على أن ضربهم بالرصاص كان اعتباطا وبغير مبالاة ، ولم يكن الغرض منـــه كمـــا هو اللازم مجرد تخويفهـــم وتفريقهم ٠٠ »(١٣٥) ٠

ويعاود الطلبة تأكيدهم على براءتهم من أعمال الشـــغب ، ويصدر طلبة الأزهر منشورا يؤكد هذا المعنى ، محذرين اخوانهم من الرعاع ، ومما يؤكد نيتهم الحسنة أن بعض الرعاع كانوا يسيرون بعصيهم بميدان الأوبرا ، فلما رآهم الشباب انبروا اليهم ونزعوا منهم العصى ، ونصحوهم بوجوب التزام الهدوء والسكينة ، وكان لذلك أثره الحسن فى نفوس الأجانب الذين كانوا ينظرون الى أعمال هؤلاء الشباب(١٣٦) ٠ ويؤكد طلبة المدارس العليا ، مانشره الأزهريون باذاعتهم منشورا جديدا باللغتين الانجليزية والفرنسـية تضـــمن التزامهـــم بالهدوء والســـكينة وحرصهم على مصـــلحة الوطن واحترامهم للأجانب(١٣٧) ٠ وهو موقف تناولته الصحف المصـــرية والأجنبية بالثناء والشكر ، فتقول احدى الصحف « ولهذا فاننا نشكر بلسان الوطن المحبوب الذى هو محط آمالنا وموضع رجائنا جميعا ، هؤلاء الطلاب العقلاء ونأمل أن يعم هذا المبدأ جميع أبناء الأمة ٠٠ » وقالت جريدة جورنال دى لاكبر « ٠٠ ولكننا نذكر فقط الاهتمـام العظيم الذى أبداه طلبة المدارس العليا والثانوية وطلبة الأزهر ، بتبرئهم أولا من تبعة الاعمال العدائية التى عكرت صفاء مظاهراتهم السلمية ، وباجتهادهم ثانيا فى الا يتسرب أى قلق الى الأوروبيين والأهالى بوجه عام ، حتى انه لم يحدث لافى مصر ولافى الاسكندرية ولافى أى مدينة أخرى أى حادث عدائى ضد الأوروبيين ، بل ان كثيرا من الأوروبيين أنفسهم ، كانوا يتبعون هذه المظـــاهرات فى

سيرها بنفوس مطمئنة ٠٠ »(١٣٨) ٠ ويتقدم الطلاب ـ وهم قـادة الحركة ـ بالشكر لهذه الصحيفة التى شهدت بسلمية مظاهراتهم وتبرئتهم من الاعتداءات ، وأنهم أى الطلاب لايتعجبون لموقفها منهم ، فهم يعلمون انها « من أمة تشبعت بحب العـــدل فرفعت على رأس العالم علم الحقيقة فى ثوبها الحريرى الجميل ٠٠ »(١٣٩) ٠

وتستمر المظاهرات ويعتصم عمال العنابر ببولاق ، ويؤلفون مظاهرة تأييدا للطلبة فى ١٥ مارس ، كما بدأت المحاكم العسكرية أعمالها فى ذلك اليوم ، وكانت العقوبة تتروح بين الحبس مع الشغل لمدة شهرين ، أو خمس عشرة جلدة وغرامة عشرة جنيهات ، وأخذت السلطة الانجليزية تفرج عن بعض الطلبة بعد تعهد من ولى الأمر بعدم العودة الى الانضمام الى المواكب مرة أخرى(١٤٠) ، كما أذنت السلطة العسكرية للطلبة المعتقلين فى القلعة بالكتابة الى ذويهم بطلب ما يحتاجونه من ملابس وغيرها ، كما صدرت الأوامر الى المدرسين بالعودة الى المدارس لانتظار من يعود من الطلبة ٠ وتستمر حركة المظاهرات وشرعت مشيخة الأزهر فى صرف الطلبة وأمرتهم بالسفر الى أهليهم(١٤١) ٠ وهو أمر جدير بالملاحظة والاهتمام اذ سيكون له أثره فى انتشار الثورة فى الأقاليم والقرى وزيادة فاعليتها وتتحرك نساء مصر وآنساتها يوم ١٦ مارس فى موكب كبير ، ولقد شاركت الطالبات بل والطلبة فى هذا الموكب النسائى العظيم ، فلقد تقدم وفد من سيدات مصر الى الجنرال واطســـون ، يطلبن الاذن بقيام مظاهرة نسائية ، ولم ينجح سعى رسل ولا حاكم القاهرة فى اقناعهن بالعدول ، وصدرت التعليمات بمنـــع المظاهرة بالقوة ٠ ووافق رسل والجنرال واطسون على خطورة السماح لهن بما يردن فان الجماهير وأعدادا كبيرة من الطلبة ســـيكونون قادرين على التظاهر بخزية فى مظاهرة النساء ، ويستغلون وجودهن كحماية

لهم من البوليس والقوات الانجليزية ، ورغم ذلك قـــامت المظاهرة واتجهت الى بيت الأمة وحاصرتها الجنود(١٤٢) ٠

وكان موكب السيدات موكبا فخما ، يتقدمه أربعة من طلبـــة الأزهر ، أمسك كل واحد منهم بطرف العلم المصرى ، منبسطا مثلما يفعل المسيحيون فى بساط الرحمة عند تشييع موتاهم ، ووضــــع الصليب داخل الهلال موضع النجوم فى هذا العلم ، وخلف الأربعة الأزهريين أزهريان يحملان علما آخر رسم فى اعلاه هلال معانق الصليب ، وكتب على العلم عبارة « الحرية من آيات الله ، الحرية غذاؤنا والاستقلال حياتنا » ٠ وسارت السيدات صفين على جانب الطريق تتوسطهن واحدة حاملة علما أبيض دليل السلام وفيه الهلال بلون أحمر ، ولقد بلغ عدد السيدات المنتظمات فى صفين ٣٢٠ سيدة وخلف الصفين سبع سيدات سرن صفا واحدا بعرض الطريق ، وفى أيديهن عرائض بها مطالب المصريين وفى مقدمتها الاستقلال(١٤٣) ٠

واستطاعت السيدات أن تفك الحصار المضــــروب عليهــن ، بواسطة الجنود البريطانيين اذ تقدمت حاملة العلم الى الضابط الانجليزى القابضة يده على المسدس ، وقالت وهى تكشف صدرها بيسراها بالانجليزية ، « هذا صدرى فهات ماعندك ٠ نحن لانهاب الموت ولتكن فى مصر مس كافل أخرى » فرضخ الضابط وأفسح لهن الطريق(١٤٤) ٠

وتقدم السيدات باحتجاجهن الى معتمدى الدول على حصارهن وسوء معاملتهن ، كما تقدمن بعريضتهن الى المعتمد البريطانى ،يعلن فيها احتجاجهن على سوء معاملة المصريين ، ويطلبن من المعتمد رفع هذه العريضة الى دولته « المبجلة لأنها أخذت على عاتقها تنفيـذ المبادىء المذكورة والعمـل عليها ونرجوكــم ابلاغهــا مارأيتموه

وما شاهده رعاياكم المحترمون من أعمال الوحشية واطلاق الرصاص على الأبناء والاطفال والاولاد والرجال العزل من السلاح ، لمجرد احتجاجهم بطريق المظاهرات السلمية على منع المصريين من السفر للخارج .. »(١٤٥) .

ولقد ذاعت اخبار لها شواهد تؤيدها وهي أن الانجليز كانوا في الأيام الماضية قد بثوا في أرجاء القاهرة وعلى أفواه طرقهـا وبعض الأقسام فيها جندا استراليـا ، وافهموا أولئـك الجند أن المصريين انما قاموا بهذه المظاهرات كراهة للجنود الاسـترالية ، ويتحمل مسئولية التصدى لهذا القول الطلبة وهم قيادة العمـل ، فاذاعوا نشرة مطبوعة بالانجليزية أعلنوا فيها أنهم يحترمون الجيش الانجليزى ، وأن ليس في قلوبهم ضغينة عليه ، وانهـم يقومـون بمظاهراتهم في سبيل حرية واستقلال بلادهم التى يريد الاستعمار البريطانى التهامها وقد « استحلفوهـم بالشـرف العسكرى ان لا يهـاجموا قومـا عزلا من السـلاح ، وألا يكونوا آلات في أيدى المستعمرين .. » وكان لهذا المنشور أثر اذ ظهر عطف الجنود على المصريين ، بل وأدى ذلك الى الشقاق بين الجند الانجليز والجند الاستراليين بالهرم ، وتم سحب الاسـتراليين من حراسة الطرق والأقسام وحل محلهم جند انجليز(١٤٦) .

وفى ١٧ مارس ١٩١٩ يتوجه مندوبون عن طلبة الأزهر الى مقر القيادة للحصول على اذن لمظاهراتهم ، ولكن القيادة رفضت التصريح بها وطلبت منهم العودة سريعا لأخوانهم وزملائهم ليمنعوا الطلبة من الخروج ، وأجاب طلبة الأزهر بأنهم سيحاولون قـدر استطاعتهم ، ولكن كان موكب الطلبة قد بدأ في المسير(١٤٧) ، ففى الصباح الباكر لهذا اليوم ، اجتمع بمسجد الأزهر الشريف طلبـة

الأزهر وطلبة القضاء الشرعى والمدارس العالية والثانوية ، وكانت الخطب تحث كلها على السكون ومراعاة الأجانب ، وخرج هذا الجمع بصورة منظمة فى الثامنة صباحا ، وانضم اليهم عمال ورش السكة الحديد(١٤٨) ، ولقد بدأ الموكب بسيارة رسل باشا فى المقدمة الذى رأى أن أى محاولة لايقاف الموكب ستؤدى الى اراقة الدماء وحدوث مالا تحمد عقباه(١٤٩) ، وتقدم الموكب علم أبيض كتب عليه كلمة « الاستقلال » وتحتها بخط فارسى جميل ، مدرسة القضاء الشرعى » وخلفه طلبة المدرسة وطلبة الأزهر ، وبعد أن مر الف وخمسمائة طالب اذ بعلم أحمر كتب عليه بالقماش الأبيض « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا » وخلفه بقية طلبة الأزهر ، وبعد أن مر حوالى الف وخمسمائة طالب اذ بعلم مصرى آخر وخلفه طلبة المدارس ثم علم آخر كتب عليه « العمال » وهكذا(١٥٠) · ولقد وزع الطلبة منشورا باللغتين الفرنسية والانجليزية موجها الى الأجانب ، الى «ضيوفنا من جميع الأجناس » أشاروا فيه الى مظاهراتهم السلمية ، واستشهدوهم أمام العالم على « التؤدة والهوادة وتخييم السلام على ربوع مصر»(١٥١) · وسارت هذه المظاهرة من الأزهر الى الغورية الى قصبة رضوان والحلمية الجديدة وعابدين وميدان الازهار وشارع البستان فقصر الدوبارة فالقصر العالى ثم شارع سليمان فشارع مظلوم فشارع الساحة فشارع المدابغ فميدان الأوبرا فشارع عباس حيث انتهت المظاهرة برجاء من رسل بعد أن استمر سيرها ٨ ساعات(١٥٢) · ولقد ركب بجوار رسل ثلاثة من طلبة الأزهر وقد تعهدوا لرسل بأنهم سيشرفون على النظام ، وأنه لاخوف على الامن من الأشخاص الذين لايعرفون واجبهم(١٥٣) ، وكانت هتافاتهم بحياة الاستقلال ومصر والحرية وسعد «.واحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » · وتحمل المتظاهرون

مسئولية النظام كاملا فكان لكل طائفة بوليس خاص مسلح بالهراوى يبعد عنهم الزعانف وحثالة الناس ، ومنهم من يحمل القرب والقلل للسقاية ، وكان الناس يخرجون اليهم بالماء وبعض الناس يسقيهم الماء المحلى بالسكر ، وقد صفق لهم الأهالى(١٥٤) • وبينما تسـير المظاهرة فان الآلاف من طلبة المدارس الحكومية وآخرين انضموا اليها ، وكان هناك اصرار على زيارة القنصليات الأجنبية للاعراب عن احتجاجهم للقبض على سعد ، وقرروا أن تكون زيارتهم للقنصلية الامريكية القريبة من البريطانية بقصر الدوبارة ، وتستمر المظاهرة فى سلام • وحرصا من رسل على عدم الاحتكاك وعدم ظهور قوات بريطانية قد تثير الجمـــاهير ، فقد شـــاهد مجموعة من القوات الاسترالية بعصيانهم ، فنزل من العربة بعد أن اقنع طلبة الأزهر الذين طلبوا منه عدم تركهم بأن نزوله من اجل كوب ماء من قهوة قريبة ، وطلب رسل من الجنود الانزواء فى شارع جانبـى ، ورجـــع الى سيارته ولم يشاهد أحد ماحدث فى الشارع الجانبى ، ومن ناحية أخرى لم يكن الأزهريون يرغبون فى أحداث متاعب ، وغالبا ماكانت قيادتهم تشق طريقها الى رسل خلال الموكب،وتسأله عما اذا كان راضيا عن النظام الذى تحافظ عليه بالمؤخرة وكانت اجابة رســـل أنه طالما أنهم يحافظون على النظام ، فانه يضمن لهم عدم ضربهم بالرصاص من قبل الجنود(١٥٥) •

ولقد أثنى البلاغ الرسمى على منظمى المظاهرة وهم من الطلبة فلم تحدث فيها حوادث سيئة « وذلك لحسن الاحتياطات التى اتخذها ولاة الأمور ومنظموا المظاهرة » • كما أبدى رسل اعجابه الشديد بسلميتها(١٥٦) • ولقد أعجبت جريدة الجورنال دى لاكير بحســن نظام المظاهرة وأكدت على الاهتمام العظيم الذى يظهره الطلبة سواء طلبة الأزهر أو طلبة المدارس بالتنصل من كل تآزر مع المتهوســين

واجتناب كل مايحدث ويثير أدنى قلق لدى الأوروبيين(١٥٧) ، وعلقت جريدة الأهالى على هذه الشهادة قائلة « وماكانت شهادتها هذه الا مؤيدة لشهادة الجمهور والجمهور الأوروبى على الخصوص»(١٥٨) ٠

ولكن سلمية هذه المظاهرة لم تتم ، ولكن لأمر خارج عن ارادة المتظاهرين ، فقد أطلقت عدة طلقات من نوافذ بعض البيوت ، ومن مصدر غير معروف ولم تعرف الحقيقة ساعاتها ، هل هم انجليز أم أرمن ؟ ومع ذلك لم يضطرب الموقف وان كان حدث رد فعل بهجوم بعض المتظاهرين على بعض المتاجر الأجنبية فحطموها ، ولكن هذه الحركة أوقفت فى الحال بفضل حكمة منظمى المظاهرة الذين أبلغوا احتجاجهم الى معتمدى الدول الأجنبية(١٥٩) ٠

وفى تقرير شيتام يصف هذه المظاهرة بأنه اشترك فيها عشرة آلاف كانوا يهتفون للهيئات الفرنسية والايطاليـــة والامريكية ، وأن طلبة الأزهر كانوا يقودون المظاهرة يتبعهم غيرهم من الطلبة وأنها كانت منظمة على أحسن وجه ، ولم يقع مايكدر الصفو الا عندمـا أطلق أحد اليونانيين النار على طالب يحمل العلم ، فارداه قتيـــلا وقبض عليه وسيقدم للمحاكمة وتفرقت المظاهرة(١٦٠) ٠ وفى اثنـــاء هذه المظاهرة وزع الطلبة منشورا يدعو للتظاهر فى اليوم التالى فى موكب يشترك فيه طلبة الأزهر والمدارس العليا والمحامون والأطباء ، للمرور بجميع السفارات والأحياء الافرنجية وجاء فيـــه تنظيمـا للهتاف بأن « لاينادى أحد الا وراء المكلفين بالمناداة وباللغة التى ينادى بها ٠٠»(١٦١) ، ولكن السلطة العسكرية أصدرت قرارا بمنع أية اجتماعات عمومية أو مظاهرات أو مواكب ، ولتنفيذ ذلك نصبت المدافع السريعة الطلقات فى الميادين الهامة كالأوبرا وباب الحديد وميدان العتبة والأزهار ومواقع أخرى ، ورابط بجـــانبها الجنود والفرسان المسلحون(١٦٢) ٠ واتخذت الحيطة أيضا فى ناحية الأزهر

فاغلقت الطرق فى جهة الصنادقية والغورية ودرب سعادة والنحاسين والعتبة الخضراء ، حتى تعسر المرور للنـــاس لقضاء حوائجهم ، وانتهى الأمر دون أن تقوم هذه المظاهرة الكبـرى علي الرغـــم من المحاولات الشديدة لقيامها(١٦٣) ٠

وعلى الرغم من هذا الحظر فان بعض العمــال اجتمعوا عند كوبرى شبرا ، وساروا فى موكب مع بعض الطلبة ففرقتهم القوات الانجليزية ، واجتمع الحوذية فى جهة المدبح وانضم اليهم سكان هذه الجهة وساروا الى مدرسة الطب حيث أنضم اليهم طلبتها ، وسرعان ماتفرقت هذه المواكب(١٦٤) ، كما حدث فى حى الأزهر أن الف جماعة كبيرة من طلبة المدارس ، موكبا انضم اليه كثيرون من الناس وسارت المظاهرة واصطدمت بشارع الصنادقية بقـــوة من الانجليز كانوا محاصرين لهذه المنطقة وسقط القتلى والجرحى(١٦٥) ، كما تظاهر العمال مع الطلبة ببولاق متوجهين الى الأزهر الشـــريف ، وحدث احتكاك بالقـــرب من كوبرى أبو العـــلا ســـقط فيه الجرحـــى والشهداء(١٦٦) ٠

ومن هذا العرض السريع بصفة عامة ومن مظاهرة يوم ١٧ مارس تتضح بعض الحقائق :

أولا : ان القيادة فى الحركة الوطنية الجماهيرية حتى ذلك التاريخ كانت للطلبة ، فهم المتحملون للمسئولية كاملة ، وفى هذه المظاهرة من أول بدئها حتى انتهائها كانوا حاملين عبء النظام فيها ، مدافعين عن حركتهم ، موضحين وجهة نظرهم للأجانب ٠٠

ثانيا : لم تكن حركة الطلاب بعيدة عن الجماهير ، بل هـــم محركون لهم ، وانضم اليهم العمال وغيرهم ، والى جانب مظاهراتهم للاحتجاج أمام قناصـــل الدول الأجنبية ، كانت لهـــم مظاهرات فى

الأحياء الشعبية محركين لأهلها فى صالح القضية المصرية وضـد الانجليز ، وكانت الدعوة لمظاهرة ١٨ مارس من الطلبة ، أى أنهم كانوا القيادات الفعلية على المسرح السياسى فى مصر مؤكدين فى كل خطوة يخطونها أن هدفهم سلمى ، هو الاعلان عن احتجاجهم ومطالب الأمة ٠

الثورة فى الاقاليم :

وننتقل سريعا لنستعرض بايجاز حوادث الثورة فى الاقاليم بعد هذا الحد من حوادث القاهرة ، بهدف اظهـــار دور الطلبة فى أقاليم وقرى مصر ٠ فلقد امتدت المظاهرات بين ســـائر المثقفين امتدادا أفقيا من القاهرة الى سائر المدن:الاسكندرية،طنطا، زفتى ، منيا القمح ، رشيد ، شربين وبنها والسنطة وطلخا وبنى سويف ودمنهور ، المنصورة ، شبين الكوم ، الزقازيق،المنيا،الفيوم، أسيوط وغيرها من سائر مدن مصر(١٦٧) ، ومما ساعد على انتشار الثورة فى هذه الأقاليم وغيرها من أرجاء البلاد ، انتقال كثير من طلبـــة القاهرة الى بلادهم وقراهم بعد اضراب مدارسهم واغلاقها ، فحملوا معهم الى أهليهم ومواطنيهم الافكار الثورية وأساليبها ، وكان ذلك فى وقت كل النفوس مستعدة لتلبية أى نداء(١٦٨) ٠ ويذكر رســـل أن الحالة خارج القاهرة كانت سيئة فان رسل الطلبة قد أرسلوا من القاهرة الى جميع انحاء القطر ، ونشروا القصص الغير حقيقة عن اطلاق النيران فى العاصمة بواسطة القوات البريطانية(١٦٩) أى انهم مهما كان الأمر مبعوثون للثورة فى أرجاء مصر ٠

ففى المدن الكبرى كالاسكندرية وطنطا والمنصورة وأســيوط وغيرها كان طلبة المدارس أول المتحركين للثورة فأضربوا عن تلقى الدروس وساروا بمظاهراتهم فتحرك بقية أفراد الشعب ، فينضـــم

اليهم ، ويهاجم الجميع مركز البوليس ، أو محطـــة ســـكة حديد ليشعلوا فيها النيران ، ويقطعوا أسلاك التلغراف والتليفون ، ويكون الاستشهاد والجرحى برصاص الانجليز(١٧٠) ٠

ولم يكن دور الطلبة قاصرا على ضربة البداية فحسب وهو عمل خالد بلا شك ، بل استمروا فى حركتهم فمثلا تشين الوطن عن مظاهرات للطلبة بأسيوط فى ٢٠ مارس فنقول انه اجتمع « طلبة مدارس الامريكان وويصـــا والجمعية الخيرية والثانوية الأميريـة والنهضة والاقباط العالية والمعهد بأسيوط بفنـــاء كلية الامريكان وقاموا بمظاهرة سلمية وقام جمهور من الأهالى معهم على اختلاف طبقاتهم وطافوا شوارع المدينة ولم يحدث مايكدر صفو الأمن العام مما يبرهن ان المصريين أمة مسالمة ٠٠ »(١٧١) ٠

ولقد شارك طلبة المعاهد الدينية بالاقاليم بدور أساسى فى حركة الطلبة كما حدث فى أسيوط والمنيا والاســـكندرية وطنطا ودميـاط وغيرها(١٧٢) ٠

ولم يكن الشهداء قاصرين على القاهرة ، بل وحظيت الأقاليم كذلك بشهدائها نتيجة لاستعمال العنف من قبل الانجليز ، كأسيوط والمنيا وطنطا التى زعمت السلطات بأن المتظاهرين كان هدفهم محطة السكة الحديد(١٧٣) ، وهو زعم يؤكده تشيرول وان اطلاق النار كان لصد هذا الهجوم(١٧٤) ، ولقد احتـــج الشيخ الظواهــــرى لمفتش الداخلية الانجليزى على ضرب الجنود لطلبة المعهد الدينى بالرصاص فى مظاهراتهم ، وقد هدده مفتش الداخلية ، فرد عليه أنه اذا اعتقله الانجليز لدفاعه عن أرواح المصريين فهذا مايشرفه(١٧٥) ، وكذلك كان الشـــهداء فى المنصـــورة ودمنهور والزقـازيق وبور ســـعيد والاسكندرية وغيرها(١٧٦) ٠

كما نجح الطلبة فى الاقاليم من ضم الاهالى الى مظاهراتهم بل والتحم الطلبة مع العمال فى المراكز الصناعية كالمحلة الكبرى والاسكندرية(١٧٧) ، وشابهت الاقاليم القاهرة فى اتخاذها الأزهر مركزا للثورة يؤمه الطلبة مع غيرهم ، فاتخذت طنطا الجامع الأحمدى ، والاسكندرية سيدى أبو العباس ، ودمياط مسجد المتبولى، وسمنود مسجد المتولى .. الخ .

أما الاسكندرية :

بدأت بها الثورة فى ١٢ مارس وعلى يد الطلاب ، فقد انتقلت أخبار القاهرة الى الاسكندرية ، فاتفق الطلبة بالمدارس الأهلية والاميرية والمعاهد الدينية على الاضراب ، فتحركت من مسجد أبى العباس ـ الذى اتخذه جمهور الاسكندرية قاعدة لمظاهراتهم طوال الثورة ـ وكان هتافهم للحرية والاستقلال واتجهوا الى دار المحافظة القديمة بشارع رأس التين ، وفى الطريق أدركهم الأميرالاى جارفز بك حكمدار الاسكندرية ، يصحبه المستر انجرام مأمور الضبط فأمر مأمور قسم الجمرك بتفريق المتظاهرين تنفيذا للأمر العسكرى بمنع التظاهر والاجتماعات ولم يستمع المتظاهرون ، وواصلوا سيرهم الى ميدان محمد على حيث صدتهم قوة من رجال البوليس الملكى والنظامى وقوة من رجال الخفر ، فحجزت المتجمهرين فى الجهة البحرية للمدينة ، ولم تمكنهم من الوصول الى ميدان محمد على ، وكانت المظاهرة سلمية ، ولم يقع أى اعتداء على المتاجر وقبض على ٥٠ شخصا من المتظاهرين(١٧٨) ، ومالبث أن انضم العمال للطلبة وهم عمال السكة الحديد والفنارات وورش الحكومة(١٧٩) .

ولقد وصفت جريدة البورص اجبشيان التى تصدر بالاسكندرية مظاهرات اليوم الأول بالثغر ، وأكدت على سلميتها فلم « يشب

النظام فى الاسكندرية أمس أدنى شائبة بحيث لم يجىء الظهر حتى كانت المدينة قد عادت الى سكينتها العادية ، وكان بعض التجار قد اقفلوا حوانيتهم حين سمعوا أن هناك مظاهرة ، فلم يلبثوا أن عادوا ففتحوها حين شاهدوا أن المظاهرة سلمية »(١٨٠) ٠

وتستمر المظاهرات ففى يوم ١٥ مارس يخرج طلبة المعاهد الدينية والعلمية من المسجد العباسى الى شـــوارع الاســـكندرية وطابعها الهدوء والسكينة التامة ، بل وكان الطلبة يحضون بعضهم بعضا على ضرورة التزام الهدوء والنظام ، وكلما اقترب منهـــم أحد من الرعاع أبعدوه عنهم ، وأكثر من ذلك يصدر طلبة الاسكندرية خطابا للمصريين يحرصون فيه على سلمية الحركة والبعد عن الشغب والأسف لما حدث اثناء مظاهرات الطلبة فى البلاد الأخرى(١٨١) ٠

وفى اليوم التالى استؤنفت المظاهرات ، ولقد صورتها جريدة الريفورم فى ١٧ مارس تصويرا يعبر عن سلمية المظاهرات بشكل جدى من جانب الطلاب ، فذكرت ان الاسكندرية لم تشهد مثلها منذ سنوات ، وتحمل عبئها طلبة العلم الدينى والمدارس المصرية وبلغ عددهم ٨٫٠٠٠ وكانوا يهتفون للحرية ولرشدى باشا ولسعد باشا ، وكان النظام شاملا حتى ان الطلبة أنفسهم أخذوا يطردون المتشردين وغيرهم من المشبوهين ، الذين كانوا يندسون بين صفوفهم ، وقابلت النسوة المظاهرة بالابتهاج ، وخطب فيهم أحد الطلبـــة حاثا على السكينة ، وكذلك أحد طلبة الأزهر وغيرهم بما يناسب المقام ، وتجمع كلها على الحرص على الهدوء والسكينة ، وبعد أن قدم المتظاهرون العريضة للمحافظ ، ساروا فى الشوارع هاتفين للحرية وارتفعت هتافاتهم عند مرورهم بجانب قنصلية امريكا(١٨٢) ٠

ويستمر الطلبة مع العمال بالاسكندرية فى مظاهراتهم ، ففى ١٧ مارس تكون الموكب من طلبة المدارس الثانوية ومدرسة محمد على

الصناعية والمعاهد الدينية والعمال ، وساروا فى شوارع الثغر ولكن كانت القوات البريطانية منتشرة فى كل مكان ، فتعرضت هذه المظاهرة اثناء سيرها من ميدان أبى العباس الى الانفوشى لمصادمات الجنود ونيرانهم ، الأمر الذى ادى الى مقتل ١٦ ، ٢٤ جريحا من بينهم طلبة واعتقل الكثير من العمال والطلبة ، وبلغ عدد المعتقلين من المعهد الدينى فقط ٤١٥ طالبا(١٨٣) ٠

ويتقدم الطلبة يستأذنون السلطة العسكرية للقيام بمظاهرة يوم ٣٠ مارس ، فترفض السلطات الطلب وترسل اليهم بأنه « بناء على طلبهم القيام بمظاهرة يوم ٣٠ الجارى أبلغكم أنه بما أن البلاد لاتزال خاضعة للأحكام العسكرية فلا يسمح بالاجتماعات العمومية »(١٨٤) ، ورغم ذلك يستمر الطلبة بالثغر فى اداء دورهم الطليعى فى أحداث الثورة بالاسكندرية رغم طلقات الرصاص ٠

أما فى القرى فالطلبة لهم دور أساسى بجوار الفلاحين ، ويذكر ملنر فى تقريره عن حوادث مارس عن الفلاحين فيقول « ٠٠ ولاينكر أن هذه الملايين التى تجهل القراءة والكتابة لاتبالى بالحركة الوطنية، من حيث كونها مذهبا سياسيا ولكن يسهل تعليمها ترديد الألفاظ المستحبة التى تصير شعارا لها ، والمتطرف لايحاول اكتساب تأييدها بالحجج السياسية المحضة كما يحاول ذلك بالطعن دائما فى ماهو انجليزى ، وبنسبة كل نكبة تصيب البلاد وكل ظلامة شخصية الى خبث الموظفين البريطانيين ، أو عدم كفاءتهم فهذه الحرب القائمة بتسويد كل شىء تسويدا كاذبا ، يديرها كثيرون من خطباء الجوامع والطلبة الذين يعودون الى بلادهم أيام عطلة المدارس ، وجميع الصحف العربية الا القليل منها ، والفلاح وان كان لايقرأ بنفسه يصغى الى من يقرأ له فاذا كان كل مايقال ويكتب فيه يوجه الى جهة واحدة، فلابد أن الاكاذيب التى تنفث كلها فيه على الدوام تسمم عقله

أخيرا ..»(١٨٥) ، يضاف الى ذلك أن الطلبة تنتشر عائلاتهم فى أرجاء البلاد ، ولاشك أنهم رأوا وعلموا من اهــراق دم الشـــبيبة المتعلمة أمل المستقبل ، وهو أمر بلاشك له أثره الضار ضد الاستعمار لأنه يتصل بأفلاذ أكبادهم .

ولقد تمت حوادث الاقاليم بغير ايحاء ولاتدبير فلم يكن هناك لجان يجوز أن يقال انها اتفقت على تنفيذ خطة مرسومة فى جميع الأقاليم ، ولم يكن خبر السكة الحديد بين طنطا وتلا قد شاع حتى يمكن أن يقال انه كان بمثابة الايحاء ، « وانما نجحت الثورة من بديهة الامة كلها لأنها على اتفاق فى الغضب المكظوم والتأفف الذى بلغ مداه »(١٨٦) .

ونستطيع أن نقول ان الطلبة كانوا هم الطليعة لثورة ١٩١٩ فى أقاليم القطر ، كما كانوا فى القاهرة . ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة ، فلهم ضربة البداية وهى ليست عملية ســـهلة هينة اذا ماتصورنا الاحتلال والجنود البريطانيين والاســـتراليين والهنود ، وطلقات البنادق والقتلى من الطلبة وغيرهم . ومع ذلك واصلوا واستمروا كما أن انضمام الجماهير لايقلل من دورهم بل بالعكس يتعاظم هذا الدور ، فلهم غالبا القيادة كما أن لهم البداية وهى مسئولية أخطر وأعظم ــ هذا من ناحية ــ ومن ناحية أخرى ،فان هذا الانضمام يعنى جماهيرية حركتهم وتأكيد لوطنيتها ، وقلما تجـــد حدثا يخلو من أياد طلابية ، فقضية ديراموس وهى تتلخص فى قتل ضابط وجنود انجليز فى هجوم على القطار المقل لجنود بريطانيين ، وبلغ عـــدد المتهمين فى هذه القضية ٩١ متهما من بينهم طلبة(١٨٧) .

واذا كان عدد الطلبة فى قضية ديرمواس يبلغ حوالى أربعة فانه يزيد فى قضية ملوى ، الى جانب التجار والعمال والاهالى ،

وكانت التهمة هى تأليف جمعية سرية للتحريض على قطع السكة الحديد وتخريب الأملاك الحكومية ، واقامة المظاهرات وقتل الانجليز. وقد حوكموا أمام المحكمة العسكرية بأسيوط(١٨٨) ، وعموما لم يأت يوم ١٨ مارس حتى كانت الثورة قد انتشرت فى ارجاء مصر(١٨٩) ، وللطلبة الدور الأساسى فى أحداث الثورة ٠

اللنبى والثورة :

وكان لهذا الانتشار السريع للثورة ، ماجعل الوزراء البريطانيين يعتقدون أن مايحدث فى مصر ، ليس تعبيرا عن غضب أجوف يقضون عليه بنفى الزعماء وانما يواجهون حركة وطنية واسعة الانتشار عبر البلاد ، ورأت الحكومة البريطانية لمواجهة الموقف أن تعين شخصية معروفة للعمل فى مصر وكانت هذه الشخصية هى الجنرال اللنبى(١٩٠) ، ليعمل مندوبا ساميا وليتولى السلطة العليا فى الأمور العسكرية والمدنية ، وكانت مهمته تنحصر فى اتخاذ الخطوات التى يراها لارجاع النظام والقانون ، وابقاء الحماية ووضعها على أسس ثابتة(١٩١) ٠

ومعنى هذا أن اللنبى جاء الى مصر ليقوم بمهمتين :

الأولى : القضاء على الثورة واعادة النظام باية وسيلة يراها..٠

الثانية : تثبيت الحماية واستمرارها فى مصر(١٩٢) ٠

وهذه المهام التى أوكلت لأللنبى ، وبالصيغة الصادرة بها تؤكد حرص بريطانيا على الحماية ، التى ثارت مصر ضدها ، فضلا عن أن تعيين اللنبى لهذه المهمة والثورة منتشرة ، يدل على اتجاهها فى قمع الثورة بقوة السلاح ، فاللنبى كان قائدا للقوات البريطانية

بمصر منذ ١٩١٧ كما تولى قيادة جيوش الحلفاء فى فلسطين وسوريا وله شهرته العسكرية لانتصاره هناك ، ووصل اللنبى الى القاهرة فى ٢٥ مارس ١٩١٩(١٩٣) ٠

وفى اليوم التالى استدعى بقية أعضاء الوفد الموجودين بالقاهرة ، وحسين رشدى وأعضاء وزارته المستقيلة ، وكبار الأعيان ليستمع منهم عن أسباب الشكوى ، ليمكنه ازالتها كما طلب منهم مساعدته ، ويقدم اليه أعضاء الوفد تقريرهم فى ٣٠ مارس عرضوا فيه خيبة أملهم فى تسوية المسألة المصرية بعد الحرب ، ومنع الوفد من السفر ليعرض القضية المصرية أمام الرأى العام العالمى ، فى حين سمح لوفود بلاد ليست أرقى من مصر ، بل والقت القبض على زعماء البلاد ونفتهم « الأمر الذى سبب قيام الطلبة ببعض المظاهرات السلمية احتجاجا على هذا الاجراء فقوبلت هذه المظاهرات العزلاء باطلاق الرصاص ، مما تسبب عنه اهراق الدماء فكان ذلك العنف هو النقطة الأخيرة التى فاض بها كأس الصبر فى نفوس أهل البلاد ٠٠ » وقدم الوفد النصيحة بتأليف وزارة تقدم لها ترضيات يرضى عنها الشعب للقضاء على الاضطراب والفوضى ، وهى النصيحة التى أيده فيها وجهاء البلاد علماء ووزراء ونواب وأعيان ، وصرحوا بها فى خطابهم السابق فى ٢٤ مارس للقائد العام(١٩٤) ٠

وفى ذات الوقت استمرت حركة القمع بعد وصول اللنبى فى ٢٥ مارس ١٩١٩ ، لتؤتى ثمراتها تحت اجراءات ملفن العسكرية(١٩٥) ولكن الموقف ازداد اضطرابا لتصريحات اللورد كيرزن وزير الخارجية فى مجلس اللوردات التى تضمنت أن بريطانيا ليس لديها مانع من استقبال وفد مكون من رشدى باشا وعدلى يكن ، وأن الحكومة ترفض الوفد وسعد زغلول ، لأنهم لايمثلون موقفا رسميا ، كما اكد التصريح موقف انجلترا بخصوص استمرار الحماية(١٩٦) ،

واستمرت المظـاهرات وفى ٢ ابريل قام تلاميذ مدرســتى الحربية والبوليس بمظاهرة عند قصر البستان ، وساروا أمــام دور بعض السفارات الأجنبية ، وكانوا هم وحدهم الذين لم يشتركوا مع الطلبة فى حركتهم(١٩٧) ، ولقد تضمن تقرير اللنبى الى ايرل كيرزون فى ٦ ابريل ١٩١٩ هذه الحادثة حيث أشـار الى خروج طلبة المدرســة الحربية من كليتهم «تضامنا مع طلبة المدارس الأخرى وتركوا خطابا الى مديرهم ، شرحوا فيه بأسلوب معتدل مهذب الأسباب التى دعتهم الى اتخاذ هذا الاجراء ، ورجوا الا يعتبر هذا الاجراء عصيانا ، حيث انهم قد تركوا سلاحهم ومعداتهم وممتلكاتهم الشخصية فى المدرسة ، وقد تظاهروا خارج قصر السلطان والوكالة الأمريكية بعد ان انضم اليهم بعض طلبة مدرسة البوليس »(١٩٨) .

واستمرت الدراسة معطلة فى المدارس العالية والثانوية(١٩٩) ، وفى ٢ ابريل استدعت دار الحماية شيخ الجامع الأزهر أبو الفضل الجيزاوى ، وطلبت منه غلق الأزهر ، ولكنه اعتذر حيث تقام فيــه الصلوات . وعندما علمت السلطات بنية عقد اجتماع به فى ٥ ابريل حاصرته ، وتم الاجتماع بمسجد بن طولون وحفر المتظاهرون الخنادق حول المسجد(٢٠٠) . ولكن الجند حاصروه وحدث تراشق بالطوب قابله الجند بالرصاص وقتل فيه طفل لايتجاوز العشر ســنوات ، ونتيجة لهذا الصدام كان القتلى والجرحــى وحاصــرته القوات البريطانية(٢٠١) .

وأرسل اللنبى الى لندن فى ٤ أبريل عن مكانــة الأزهر فى الثورة « وأن الحركة الوطنية التى كانت بدايتها سياســية بحتة أخذت طابعا دينيا ، وأصبح الجامع الازهر مركزا للاضطرابات ، تقال فيه الخطب التخريبية المهيجة طيلة النهار والليل ، ونسبة لقدسية

الجامع الأزهر فى كافة العالم الاسلامى ، لايمكن كبح جماحهم بالقوة وهناك أدلة على أن الحركة بدأت تؤثر فى فلسطين وسوريا فضلا على أثرها فى مصر والخطر أصبح حقيقة واضحة »(٢٠٢) ، وفى يوم ٦ ابريل كتب الى لنـــدن يقول « ولربما لـــم تكن حملة التخويف بالخطورة التى يخشاها ضحاياها ، ولكن المهم أنه نمت معها حملة أخطر من أعمال الشغب ـ فان العناصر الجاهلة الشديدة الحماس من بين طلبة الأزهر ، برهنوا على أنهم لايقيمون وزنا لكلام رؤسائهم من رجال الدين ، واصبح مسجدهم ملجأ ليليا لجماعات كبيرة من الناس يجتمعون فيه ليسمعوا خطبا من وعاظ غير مسئولين ، مليئة بكل مايدعوا الى الاذى والتعصب ، فكانت المدينة تعج بالنشرات التى تحتوى على مواد ملتهبة لاتحتاج الى جهد كبير لاشعالها(٢٠٣)

واذا كان ذلك المضمون يؤكد أهمية الأزهر وأنه مقر اجتماعات يومية يحضرها الطلبة وغيرهم ، فأنه بلا شك يعبر عن وجهة نظر استعمارية ، بعيدة عن المنطق الوطنى عندما يصف الأزهر بأنـــه مركز للاضطرابات والخطب التخريبية ذات الطابع الدينى ، والحق أنه مركز للثورة وتلقى فيه الخطب الوطنية ٠

ويشترك الموظفون مع الطلبة وغيرهم فى مظاهرة كبيرة فى ٣ ابريل ، وأطلقت النيران من منزل بعابدين يقال أنه لأرمنى ، فكان رد الفعل سيئا ، وحدث تصادم وقتل من المتظاهرين ٩ وجرح ٥٦ مواطنا ، وقتل فيها المستر ديكس رئيس تفتيش التذاكـر بالســكة الحديد ، واستمرت الاضطرابات فى اليوم التالى وخوفا من ردود الفعل السيئة نتيجة لاحداث ٣ ، ٤ ابريل ، خشى عقلاء الأمة ومنهم الطلبة عواقب الاعتداء على الأرمن ، فأصدروا بيانا الى الأمة جاء فيه :

« أيها المواطنون كل من يعتدى على أرمنى أو رومى أو أى أجنبى آخر ، لايكون وطنيا ولو كان مصريا ، ان من يفعل ذلك هو باليقين متشرد أو لص نهاب ، فالواجب عليكم كلما رأيتم شخصا من هذا القبيل ، ان تسرعوا وتعتقلوه وتسلموه الى أقرب نقطة من نقط البوليس »(٢٠٤) .

وهذا المنشور فى قمة الثورة ففى قمة العنف والتصادم مع القوات البريطانية ، وسقوط القتلى والجرحى ، يؤكد على سلمية الحركة التى تحدث فى مصر والحرص على سلامة الأجانب ، كما يشير من جهة أخرى على ان قيادة الطلبة للحركة الثورية فى مصر مازالت مستمرة ، ولها مكانتها الأولى حتى تلك الفترة ، وينشر وكيل بطريركية الارمن بيانا يعلن فيه أسفه ، ويتبرأ من كل أرمنى يرتكب مثل هذا الاجرام ، ويأمل مع أهل طائفتــه أن يكون اســناد هذه الحوادث للأرمن غير سليمة(٢٠٥) ، ويصدر السلطان بيانا يطلب فيه من المصريين التزام السكينة والهدوء(٢٠٦) .

ويواصل الطلبة كفاحهم وبصور شتى ، فيعرض طلبة السنوات النهائية بكلية الطب خدماتهم على جمعية الهــلال الاحمر ، التى تحملت مسئولية علاج المصابين اثناء المظاهــرات ، وترســل لهم الجمعية شاكرة عرضهم ، وانها ستستفيد من امكانياتهم كلما سنحت الفرصة(٢٠٧) .

وتستمر محاكمات الطلبة وغيرهم بتهمة التظاهر والتجمهر ، ونقــدم هنا نمــاذج لهذه الاحكــام حتى تكتمل الصورة لاطــار الحركة الطلابية والظروف القاسية التى عاشتها فى ظل الاحتلال، الى جانب الضرب بالنار ومانتج عنه القتل والاصابة ، ولقد تشــكلت

المحاكم العسكرية لهذا الغرض منذ ١٥ مارس وكان اطار أحكامها الحبس والجلد والغرامة ، وكان منها الغرامة بعشرة جنيهات على محمد حافظ جودت الطالب ، وان لم يدفعها يحبس شهرا مع الشغل ، ونفس العقوبة على عز الدين فهمي وعبد الحميد مهيب الطالبين(٢٠٨) وفي ١٧ مارس كان الحكم على عبد السلام الحمصاني بالالهامية الثانوية بـ ١٠ جنيهات غرامة أو سجن شهرا اذا امتنع عن الدفع، ويضرب عشر عصي ، ونفس العقوبة على زميله مصطفى محمد ، والسجن شهرين على زكي مصطفى بالرشاد الثانوية لضبط أوراق سياسية معه وهي عبارة عن أزجال ، وعلى محمد المهدي وفهمي ذهني بالسجن ٣ أشهر مع الشغل وقال رئيس المحكمة لفهمي ذهني ، ان تهمته هي أشد التهم لأنه كان يحمل علمـــا تركيا(٢٠٩) . وفي جلسة ١٨ مارس تحكم المحكمة العسكرية بالازبكية بغرامة جنيهين أو الحبس ٢١ يوما على ستة عشر طالبا من الازهر ، وبالغرامة خمسة جنيهات أو السجن شهر على عدد آخر من الطلبة(٢١٠) .

وتستمر المحاكمات ومعها حركة الطلاب في ثورة ١٩١٩ ، ومع اتســـاع الثورة بما انضم اليهم من العمـــال والفلاحين والمحامين والموظفين وغيرهم ، وعدم قدرة وسائل العنف أن تساعد السلطات العسكرية البريطانية في أن تضع نهاية للاضطرابات . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان لندن قد أصبحت متأكدة بأن الحلفاء في مؤتمر الصلح سوف يعترفون بالحماية البريطانية على مصـــر ، فلم يعد هناك خطر من اطلاق سراح سعد ومن معه ليعرضوا قضيتهم(٢١١) . فغيرت بريطانيا سياستها وأعلن الجنرال اللنبي في ٧ ابريل قراره بالافراج عن سعد وصحبه وأباحة السفر للمصريين ، وذلك في منشور جاء فيه « الآن وقد عاد النظام بنجاح عظيم فبالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السلطان أعلن انه لم يبق حجر على السفر ، وأن

جميع المصريين الذين يريدون مبارحة البلاد تكون لهم هذه الحرية ، وقد قررت علاوة على ذلك ان كلا من سعد زغلول باشا واسماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد باشا الباسل يطلقون من الاعتقال ويكون لهم كذلك حق السفر »[212] ٠

وتنتشر مظاهرات الفرح والابتهاج لهذا القرار ، الذى يمثل نتيجة كفاح المصريين ، ويعبر عن مرحلة جديدة فى الثورة المصرية ٠

هوامش الفصل الاول

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ط ٣ ، ص ٤٢ .

(٢) جمهورية مصر : القضية المصرية .. تقرير ملنر ص ٤٦ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٥٥ ، ٥٧ .

(٤) Symons Travers : Britain and Egypt, London 1925, P. 42.

(٥) جمهورية مصر : القضية المصرية تقرير ملنر ص ٤٩ .

(٦) نفس المصدر ص ٥٠ .

(٧) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ٣٦ ، ص ٨٣ .

(٨) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(٩) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٩٢ .

(١٠) Lloyd G. Egypt since Cromer Vol. I, London 1933. P. 287.

(١١) Marshall J., The Egyptian Engima, 1890 — 1928, London 1928 P.P. 159, 160.

(١٢) Lloyd : Op. cit., Vol I, P. 288.

(١٣) Vatikiotis P. J., The Modern history of Egypt, P. 255.

(١٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٧٣ .

(١٥) شحاته اسماعيل ابراهيم : الكتاب الأسـود للاستعمار البريطانى فى مصر ص ١٢٤

(١٦) Vatikiotis. Op. cit., P. 254

(١٧) Quraishi, Z., libreal nationalism in Egypt, 1967 First Eddition, P. 47.

(١٨) مكى شبيكة : بريطـانيا وثورة ١٩١٩ المصريـة القـاهرة ١٩٧٦ ص ١٣ .

(١٩) Vatikiotis P.J., op. cit., P. 255.

(٢٠) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٩٧ — ٩٨ .

(٢٢) Lloyd : op. cit., Vol I, P. 290.

(٢٣) Ibid., P.P. 296, 297.

(٢٤) أمين سعيد : تاريخ مصر السياسى ، منذ الحملة الفرنسية ١٧٩٨ حتى انهيار الملكية سنة ١٩٥٢ ص ١٨٣ .

(٢٥) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة الأولى الملف الثانى ص ١١٩ .

(٢٦) محمد صبيح : كفاح شعب مصر ، ط ٢ ، ص ٥٧٧ .

(٢٧) عباس محمود العقاد : سعد زغلول ، سيرة وتحية ــ القاهرة ٢٦ . ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢٨) محمد انيس : دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، الجزء الأول القاهرة ١٩٦٣ ص ١٠ ، ١١ .

(٢٩) شهدي عطية : تطور الحركة الوطنية ، ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ القاهرة ٥٧ ص ٣٨ .

(٣٠) محمد طه بدوي ، محمود حلمي : ثورة يوليو جذورها التاريخية ، وفلسفتها السياسية ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٣١) ويفل : اللنبي في مصر (مترجم) ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣٢) آداب الإسكندرية : دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٥٢ .

(٣٣) أحمد فريد على : كفاح الشباب وظهور جمال عبد الناصر ، ص ١٩

(٣٤) المؤتمر الأول لقيادات طلاب مصر ١٩٧٥ ، ص ١٠ .

(٣٥) شهدي عطيه : المرجع السابق ص ٤٠ .

(٣٦) المصور : ٧ مارس ١٩٦٩ .

(٣٧) حافظ محمود : أسرار الماضي ، ١٩٠٧ ـ ١٩٥٢ في السياسة والوطنية ص ٤٧ .

(٣٨) اداب الاسكندرية : المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٣٩) أحمد فريد على : كفاح الشباب وظهور جمال عبد الناصر ص ١٩ ، ٢٠ .

(٤٠) عبد الرحمن فهمي : المذكرات المحفظة الأولى ملف ٢ ص ١٢٠ .

(٤١) عبد الرحمن الرافعي : مذكراتي ، ص ٣٢ .

(٤٢) عبد الفتاح عنايت : قصة كفاح ، ص ١٩٩ .

(٤٢) سيد قنديل : ثورة ١٩١٩ ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٦١ .

(٤٤) أحمد فريد على : العلاقات المصرية وأثرها على الحركة الوطنية في مصر ٥٢/١٤ رسالة دكتوراه ص ٤٠٣ .

(٤٥) المؤتمر الأول لقيادات طلاب مصر ١٩٧٥ ، ص ٩ .

(٤٦) Russell T., Egyptian service 1902 — 1946, London 1949, P. 192.

(٤٧) جلال يحيى : أصول ثورة ٢٣ يوليو ، القاهرة ١٩٦٥ ص ١١٤ .

(٤٨) فخر الدين الظواهري : السياسة والأزهر ، القاهرة ١٩٤٥ ص ٣١ .

(٤٩) المؤتمر الأول لقيادات طلاب مصر ١٩٧٥ ، ص ١١ .

(٥٠) عبد الرحمن فهمي : المذكرات المحفظة الأولى الملف الثاني ، ص ١٢٠ .

(٥١) عباس حافظ : مصطفى النحاس ، أو الزعامة والزعيم القاهرة ١٩٣٦ ص ٢١٩ .

(٥٢) عبد الرحمن فهمي : المحفظة الأولى الملف الثاني ص ١٢٠ .

(٥٣) عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ١٢٨ .

(٥٤) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ــ ٢٧ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٥٥) محمد صبيح : كفاح شعب مصر الطبعة الثانية ، ص ٥٨٣ .

(٥٦) عبد العزيز رفاعي : ثورة مصر سنة ١٩١٩ القاهرة ١٩٦٦ ص ١٢٩ .

(٥٧) الطليعة : مارس ١٩٦٩ ، شهدى عطيه : المرجع السابق ص ٤١ .

(٥٨) محمد طه بدوى ومحمود حلمى مصطفى : المرجع السابق ص ١٧٣ .

(٥٩) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

(٦٠) الطليعـة : مارس ١٩٦٩ ٠

(٦١) عبد الرحمن فهمى : المحفظـــة الأولى ، مـلف ٢ ، ص ١٩٢ ٠ ١٩٣ ، ١٩٤ ٠

(٦٢) محمد طه بدوى ومحمود حلمى مصطفى : المرجع السابق ص ١٧٣ ٠

محمد صبيح : المرجع السابق ، ص ٥٨٠ ، ٥٨١ ٠

(٦٣) الطليعـة : مارس ١٩٦٩ ٠

(٦٤) عبد العزيز رفاعى : المرجع السابق ، ص ١٣٢ ٠

(٦٥) الوطـن : ١٠ مارس ١٩١٩ ٠

(٦٦) الوطـن : ١١ مارس ١٩١٩ ٠

(٦٧) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها الى الحرب العالمية الثانية ، ص ١٣٥ ، المقطم ١١ مارس ١٩١٩ ٠

(٦٨) قدرى قلعجى : سعد زغلول ، رائد الكفاح الوطنى فى الشرق العربى القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٦٢ ٠

(٦٩) نفس المرجع والصفحة

(٧٠) الطليعـة : مارس ١٩٦٩ ، ص ١٨ ٠

(٧١) عبد العزيز فهمى : هـــذه حيـــاتى ، كتاب الهـلال (٢٤٥) ص ٩٠ ، ٩١ ٠

(٧٢) الطليعـة : مارس ١٩٦٩ ، ص ١٨ ٠

(٧٣) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٥٧٩ ٠

(٧٤) نفس المرجع ص ٦٠٢ ٠

(٧٥) فكرى أباظة : الضـاحك الباكى ، كتب للجميع العدد الثـانى ص ٤٣ ٠

(٧٦) الطليعـة : مارس ١٩٦٩ ، ص ١٨ .

(٧٧) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٣١ .

(٧٨) المؤتمر الأول لقيادات طـلاب مصر ١٩٧٥ ، ص ٨ .

(٧٩) Marshall J., op. cit., P. 161.

(٨٠) Elgood P.G., Egypt and the Army, Exford 1924, P. 348.

(٨١) Quaraishi Z. op. cit. P. 51.

(٨٢) حافظ محمود : أسرار الماضي ، ص ٤٤ .

(٨٣) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، الطبعـة الثالثـة القاهرة ص ١١٩ .

(٨٤) المصـور : مارس ١٩٦٩ .

(٨٥) البلاغ ٢٣ مارس ١٩٣٣ : مذكرات الشيخ عبد الوهـاب النجار عن ثورة ١٩١٩ .

(٨٦) البـلاغ ٩ يونيو ١٩٣٣ : مذكرات الشيخ محمد الخضرى .

(٨٧) محمود سليمان غنام : أضواء على أحداث ثورة ١٩١٩ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ .
Quaraishi Z., op. cit., P. 51.

(٨٨) أحمد بهاء الدين : المرجع السابق ص ٦٨ .

(٨٩) عباس العقاد : المرجع السابق ص ٢٢٩ .

(٩٠) محمود سليمان غنام : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

(٩١) المصـور : ٧ مارس ١٩٦٩ .

(٩٢) حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسـة والفكر ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، أسرار المـاضى : ص ٤٦ .

(٩٣) محمود سليمان غنام : المرجع السابق ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٩٤) البلاغ ٢٣ مارس ١٩٣٣ : مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار .

(٩٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ١١٨ ، البلاغ ٢٣ مارس : مذكرات عبد الوهاب النجار ، البلاغ ٩ يونيو ١٩٣٣ : مذكرات الشيخ الخضرى .

(٩٦) المصور ٧ مارس ١٩٦٩ .

(٩٧) البلاغ ٩ يونيو ١٩٣٣ : مذكرات الشيخ الخضرى .

(٩٨) البلاغ ٢٣ مارس ١٩٣٣ : مذكرات عبد الوهاب النجار .

(٩٩) المصور : ٧ مارس ١٩٦٩ .

(١٠٠) الأهرام : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، مكى شبيكة . المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(١٠١) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٢٤ .

(١٠٢) المصور : ٧ مارس ١٩٦٩ .

(١٠٣) Russell op. cit., P. 192.

(١٠٤) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٣٤ .

(١٠٥) الأفكار ١٢ مارس ١٩١٩ .

(١٠٦) حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(١٠٧) عبد الرحمن فهمى : المحفظة الأولى ، الملف ٢ ، ص ١١٩ ، أحمد شفيق : الحوليات تمهيد جـ ١ ، ص ٢٥١ .

(١٠٨) البلاغ ٢٢ مارس ١٩٣٣ : مذكرات عبد الوهاب النجار .

(١٠٩) Chirol, V., The Egyptian problem., P. 178.

(١١٠) مصر ١١ مارس ١٩١٩ .

(١١١) وادى النيل ١٢ مارس ١٩١٩

(١١٢) نفس المصدر ١٢ مارس ١٩١٩ .

(١١٣) يوسف خليل : تطور الحركة القومية فى مصر ١٨٨٢/١٩١٩ ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ، ص ٤٠٦ ، الرافعى : المرجع السابق ص ١١٩ .

(١١٤) يوسف خليل : المرجع السابق ص ٤٠٦ ، الرافعى : المرجع السابق ص ١١٩ ، المقطم ١٣ مارس ١٩١٩ .

(١١٥) الوطن ، وادى النيل ١٣ مارس ١٩١٩ .

(١١٦) الوطن ١٢ مارس ١٩١٩ .

(١١٧) الأهرام : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(١١٨) جلال يحيى : العالم العربى بين الحربين ، ص ٥٤٨ ، مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١١٩) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ١١٨ .

(١٢٠) عباس العقاد : سعد زغلول ، ص ٢٢٦ .

(١٢١) أحمد شفيق : الحوليات ، تمهيد ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

(١٢٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٣٠ .

(١٢٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٢٥٤ .

(١٢٤) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٣٦ .

(١٢٥) Russell : op. cit., p. 192.

(١٢٦) الأهرام : المرجع السابق ص ٢٠٩ .

(١٢٧) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١١٩ .

(١٢٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٢٥٥ .

(١٢٩) المصـور : ٧ مارس ١٩٦٩ ، الرافعى : المرجع السابق ص ١٢١ .

(١٣٠) وادى النيل ١٥ مارس ١٩١٩ .

(١٣١) نفس المصدر والتاريخ .

(١٣٢) الوطن ١٥ مارس ١٩١٩ .

(١٣٣) الأهـالى ١٥ ، ١٦ مارس ١٩١٩ .

(١٣٤) Chirol V., op. cit., P. 179.

(١٣٥) محمد كامل سليم : ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ـ القاهرة ١٩٧٥ ص ١١١ .

(١٣٦) الوطن ١٧ مارس ١٩١٩ ، المقطم ١٧ مارس ١٩١٩ .

(١٣٧) الأهـالى ١٦ مارس ١٩١٩ .

(١٣٨) الوطن ١٧ ، ١٨ مارس ١٩١٩ .

(١٣٩) الأهـالى ٢٢ مارس ١٩١٩ .

(١٤٠) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد ج ١ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .

(١٤١) الأهـالى ١٦ مارس ١٩١٩ .

(١٤٢) Russell : op. cit., PP. 207 208.

(١٤٣) البلاغ ٢٥ مارس ١٩٣٣ : مذكرات عبد الوهاب النجار .

(١٤٤) نفس المصـدر .

(١٤٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٢٧ .

(١٤٦) البلاغ ٢٥ مارس ١٩١٩ : مذكرات عبد الوهاب النجار .

(١٤٧) Russell : op. cit., P. 196.

(١٤٨) وادى النيل ٢٢ مارس ١٩١٩ .

(١٤٩) المصـور ٧ مارس ١٩٦٩ ، Russell : op. cit., p. 196.

(١٥٠) البلاغ ٢٦ مارس ١٩٣٣ : مذكرات عبد الوهاب النجار . المقطم ١٨ مارس ١٩١٩ .

(١٥١) الأهـالى ٢٢ مارس ١٩١٩ .

(١٥٢) المصـور ٧ مارس ١٩٦٩ .

(١٥٣) وادى النيل ٢٢ مارس ١٩١٩ .

(١٥٤) البلاغ ٢٦ مارس ١٩٣٣ : مذكرات عبد الوهاب النجار .

(١٥٥) Russell : op. cit., PP 197, 178.

(١٥٦) مصر ١٨ ، ١٩ مارس ١٩١٩ . المقطم ١٩ مارس ١٩١٩ .

(١٥٧) وادى النيل ٢٢ مارس ١٩١٩ .

(١٥٨) الأهـالى ٢٥ مارس ١٩١٩ .

(١٥٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٤٠ .

(١٦٠) الأهرام : المرجع السابق ص ٢١٤ .

(١٦١) الوطن ١٩ مارس ١٩١٩ . المقطم ١٩ مارس ١٩١٩ .

(١٦٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٤١ .

(١٦٣) البلاغ ٢٧ مارس ١٩٣٣ : مذكرات عبد الوهاب النجار .

(١٦٤) وادى النيل ٢٢ مارس ١٩١٩ .

(١٦٥) البلاغ ٢٧ مارس ١٩٣٣ : مذكرات عبد الوهاب النجار .

(١٦٦) المصـور : ٧ مارس ١٩٦٩ .

(١٦٧) عبد العزيز رفاعى : الكفـاح الشعبى فى مصر الحديثة ، كتب قومية ـ القاهرة ص ٩٧ .

(١٦٨) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ط ٣ ص ١٣٠ .

(١٦٩) Russell :- op. cit., P. 194.

(١٧٠) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(١٧١) الوطن فى ٢٠ مارس ١٩١٩ ، المقطم ٢٠ مارس ١٩١٩ .

(١٧٢) المصور ٧ مارس ١٩٦٩ ، الرافعى : المرجع السابق ص ١٤٤ ــ ١٥٧ ، وادى النيل ، الأهالى ١٣/١٦ مارس ١٩١٩ .

(١٧٣) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٤٤ ــ ١٥٧ .

(١٧٤) Chirol V., op. cit., P 179.

(١٧٥) فخر الدين الأحمدى الظواهرى : السياسة والأزهر ص ٣٠٩ .

(١٧٦) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٤٤ ــ ١٥٧ .

(١٧٧) نفس المرجع ، ص ١٤٤ ــ ١٤٩ ، المصور ٧ مارس ١٩٦٩ .

(١٧٨) المصور ٧ مارس ١٩٦٩ ، مصر ١٣ مارس ١٩١٩ ، الرافعى المرجع السابق ص ١٤٤ .

(١٧٩) الرافعى : المرجع السابق ص ١٤٤ .

(١٨٠) الأهالى ١٥ مارس ١٩١٩ .

(١٨١) الأهالى ١٦ مارس ١٩١٩ ، المقطم ١٨ مارس ١٩١٩ .

(١٨٢) وادى النيل ، الأهالى ١٩ مارس ١٩١٩ .

(١٨٣) المصور ٧ مارس ، الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ . المقطم ٢٥ مارس ١٩١٩ .

(١٨٤) الأهالى ٣١ مارس ١٩١٩ .

(١٨٥) جمهورية مصر : المصدر السابق . تقرير ملنر ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٨٦) عباس العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(١٨٧) يوسف خليل : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

(١٨٨) الأهرام : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

(١٨٩) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٣٧ .

(١٩٠) Chirol V., op. cit., P 190.

(١٩١) Marlow John : Anglo-Egyptian relation 1800 — 1956 London 1965., P. 235.

(١٩٢) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(١٩٣) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(١٩٤) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(١٩٥) نفس المرجع ، ص ١٤٨ .

(١٩٦) Vatikiotis P.J., op. cit., P. 259.

(١٩٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(١٩٨) الأهرام : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(١٩٩) الأهـالى ٢ ، ٣ أبريل ١٩١٩ .

(٢٠٠) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٢٠١) عبد الرحمن فهمى : المحفظـة الأولى ، الملف الثـالث ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢٠٢) مكى شبيكة : المرجـع السابق ، ص ٨٠ ، الأهرام : المرجـع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٢٠٣) الأهرام المرجع السابق ، ص ٣١٠ .

(٢٠٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٢٠٥) نفس المرجع ، ص ١٩٠ .

(٢٠٦) احمد شفيق : المرجع السابق تمهيد ١ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢٠٧) وادى النيل ٥ أبريل ١٩١٩ .

(٢٠٨) الوطن ١٧ مارس ١٩١٩ .

(٢٠٩) الوطن ١٨ مارس ١٩١٩ .

(٢١٠) نفس المصدر ١٩ مارس ١٩١٩ .

(٢١١) Vatikiotis P.J., Op. cit., P. 260.

(٢١٢) عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩ ج ٢ الطبعة ٣ ص ٤ .

الفصل الثانى

بين عودة سعد وتصريح ٢٨ فبراير

- تنظيمات الطلبة
- البوليس الوطنى
- الوحدة الوطنية
- الافراج عن سعد
- استمرار الثورة
- لجنة ملنر
- مشروع اتفاق سعد / ملنر
- مشروعات رى السودان
- سعد أم عدلى
- بعثة سوان وزيارات سعد للاقاليم
- مشروع كيرزن
- نفى سعد
- تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

تنظيمات الطلبة :

كان للطلبة تنظيماتهم التى تتخذ شكل لجان ، فتوجد لجنــة الطلبة الأزهريين ، لجنة طلبة المدارس العليا ، لجنة المدارس الثانوية، واتخذت هذه اللجان آنذاك اسم النقابات، فيوجد نقابة الطلبة بالاسكندرية ونقابة المدارس الأوروبية ، وكانت المدارس ممثلة فى جمعية تسمى « جمعية الشبيبة المصرية » . وفى بداية ثورة ١٩١٩ لم تكن هذه اللجان أو النقابات خاضعة للوفد ، بل كانت تعمل بوحى من شعورها الوطنى ، فكانت تتلقى التعليمـــات من القيادة المنظمة للمظاهرات بالأزهر ، حيث تصل لمندوبى المدارس وينفذونها بمدارسهم كما كانت تصل اليهم التعليمات عن طريق الصحف ، التى كانت تنشر أحيانا تنظيم قيام مظاهرات مقبلة(١) .

وتنشر الصحافة أخبار هذه النقابات الطلابية ، كما كانت تنشر المشاريع الخاصة بنظامها وهيكلها ، فتنشر جريدة النظام احدى هذه المشاريع ، موضحة أهدافه وأساليب تحقيقه ، وكان الهدف من النشر هو نوع من الاعلام ليدرسه الطلبة وصولا لملاحظات تهدف لمشروع أحسن ، وتحدد المادة الأولى من المشروع هدف النقابة بأنه

السعى فى ترقية أعضائها من الوجهتين العلمية والأخلاقية ، وايجاد رابطة أخوية بينهم يكون من شأنها مد يد المعونة للمحتاجين منهم ، والعمل على حصول الطلبة لبعض الامتيازات الأدبية والمادية · كما تحدد المادة الثانية وسائل تحقيق هذا الهدف ، كاصدار مجلة علمية ، انشاء مكتبة خاصة لأعضاء النقابة ، القاء محاضرات ودروس فى العلوم التى يتلقاها الطلبة على اختلاف معاهدهم ، تنظيم سياحات علمية ، عمل مسابقات أدبية وعلمية بمكافآت ، تنظيم حفلات أدبية ورياضية ، ارشاد الطلبة الى هجر دور الملاهى التى يروبخ أثرها الفاسد فى النفوس ، الاتفاق مع المحال التجارية وغيرها على خصم نسبة من ثمن مايبتاعه منها أعضاء النقابة وكل مايؤدى الى تحقيق الغاية التى أسست النقابة من أجلها ·

وتنص المادة الثالثة من المشروع أنه لاشأن للنقابة مطلقا فى الأمور السياسية ولا المناقشات الدينية ولا الاعمال المخلة بالأمن العام ، أما أمور العضوية ومجلس الادارة والجمعيـــة العمومية ومالية النقابة وحل النقابة ·· الى غير ذلك من الأمور المنظمة والتى تنظمها الأبواب من الثانى الى السابع بكل تفصيل(٢) ·

ويدور نقاش حول هذا المشروع ، وينادى حسن سلامة الطالب بالحقوق بالغاء العضوية الشرفية ، وضرورة ايجاد وسيلة اتصال مع الطلبة بالخارج ، وضروة حـــذف المادة الثـــالثة وغير ذلك من ملاحظات(٣) · وبمرور الزمن وبقيام التصارع الحزبى بعد الانقسام وصدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، أخذ الوفد ينظم لجان الطلبة فأوجد قيادة على رأس الهيكل الطلابى ، تعرف باللجنة التنفيذية للطلبة ، وتتكون من مندوبين للمدارس بالانتخاب كل عام ، وتعقد جلساتها ببيت الأمة واحتضنها سعد زغلول(٤) ·

البوليس الوطني :

نظم الطلبة قوة شرطة سموها « جمعية البوليس الوطنى » ، للحفاظ على النظام وكانت تتلقى تعليماتها من اللجنة المنظمة للمظاهرات(٥) · ولها شاراتها المميزة ، وهى عبارة عن شريط من القماش الأحمر يحيط بالذراع الايسر ، وكتب عليه بالقماش الأبيض (بوليس وطنى) ، وكان سلاحهم العصى ، وذلك لمنع الغوغاء من الدس بين المتظاهرين ، ومنهم من كان يحمل قرب الماء ومنهم من يحمل الماء المحلى بالسكر لسقاية المتظاهرين · وكانت استجابة الجمهور لهم كبيرة ولها الفضل الكبير فى تنظيم المظاهرات والبعد بها عن الاعتداء على الممتلكات والانفس ، وتولى رياستها الشيخ مصطفى القاياتى وكان يصدر تعليماته لأفرادها من منزله بالسكرية، وكان لها أثرها الواضح فى حفظ الأمن(٦) · ولم يكن هذا البوليس الوطنى كما قال عنه تشيرول من أن مهمته ظاهريا كانت حفظ النظام أو المساعدة على حفظه ، ولكن فى الحقيقة للمساعدة فى نشر عمليات الفزع(٧) · وربما كان هذا الاعتقاد لما كانت تقوم به هذه الشرطة من توزيع المنشورات ، لاسيما أبناء كبار الموظفين والساسة الذين كانوا يجدون فى مخادعهم منشورات الشباب ، التى كانت تدعوهم للثورة والانضمام للحركة الوطنية ، دون أن يعلموا أن بنيهم هم الذين أوصلوا اليهم هذه النداءات(٨) ·

وكانت هذه الشرطة تقبض على المنحرفين من أى نوع من الأنواع ، وتحاكمهم وتوقع عليهم الجزاءات ، التى تنحصر فى التوبيخ وهو ماكان يغير سلوك أولئك المنحرفين ، فيندمجون اندماجا كليا فى العمل الوطنى ·· كما كانت تحرض المواطنين على الاضراب الذى كان يمثل سلاحا فعالا ضد الاحتلال ، وكانت تتولى تنفيذ

ضرورياته لضمان نجاحه ، فعندما أضرب التجار كانت الشرطة تتناول منهم سرا المواد التموينية لتقدمها لربات البيوت ، وعندما أضرب الكناسون قامت بالتوعية بين المواطنين والمواطنات ، حتى لاتتجمع القاذورات بشكل مضر بالصحة العامة • كما قامت بمساعدة العمال المضربين الذين منعت السلطات أجورهم ، بجمع التبرعات وتوزعها عليهم سرا ، وهو ما أثار دهشة السلطات من اصرار العمال على الاضراب رغم انقطاع أجورهم ، ومن أخطر ماقامت به هذه الفرق انها جذبت اليها عددا من أبناء كبار الموظفين والساسة تتولى توصيل المنشورات لمخادع آبائهم كما سبق الاشارة(٩) •

وعلى الرغم من نجاح هذه الشرطة في الحفاظ على النظام اثناء المظاهرات ، فان السلطة العسكرية أصدرت في ١٧ ابريل أمرا بمنعها ومحاكمة من يخالف الأمر فتأليف « هذه الفرقة ومايماثلها من الفرق محظور ، وكل يعثر عليه مرتديا شارة هذه الفرقة أو سواها من الفرق التي تماثلها بعد الساعة السادسة من صباح غد (١٨ ابريل) يقبض عليه ويحاكم بمقتضى الأحكام العرفية »(١٠) • وكان أعضاء هذه الشرطة لايحملون سلاحا ويبدو أن عدم ثقة السلطة فيهم هو الذي أدى الى هذا المنع(١١) •

الوحدة الوطنية :

اشترك في ثورة ١٩١٩ المسلمون والاقباط على السواء ، وهذا يعتبر في حد ذاته أهم انجازات الثورة ولو لم يترتب على قيامها أي درجة من درجات الاستقلال ، وساعد على تحقيقه انحسار تيار الجامعة الاسلامية وسقوط الدولة العثمانية . وتغير وجه العالم السياسي والاجتماعي والعقائدي اثناء الحرب • فلقد الف بين

الاقباط والمسلمين الدم المسفوح فى مصر ، واتخذوا لهم علما الهلال مع الصليب ، وتبادل المشايخ والقساوسة الخطابة فى المساجد والكنائس على التوالى(١٢) . ولعل من أبلغ ماقيل فى هذا المجال ماقاله القمص سرجيوس من أنه « اذا كان الاستقلال موقوفا على الاتحاد ، وكان الاقباط حائلا دون ذلك ، فانى مستعد لأن أضع يدى فى يد اخوانى المسلمين للقضاء على الاقباط أجمعين ، لتبقى مصر أمة متحدة مجتمعة الكلمة »(١٣) .

ولم يكن الطلبة بعيدين عن هذا التيار ، بل كانوا وهم الحركة النشطة المستمرة واجهة له مؤكدينه فى كل مناسبة ، وبكل مايستطيعون من قوة ، فكان تبادل الزيارات والخطابة فى الجوامع والكنائس ، بل وكان تواجد الأقباط فى الأزهر سمة مميزة لأى تجمع فيه . وما سنذكره هنا أمثلة على مجهود الطلبة فى هذا المجال .

فيتوجه وفد من طلبة المدارس ومعهم فريق من طلبة المعهد الدينى الى الكنيسة القبطية المرقسية بالاسكندرية ، ويخطب الطلبة المسلمون والمسيحيون للوحدة والتئام عنصرى الأمة فى ٣٠ مارس(١٤) وفى اليوم التالى بالقاهرة تقف احدى الآنسات المتعلمات بالكنيسة البطرسية بالعباسية متحدثة ـ باسم جمعية السيدات الاسلامية ـ بكلمة أشارت فيها ، ان كانت أديان كثيرة بمصر ورغم ذلك فالمصريون متحدون ، وتساءلت هل نتفرق فى عصر التوحيد ونتوحد فى عصر تفرق الآلهة وأشارت الى المثل العامى أن « السكران فى ذمة الصاحى » ، فالعقلاء من الأمة يتحملون مسئولية البسطاء حتى لايهدموا مايبنيه العقلاء(١٥) ، وفى ٤ ابريل بعد خطبة الجمعة بمسجد سيدى أبو العباس كان من الخطباء بعد الصلاة اثنان من الطلبة مع أقباط وعلماء وحثوا على اتحاد الأمة(١٦) .

وفى يوم الأحد ٦ ابريل يتوجه جمهور كبير يبلغ حوالى ٤٫٠٠٠ من الأطباء والتجار ورجال الدين مسلمين ومسيحيين ، وجمع غفير من الطلبة الى الكنيسة القبطية بالثغر ، وبعد الصلاة كانت الخطابة وألقى محمود النشار الطالب برأس التين الثانوية قصيدة أكد فيها معنى الاخاء ، وكذلك الطالب عبد الحميد السنوسى بمدرسة الاقباط حيث أكد الاخاء وضيافة مصر للأجانب وقال فيها :

يا آل مصر دعوا التنافر جانبا	وتضـافروا فى خدمة العليـاء
لا دين الا أن تكـون محبـة	لن تأمر الأديـان بالبغضـاء
طوبى لأحمد والمسـيح فاننـا	جئنـا نعيد مـودة الآبـاء
جئنـا نبين للأنـام اخـاءنـا	أنا لشـعب محبـة واخـاء
فليأمن الغربـاء فى أوطاننـا	مصر العزيزة موئل الغرباء(١٧)

كما يتوجه وفد يتكون من ١٥٠ من الأعيان الأقباط الكاثوليك الى الأزهر حيث قوبلوا مقابلة كريمة من علمائه وطلبته ، وتبادلوا عبارات الود والولاء متباشرين بهذه الوحدة(١٨) . ولم يقتصر تبادل الزيارات على القاهرة بل امتد الى أقاليم مصـر لتأكيد الوحدة الوطنية فيتجه الطلبة والأعيان لزيارة الأقباط فى معبدهم بفرنوى(*) ورحب بهم الأقباط ، وتكلم د. يوسف أبو يعقوب ثم تبعه عبد الرحيم أبو ناجى الطالب بالحقوق ثم كامل أبو السيد صالح المدرس ثـم انصرف الوفد ، وفى اليوم التالى كان رد الزيارة ، فزار الأقبـاط مسجد سيدى عيسى بفرنوى ، وبعد تبادل الكلمات من الطلبة وغيرهم طافوا بالبلدة(١٩) .

ويعقد فى ١٨ مايو ١٩١٩ اجتماع كبير فى الكنيسة المرقسية القبطية بعد صلاة الأحد ، يحضره جمهور كبير من طلبة المعاهد

الدينية وتلامذة المدارس وتلميذاتها وألقيت الخطب التى تحض على الاتحاد ، كما ألقت بعض الآنسات التلميذات القصائد(٢٠) ٠

وتحدث الثورة فى مارس ١٩١٩ وتستمر وسط أعياد المسيحيين ولاينسى المسلمون تأكيدا للوحدة الوطنية ، وسط نيران هذه الثورة أن يهنئوا اخوانهم المسيحيين بأعيادهم ، وفى المقدمة الطلبة ، فعندما يحل عيد الفصح المجيد يزور البطريركية المرقسية بالاسكندرية عدة وفود من الأعيان والتجار والمحامين والموظفين والطلبة ، فيقصد الكنيسة وفد من طلبة المعهد الدينى وأعضاء لجنة الخطابة ويقابلون بكل حفاوة وترحاب ، ثم يتقدم الشيخ محمد ابراهيم سليمان ، وهو يحمل باقة أزهار كبيرة جعل فى وسطها هلالا من الورد الأبيض داخله صليب من الورد الأحمر ، بالنيابة عن الوفد الى حضرات القساوسة ليكون تعانق المودة والتسامح بين العنصرين ، وتبودلت الكلمات التى تؤكد هذا المعنى ، وضرورة اتحاد عنصرى الأمة(٢١) ، ويرسل طلبة مدرسة التجارة العليا خالص تهانيهم بمناسبة العيد ، متمنين لهم كل سعادة وخير راجين تحقيق أمانيهم القومية المشتركة(٢٢) ٠ كما يقصد كنيسة الاقباط الكبرى فى رشيد جمهور من المسلمين لتهنئة اخوانهم بعيدهم المبارك ، ويتقدمهم طلبة المدارس العالية فطلبة المدارس الثانوية والابتدائية فالأعيان فالتجار والصناع والموظفين والاهالى ، وسار الموكب مخترقا شوارع المدينة وأمامهم العلم المصرى فى وسطه الصليب ، حتى وصلوا الكنيسة فاستقبلوا بالبشاشة والاحترام(٢٣) ٠

الافراج عن سعد

وفى ٧ ابريل أعلن المندوب السامى قرار سراح سعد وزملائه، واطلاق الحرية لهم فى السفر كما يريدون(٢٤) ٠

وعندما أذيع منشور الافراج عن سعد زغلول ، كانت المظاهرات المكونة من جميع طبقات الأمة ، تطوف الشوارع متوجهة الى منزله ، هاتفة بحياته وحياة مصر ، واستمرت طوال يوم ٧ ابريل ، ولانبالغ فى القول اذا قلنا انه لم يبق فى أى بيت من سكان القاهرة أحد ، سواء أكان رجلا أم امرأة ، صبيا أم فتاة صغيرا أم كبيرا ، الا وخرج يحتفل بهذا اليوم المشهود(٢٥) ٠

وتعتبر مظاهرات الطلبة بالابتهاج بالافراج عن سعد ، احتفالا بحصاد شهر من الجهاد المستمر العنيف طوال شهر مارس وثمرة من ثماره ، كما أنها تعنى التأييد التام لسعد زغلول ، كقيادة للثورة التى تطالب بالاستقلال التام ، ورفضهم لأية محاولة للانتقاص من هذه القيادة أو هدفها ، فباطلاق سراح سعد رأى المصريون حلاوة النصر لثورتهم ، وانتشرت الأفراح فى البلاد ، وكما يقول هيكل اننا الشباب شعرنا أن السياسة البريطانية قد استسلمت لاغراضنا(٢٦) ، ويقول ليود أنه مهما بدا قرار نفى الزعماء غير حكيم وظالم ، وكذلك قرار عدم السماح لهم بالسفر ، فان تغيير هذين القرارين فى هذه اللحظة ، له تفسير واحد وهو ان القوة قد نجحت فيما لم تنجح فيه الوسائل الدستورية(٢٧) ٠ فالطلبة فى خلال مارس كما سبق الاشارة فى الفصل السابق قاموا بدور كبير لايمكن انكار أثره فى هذه النتيجة التى وصلت اليها القضية المصرية ، وهو مايعبر عنه أحد المواطنين فى رسالة له تعبر عن تحية الأمة للطلبة بمناسبة الافراج عن سعد يقول فيها « ٠٠ لقد بيضتم وجه مصر الحديثة وأعليتم منار شرفها ، ان الغيرة التى أظهرتموها على الوطن هى فوق كل غيرة ، ان الوطنية لو كان لهـــا هيكل مجســـم لكنتم أنتـــم هذا الهيكل ٠ »(٢٨) ٠

وكان الأثر الذى احدثه القرار فى مصر مدهشا · « فالقاهرة حتى ٣ ابريل كانت مليئة بالاضطرابات واراقة الدماء وفى أحد الايام لكان المنظر فظيعا بين الناس والقوات وكانت الضحايا وبعد الاعلان بفك سراح المعتقلين فى ٧ ابريل فقد تحولت الجماهير التى احدثت الاضطرابات والقتال الى جماهير أخرى وانتشرت مظاهر الفرح فى كل مكان »(٢٩) ·

ولقد بدأت مظاهر الابتهاج من ساعة اعلان المنشور ، وتوالت المظاهرات ولعل أعظمها ماحدث يوم ٨ ابريل ، ففى هذا اليوم خرج موظفو الأوقاف وأمامهم علمهم والموسيقى تصدح بأنغامها الوطنية ، ومن خلفهم طلبة مدرسة التجارة بعلمهم الخاص ، فطلبة مدرسة المعلمين ، فطلبة القضاء الشرعى ، فالمدارس الثانوية فالابتدائية على أتم نظام وفى مقدمة كل فئة من هذه الفئات علم رسم عليه الهلال والصليب رمزا للاتحاد المقدس بين عنصرى الأمة ، وطاف هذا الموكب الشوارع والأحياء مناديا بحياة الزعماء والوطن(٣٠) ·

وفى الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه سار الموكب الكبير ـ الذى يضم العلماء والقساوسة والمحامين والاطباء والموظفين والعمال والصناع وطلبة المدارس العالية والثانوية والمعاهد الدينية ـ من المحطة الى ميدان عابدين ، وكان الهتاف للسلطان ، وخرج اليهم كبير الأمناء سعيد ذو الفقار باشا ، حيث أبلغهم تحية السلطان واتجه الموكب بعد ذلك الى بيت الامة وشوارع العاصمة(٣١) ، ولقد جانب تشيرول الصواب عندما يحمل مسئولية التصادم والعنف على زعماء الطلبة والأزهريين المتحمسين مع غيرهم ، وانهم جميعا كان لهم الاثر فى ان يحمل المتظاهرون فى ٧ ابريل الى جانب الاعلام فروع الاشجار(٣٢) · فالطلبة هم الأحرص على سلمية مظاهراتهم ،

حتى فى أحلك ساعات الغضب مع الاحتلال ، وحوادث مارس تؤكد ذلك ، ولكن الانجليز لم يتركوا الموكب يمر بسلام ، فاعتدوا ــ كما حدث أمس ــ على الموكب أمام حديقة الأزبكية بطلقات الرصاص ، فأصابوا عددا منهم ، وكان من بين القتلى صــبى صــغير حمله المتظاهرون الى عابدين ، وطلبوا من رجال القصر أن يطل عليهم السلطان ليشهد وحشية الاعتداء ، فأشرف عليهم بعض رجــال القصر ووعدوهم بتبليغ الأمر للسطان فهدأ الجمهور قليلا(٣٣) ٠ ولقد أشارت السلطة العسكرية فى بلاغاتها الى هذه الاعتداءات(٣٤)٠ ولقد شملت مظاهرات العاصمة ضواحيها ، كالمطرية والحلمية الجديدة وكوبرى الليمون وحلوان والمعادى وطره وشبرا وغيرها(٣٥) ٠

أما الاسكندرية فقد ضمت مواكب مظاهرات الطلبة بأعلامهم مع العمال والتجار والموظفين كل بأعلامه ، والتقوا بمسجد النبى دانيال ، حيث ألقيت الخطب والقصائد ثم ساروا الى مسجد سيدى أبو العباس وكانت هتافاتهم بحياة مصر والوحدة الوطنية وأمريكا وفرنسا وايطاليا واليونان ، وكان يعقب كل هتاف أناشيد وطنية ملحنة وخطب وقصائد منثورة ومنظومة ، كما قامت المظاهرات فى طنطا وغيرها من سائر بلاد القطر(٣٦) ٠

وفى اليوم التالى ٩ أبريل أقيم احتفال بتشييع جنازة أربعة شهداء من رصاص الانجليز ، قام بتنظيمه الطلبة أحسن تنظيم ، وسارت فيه الألوف وفى مقدمتها النعوش الاربعة ملفوفة بالاعلام المصرية يحملها الطلبة على أعانقهم ، تتقدمهم الموسيقى وكان الكل فى سكون وخشوع ، ولايتخلل السكون الا صوت مناد ينادى بين آونة وأخرى لتحيا ضحايا الحرية فيرددها المشيعون(٣٧) ٠ وشارك فى تشييع الجنازة رسل باشا وقواته التى كان موقعها خلف دراجات

الطلبة ، ويليها النعوش ثم وفود الأزهر والمدارس والموظفون وعمال شركات الترام وورش السكة الحديد وغيرهم من الهيئات ثم الجمهور الغير منظم ، وعندما تحرك الموكب ظهرت قوات بريطانية فى أحد معابر الطرق ، وتوقف الموكب كله وعلا صياحه فى تحد ، ووصل رسل الى قائد القوة وطلب منه ان يبتعد برجـــاله ، ولقد تحولت الجنازة الى مظاهرة سياسية أمام القنصليات ، حيث كان الموكب يتوقف هاتفا للاستقلال ــ وانتهى الموكب مساء(٣٨) ٠

ويتسع نطاق المظاهرات فى سائر نواحى القطر ، فى المنصورة والمحلة وكفر الزيات وحتى ابيار وغيرها ، وشملت أيضا التلميذات الصغار ، ففى الاسكندرية تؤلف تلميذات المدارس الابتدائية ، موكبا منظما هادئا طفن به شوارع المدينة ، ورافقهن بعض معلماتهن اللاتى كن يلقين الخطب فى اظهار السرور والحث على السكينة والسلام ويهتفن لمصر ، كلما مر الموكب على الدور الرسمية ودور القنصليات وكان يلقاهن الجمهور الواعى برش الروائح العطرية على التلميذات من شرفات المنازل ومكاتب المحامين ، ثم انصرفن مودعات بالاعجاب والتقدير(٣٩) ٠

وتتطور الأحداث ويتضمن البلاغ الرسمى الصـــادر فى ١١ ابريل تجدد الاصطدامات بين الرعاع المسلمين والارمن ، وفى خلال ٤٨ ساعة أسفرت الامور عن ٣٨ قتيلا ، ١٠٠ جريح ، ومن القتلى ٨ من الأرمن ، ٤ يونانيين علاوة على الجرحى من الفريقين كما حدث اعتداء على الارمن فى الاسكندرية(٤٠) ، كما تضمنت برقية اللنبى لايرل كيرزون فى ٢٠ ابريل تقريرا عن أحداث الأسبوع أشار فيه الى أحداث القاهرة فى ١٣ ابريل وتعرض ممتلكـــات الارمن لحوادث النهب ، ولكن شعور الاثارة المعادى للارمن ، اختفى الى حد كبير

منذ أدرك الوطنيون ، أن الاعتداءات التى وقعت على الأرمن الحقت بهم وبقضيتهم ضررا كبيرا ، ولقد تاثر اليونانيون تأثرا كبيرا من الاعتداءات الأخيرة ، وزار الوكالة اليونانية ثلاثة مندوبين أعربوا عن استنكارهم لاعمال الغوغاء(٤١) . وذهب وفد من الطلبة والموظفين صباح يوم ١١ ابريل الى دار القنصـــلية اليونانية ، ليعربوا عن أسف الأمة لحدوث حوادث نشأت من خطأ بعضهم وأعلنوا لمسيو سختوريس المعتمد السياسى لدولة اليونان ، أسفهم لاعتقادهم بأن الجالية اليونانية متصلة فى عواطفها بالمصريين ، وهم يقدرون فيهم هذه المشاعر ولايشكون فى سلامتها فقابل منهم المعتمد ذلك بالسرور ، وتبادل الفريقان عبارات الاخلاص وهتفوا لمصر واليونان ، وأوصى المعتمد أبناء امته باحترام شعور المصريين فشكره الوفد(٤٢) .

وتصدر اللجنة العليا لطلبة الاسكندرية ، بيانا لطلبة المدارس الثانوية تناشدهم فيه ببذل الجهد خطابة وحثا ونصحا بعدم التعرض للأرمن ، وعدم اقامة العراقيل أمام الوفد(٤٣) ، كما يتقدم طلبـــة المدارس العليا باحتجاج الى قناصـــل الدول ، على قيـــام الجنود البريطانيين بنقل الأرمن الى مواضع معينة أمينة ، وكذلك على ارسال المراسلين الامريكيين الذين وصلوا من أسيوط والمنيا الى محـــل خاص بهم ، كأنما هم فى خطر . وختموا احتجاجهم بأنهم مستعدون بأن يرسلوا إلى كل أرمنى ، طالبا يعيش واياه ويحافظ عليه وعلى أسرته ليلا ونهارا دون أن يكلفوا الأرمن شيئا من نفقات معيشتهم ، أما الأمريكيون فان منازل لكبار الامة على اســـتعداد لضـــيافتهم وايوائهم(٤٤) .

ونظرا لتطور الأحداث بهذه الصورة المؤسفة ، يصدر حسين رشدى رئيس الوزراء المصرى (٩ ابريل ١٩١٩) بيانا للأمة بالهدوء

كما تتوالى نداءات الصحف فى هذا الشأن ، كالأهالى التى طالبت الطلبة بالاستعداد للامتحانات ، وأن رئيس الوزراء ذكر للطلبة أنه اذا كان الاضراب أمس تعبيرا عن الفرح ، فان العودة للدراسة اليوم خير تعبير(٤٥) ٠

وعندما يغادر أعضاء الوفد القاهرة للانضمام الى سعد فى باريس فى ١١ ابريل ١٩١٩ تدفقت سيول المودعين من كل صوب ، حتى كان من الصعب الوصول للمحطة ، واصطفت جموع الطلبة والعمال على جانبى الطريق ،كما تدفق الطلبة مع غيرهم الى افريز المحطة لوداعهم(٤٦) ، كما أقامت الاسكندرية مواكب سلام بمناسبة سفر أعضاء الوفد ، واشترك فيها الطلبة وكان من بينهم موكب لتلميذات مدارس البنات الأهلية فى الثغر ، وطاف موكبهن الشوارع وهن حاملات الاعلام هاتفات بحياة مصر والحرية(٤٧) ٠

استمرار الثورة :

وتستمر الثورة بعد الافراج عن سعد وصحبه وتأليف وزارة رشدى ، فروح الثورة كانت لاتزال تضطرم فى النفوس ، فكانت تنأى بها عن الرضا بالحلول المسكنة الوقتية ٠ فالأبواب موصدة فى باريس ، ولم تتقدم القضية المصرية بل ازدادت الصعوبات أمامنا ، فلقد اعترف الرئيس ولسن بالحماية البريطانية على مصر فى أبريل ١٩١٩ كما اعترف مؤتمر الصلح بها كذلك ٠ وجاءت خطبة اللورد كيرزون فى مجلس العموم ، مؤكدة اصرار بريطانيا على الحماية ، فقد جاء فيها أنه « ٠٠ اذا كان الغرض من هذه الثورة وماصاحبها من الخسارة فى الأرواح والممتلكات ، انهاء علاقة البريطانيين بمصر وتحقيق استقلالها فقد قضى عليها بالفشل ، وان حكومة جلالة الملك لاتنوى مطلقا أن تغفل أو تتخلى عن القيود

والتبعات التى تحملتها ، عندما وضعت مهمة حكم مصر على عاتقها، وان هذه القيود والتبعات ، قد تأيدت باعلان الحماية البريطانية عليها ..»(٤٨) ، فضلا عن استمرار المحاكمات للثوريين أمام المحاكم العسكرية حتى يوليو ، وأمام المحاكم الجنائية بعد ذلك بنـاء على اتفاق محمد سعيد مع السلطات العسكرية(٤٩) .

ويتسع نطاق مظاهرات الطلبة فتضـم الموظفين والعمـال ، واستقالت وزارة رشدى فى ٢١ ابريل عندما أخفقـت الوزارة فى اقناع الموظفين فى انهاء الاضراب ، ولكنهم عادوا يوم اسـتقالة الوزارة ليلا ، لاعتبارهم أن هذه الاستقالة ترضية لهم ، ولعلمهم بانذار اللنبى لهم قبل صدوره ، فأرادوا أن تكون عودتهم ليسـت راجعة للانذار ، وفى اليوم التـالى صـدر الانذار فعلا للموظفين بالفصل اذا لم يعودوا لعملهم ، وفى أواخـر أبريل قرر المحامون العودة الى اعمالهم ، كما عاد عمال العنابر والترام ومصر الجديدة الى اعمالهم أيضا فى أواخر ابريل(٥٠) . وفى تقرير اللنبى لكيرزن فى ٢٧ ابريل ١٩١٩ يشير لعودة الموظفين وهو مالم يرض الثوريين ، فكانت التهديدات لهم عند دخولهم مكاتبهم فى الصباح فقد تجمعت حشود من المواطنين مسلحة بالعصى خارج وزارتى المالية والداخلية، وتفرقوا عند وصول الجنود ، وقد تم اعتقال عدد منهم وكان معظم هؤلاء المواطنين من النساء والطلبة(٥١) .

وبينما يعود هؤلاء ، يعقد اجتماع بالأزهـر يوم ٢٩ ابريـل يحضره طلبة المدارس العليا والثانوية وطلبـة الأزهر ، ويقررون الاستمرار فى الاضراب مالم يتحقق :

- الغاء الحماية البريطانية .
- الغاء وظيفة المستشار البريطانى لوزارة المعارف .

● فصل جميع الموظفين ومديري المدارس والمدرسين الانجليز من وزارة المعارف ٠

● الغاء تدريس اللغة الانجليزية من مدارس الحكومة فورا ـ مؤكدين أن حركة مصر ليست دينية ولاوحشية ، ولكنها حركة وطنية سلمية مطلبها الاستقلال(٥٢) ٠

وازاء استمرار اضراب الطلبة ، اضطر اللنبى أن يصدر انذارا للطلبة بالعودة الى مدارسهم صباح الأربعاء ٧ مايو ، واذا لـــم يحضر العدد الكافى لاستمرار الدراسة فستقفل المدارس حتى بداية العام الدراسى الجديد(٥٣) ، وفى اليوم المذكور لم يعد الطلبة الى مدارسهم طبقا لأمر السلطة ، فأعلن فى اليوم التالى اغلاق جميـع المدارس حتى موعد استئناف دراسة العام المقبل(٥٤) ٠ ويتظاهر الطلبة احتجاجا وتتوالى الأوامر العسكرية بمنع الضغط على الطلبة لمنعهم من الذهاب الى المدارس العالية أو الثانوية ، أميرية أو أهلية ومن يخالف ذلك يرتكب مخالفة ضد الاحكام العســكرية ، ويكون عرضة لالقاء القبض عليه ومحاكمته(٥٥) ٠

ويصـــدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيل جميـــع الوزارات والمصالح فى ٦ مايو ، احتفالا بعيد جلوس جلالة ملك بريطانيا ، الأمر الذى أدى لاستمرار المظاهرات الطلابية مع غيرهم بالقاهرة والأقاليم ، لأنهم رأوا فى ذلك اعترافا بالحماية البريطانية على مصر، كما أقيم اجتماع بالأزهر القيت فيه الخطب وصـــدرت عنه قرارات الاحتجاج(٥٦) ٠ ويصدر بلاغ رسمى بالقاهرة فى ٨ مايو يتضمن محاولـــة طلبة الأزهر والمدارس العليـــا ، تأليف موكب من المعهد الأزهرى ، ولكن رجال الشرطة أحبطوا المحاولة وحاول بعض الطلبة اختراق طريق لأنفسهم بجوار دار الحماية ، فشتت شملهم ولـــم

تستعمل معهم الا العصى ، وقد قتل أحد المتظاهرين وأصيب ٩ برضوض ، ونقلوا الى القصر العينى وقبض على ٥٠ شخصا(٥٧) ، وتتوالى المظاهرات واستمرت الخطب الحماسية بالأزهر ، وكذلك بمسجد سيدى أبو العباس وقد ألقيت فى الأخير الخطب فى ١٤ مايو ، وأعقبها مظاهرة اشترك فيها حوالى ٢٣٠٠ من بينهم ٢٠٠ من الطلبة ونجح البوليس فى تفريقها بسهولة(٥٨) .

وظلت البلاد بدون وزارة منذ استقالة رشدى حتى تم تعيين محمد سعيد لتولى الوزارة فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، وكان تأليفها مظهرا من مظاهر الاستخفاف بالثورة ومحاولة جريئة لكسر شوكتها(٥٩) .

فأضرب الطلبة والأفندية فى كل من القاهرة والاسكندرية ، ففى القاهرة أضرب طلبة مدرسة التوفيقية الثانوية وغيرها فى ٢٢ مايو وفى اليوم التالى خرجت مظاهرة من مسجد أبو العباس بالاسكندرية ، كما تكررت الخطب بالازهر تدعو لاسقاط الوزارة . وضم اجتماع الازهر ليلة ٢٣ مايو عددا كبيرا من المتعلمين والاغنياء وألقيت أربع خطب حماسية ضد الوزارة الجديدة متضمنة أن هذه الوزارة لابد أن تسقط باضراب عام ، وبثورة يقوم بها الشعب على نطاق واسع ، وكانت النداءات لتسقط الوزارة ويرددها الحاضرون بحماس(٦٠) ، وتستمر الحملة ضد الوزارة حتى يتعرض رئيس الوزراء لمحاولة اغتياله وعلى أيدى الطلبة فى ٢ سبتمبر ١٩١٩كما سيذكر بعد(٦١) .

ومن الطبيعى ازاء الموقف الطلابى ، أن يتعرض الطلبة لجميع أنواع الضغط المدرسى الخاصة بالامتحانات ونسب النجاح .. الخ كما تعرضوا لوسائل الضغط الادارى ويدور الكلام حول الغاء امتحانات هذا العام ، فيرسل طلبة المدارس العليا مندوبا عنهم

لعرض الموضوع على الوزير ، الذى يكتبون اليه عريضة يضمنونها رغبتهم فى الامتحان حتى لاتضيع عليهم سنة كاملة(٦٢) ، وتحدد الوزارة الامتحان على نحو يسمح للذين استجابوا لأمر اللنبى وذهبوا للمدارس بحضور امتحان سبتمبر والدور الثانى فى يناير ، والذين لم يصدعوا للأمر فانهم يؤدون الامتحان فى يناير(٦٣) • وتتوالى محاولات الطلبة للاقلال من الضغوط المفروضة عليهم ، فيجتمع طلبة كل المدارس العالية والثانوية كل فى مدرسته واجمعوا على مطالبة الوزارة بمطالبهم وهى خاصة بدرجات النجاح ، والسماح للراسبين فى امتحان يناير المقبل باعادة الامتحان فى شهر يونيو ١٩٢٠ ، وعدم دفع المصاريف عن المدة من أكتوبر ليناير والافراج عن المعتقلين من الطلبة فى الحوادث الأخيرة ، وقد استجابت الحكومة لطلب المصاريف دون غيره ، فيتوقف الطلبة عن الدرس حتى تجاب مطالبهم وابرقوا بذلك الى رئيس الوزراء وتؤيد النظام مطالب الطلبة وانه « لايصح أن تقف وزارة المعارف حيال ذلك مكتوفة الأيدى والمطالب موضوعة بين يديها ، وانما يجب أن تفحصها بعناية تدل الطلبة على اهتمامها بأمر مستقبلهم»(٦٤) • ويهدد مستر كوك ناظر مدرسة الهندسة بغلقها ، عندما يطالب الطلبة الاقلال من نسبة ٦٠٪ الخاصة بالنجاح فى الامتحان ، وهو مطلب لايتم تغييره الا بواسطة المندوب السامى • ويتضامن الطلبة فى احتجاجهم على تهديد المستر كوك فى سائر بلاد القطر ، وينضم الأزهر الى هذا التضامن فالى جانب احتجاج طلبة معهد طنطا الدينى وتأييدهم لمطالب الهندسة،فان نقابة طلبة الأزهر تحتج الى رئيس الوزراء بشدة على معاملة مستر كوك لزملائهم طلبة المهندسخانة ، وأن سكوت رئيس الوزراء على هذا يعد اهانة للعلم وأهله وجرحا لعواطف الأمة(٦٥) • كما يحتج طلبة الزراعة العليا فى خطاب مفتوح للأمة على سوء

معاملة المستر كارتريت وتهديده بغلق المدرسة(٦٦) ، وأيضا طالبات السنية من سوء معاملة المدرسات الانجليزيات وأضربن عن الدرس ، ويحضر لهن وكيل المعارف وقدمن اليه طلباتهن بضرورة حسن معاملة المعلمات ، التدريس باللغة العربية واعادة مدرسة معلمات بنها ، تحقيق مطالب طلبة المدارس العالية والثانوية لعدالتها ــ ولقد قرر الحزب الديمقراطى المصرى بجلسة مساء ٥ نوفمبر ارسال كتاب الى رئيس الوزراء ضمنه الاحتجاج على سوء معاملة الطالبات بالمدرسة السنية ، وامتهان الناظرة الانجليزية لهن وخاطب الحزب فى نهاية كتابه الوزير بأنكم « خير من يقدر مايجب للمرأة من الاحترام والاعتبار ، وتعلم أن الاعتداء عليها يثير عواطف الشعب أضعاف مايثيره دم الرجال المراق ·· » ويرد الوزير بأن طبيعة الوزارة ادارية والحفاظ على ماهو قائم ، فعليهن بالصبر والتعلم باللغة الانجليزية ، حتى تتولى الحكم وزارة متضامنة مع نواب الأمة فى العمل(٦٧) ، ويستمر سوء المعاملة فتضرب طالبات المدرسة ، ويصدرن بيانا يتضمن الاختجاج وجاء فى ختامه « فاذا كان سوء المعاملة والتهديد جزاء اظهار شعورنا الوطنى ، فانعم به من جزاء ، فانا نستعذب كل عذاب من أجل وطننا العزيز ·· ولكن مهما نعاقب ومهما نسمع من سىء الكلام ، ومهما نجد من سوء المعاملة ، فان كل هذا لايجعلنا نتحول قيد شعره عن حب هذا الوطن المفدى بأرواح بناته وأبنائه »(٦٨) ·

وتصدر لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى فى أول أغسطس ١٩١٩ ــ بمناسبة عرض معاهدة الصلح ــ ان مصر من الوجهة السياسية ، ليست تابعة لبريطانيا وتركيا ، ويجب أن تكون صاحبة الأمر فى تقرير مصيرها(٦٩) · ومن الطبيعى أن يكون لهذا القرار صدى فى الوسط الطلابى : فيجتمع بميدان عابدين يوم

٣١ أغسطس طلبة المدارس العليا مع طلبة الازهر القيام بمظاهرة سلمية ، يظهرون بها لضيوفهم النازلين بمصر فرحهم وسرورهم،من قرار لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ، وانتهت المظاهرة بناء على طلب الشرطة ، وذهب فريق من الطلبة الى دار السفارة الأمريكية حيث كان هتافهم لأمريكا نصيرة الحرية ٠

وتتكرر مظاهر الفرحة بهذا القرار بالاسكندرية على اثر وصول النبأ ، وهتفوا لأمريكا ولسعد وبحياة امريكا منقذة الشعوب ، لقد وصفت جريدة الغازيت مظاهرة الثغر بأنها كانت على اتم نظـــام وهدوء وقد « سأل مندوبنا بعض الطلبة عن سبب مظاهراتهم ، فكان جوابهم واحدا هو : فزنا بحقنا من أمريكا » ٠ كما تشكر برقيات الطلبة رئيس مجلس الشيوخ الأمريكى على قرار اللجنة بخصوص مصر ، كما أبرقوا الى رئيس اللجنة بنفس المضمون ، وكذلك الى سعد زغلول بالتهنئة لنجاح مسعى الوفد بأمريكا جاء فيها « ان النجاح الذى كللت به مساعيكم فى أمريكا يدفعنا الى تقديم وافر الشكر لكم ، على مابذلتموه من المجهود العظيم ، فاشكروا بلسان الأمة أنصـــار الحرية الذين نتمنى أن تنالوا بمساعدتهم الفوز التام النهائى »(٧٠) ، كما أبرقوا الى سعد ليشكر جناب المسيو أوجانيور العضو بالبرلمان الفرنسى ، والمستر جورج كريل الأمريكى ، لعطفهما على القضـية المصرية(٧١) ٠

ويصدر مجلس الوزراء فى ٥ نوفمبر قرارا بمنع المظاهرات ، لما يحدث فيها من حوادث مكدرة لظروف تطرأ على غير انتظار ، ولو كان الغرض من تلك المظاهرات سلميا ، وصدرت الأوامر لجهات الاختصاص بتنفيذ ذلك الأمر(٧٢) ٠ وعندما ، يحل عيد الجهـــاد فى ١٣ نوفمبر يهجر الطلبة معاهدهم ، وأغلقت متاجر التجـار الوطنيين وقامت المظاهرات الكبرى احتفالا بذلك اليوم ، وانتهى

اليوم دون مايكدره الا من قرار وزارة المعارف التى أصدرت أمرا بتعطيل المدارس التابعة لها والخاضعة لتفتيشها أسبوعا ، لأن طلبتها تخلفوا عن الحضور اليها في ذلك اليوم(٧٣) ٠

لجنة ملنر :

بدأ التفكير فى ارسال لجنة الى مصر لتحقق أسباب الثورة ملافاتها مستقبلا، بعد قيام الثورة بأقل من شهر ، ففى ٢ ابريل صرح المستر هارمسورث وكيل وزارة الخارجية فى مجلس العموم : بأن الحكومة البريطانية ستجرى تحقيقا عن أسباب الحركة فى مصر ، وأنه يجب أولا صون السلام واعادته ، وكان ذلك أول اشارة رسمية الى اللجنة ، وفى ١٥ مايو ١٩١٩ أعلن اللورد كيرزون فى مجلس اللوردات ، اعتزام الحكومة ايفاد هذه اللجنة برئاسة اللورد الفريد ملنر وزير المستعمرات آنذاك ، واتخذت الاجراءات التمهيدية لوصول اللجنة فى أوائل سبتمبر ، حيث صدرت الأوامر الى المصالح الحكومية باعددا التقارير والبيانات اللازمة لاطلاع اللجنة عليها ، وأعد مكتب خاص بوزارة المواصلات (فندق سميراميس) لجمع هذه البيانات ، وأرسل المكتب الى الأعيان والوجهاء بمصر عدة أسئلة مطبوعة للاجابة عليها وتنحصر حول ٠ معرفة الأسباب التى أدت بالفلاح المصرى للهياج فى الحوادث الأخيرة ، وعن أحوال البلاد والنظام النيابى والتعليم ونظام مجالس المديريات وما الى ذلك ، وفى ٢٣ سبتمبر أعلن رسميا فى لندن تأليف اللجنة برياسة اللورد الفريد ملنر(٧٤) ٠

ولقد حاولت الحكومة البريطانية أن تجعل منها لجنة ممثلة ، فضمت الجنرال مكسويل الذى كان قائدا للقوات البريطانية عند اعلان الحماية على مصر ، والسير رنيل رود وكان سفيرا بروما وعمل بعض

الوقت تحت يد كرومر في فترة الاحتلال الأولى ، السير أوين توماس خبير في الزراعة في عدة أقطار افريقية وعضو مجلس العموم وممثل لحزب العمال ، سبندر وهو محرر جريدة وست منستر ، هرست من مستشاري وزارة الخارجية القانونيين والمستر ٠ ت ٠ لويد الذي كان في خدمة الحكومة المصرية(٧٥) ، وكان اختيـــار اللورد ملنر رئيسا للجنة قد صادفه الهجوم الشـــديد في مصر بســـبب كتابه « انجلترا في مصر » وقد تناوله المصريون بالنقد والهجوم وقاموا بابراز كل فقرة من كتابه لها الطابع الرجعي من القضية المصرية ، ورغم أن اللورد صرح قبل مجيئه لمصر بشهرين لاحدى الصحف ، من أنه قادم لمصر وهو خالي الذهن تماما من لكل عامل مؤثر ، وأنه يتلقى كل مايتقدم للجنة دون الرجوع الى أية خلفية في المدة التي سبق أن قضاها في مصر(٧٦) ، فان مظاهر الغضب والاحتجاج ازاء اللجنة لم تنقطع ٠

فكرة المقاطعة :

حسم منبع هذه الفكرة في مصدرين الأول ويتمثل في الوفد والثاني في شخص يدعى حسن سلامة الذي أشار اليه محمد حسين هيكل من أنه صاحب الفكرة ، عندما نشرت جريدة النظام في ٣١ أغسطس مقالا لكاتب مجهول (حسن سلامة) يدعو فيه المصـــريين لمقاطعة اللجنة ، وكانت تلك المقالة صخرة النجاة للهيئات الوفدية ازاء اللجنة(٧٧) ٠ وينفي حسن سلامة أنه كان مبعث فكرة المقاطعة – وكان طالبا بمدرسة الحقوق – وكان نشطا في الدعاية وتوزيـــع المنشورات وقال ان « فكرة مقاطعة اللجنة والهتاف بسقوطها خرجت في كل مكان من بيت الأمة ، وانه لـــا تبلورت فكـــرة المقاطعة بعد اجتماعات متعددة وكثيرة في بيت سعد وفي الأزهر الشريف وفي

كل مكان نشر مانشر بهذا الصدد » · بجريدة النظام وهى موالية للوفد ، ولقد أراد هيكل باشارته هذه الى اثبات أن الوفد كان عاجزا عن العمل عند وصول لجنة ملنر ، وأنه ليس للوفد ولا للجنة المركزية أية خطة أو فضل فى المقاطعة(٧٨) ·

اما المصدر الثانى فهو الوفد فيرسل سعد زغلول الى محمود سليمان غنام فى ٢٨ أغسطس ١٩١٩ وتنشره النظام فى ٢٦ سبتمبر رسالة يقول فيها ، أنه لايسعهم جميعا « الا أن نبارك هذه الروح الحكيمة التى حملت رجال مصر وشبانها على أن يصمموا كل التصميم على البعد عن مقابلة اللجنة اذا حضرت الى مصر » ومن هذا يتضح أن الوفد بباريس قد أقر خطة المقاطعة قبل أن ينشر حسن سلامة مقاله فى النظام فى ٣١ أغسطس ١٩١٩(٧٩) ·

ويبدأ اقرار الوفد لخطة المقاطعة بخطاب أرسله سعد زغلول لعبد الرحمن فهمى يخبره بعزم الحكومة البريطانية على ارسال لجنة الى مصر ، لتحقيق سبب الاضطراب وأنه « خوفا من أن يتقابل معها نفر من المستضعفين الذين لايدينون بمبادىء الوفد ، أرجوكم العمل على تشكيل لجنة من أناس معروفين ومتفقين مع الوفد فى مبادئه ، كى تتكلم مع اللجنة المذكورة باسم الوفد » ، ويرى عبد الرحمن فهمى أن أنسب رجل لرياسة هذه اللجنة هو عدلى فهو رجل يحترمه الانجليز والمصريون على السواء ، فعرض عليه الأمر فرفض عدلى ، فقال له عبد الرحمن فهمى « انه ليصعب على جدا أن يذكر التاريخ أن مصر احتاجت اليك لتقدم لها خدمة فى هذا الظرف العصيب فلم تلب طلبها ولذلك سأغالط نفسى وأفرض أنك أرجأت ابداء رأيك لفرصة أخرى ·· » ، وزاره عبد الرحمن فهمى للمرة الثانية ووجد نفس التردد ، وبعد انصرافه من عند عدلى جالت بخاطره فكرة المقاطعة

فلماذا « نشغل أنفسنا بتحضير لجنة تقابل لجنة اللورد ملنر ، مادام أن هذه اللجنة تتخطى وفد الأمة وتحضر الى مصر بدون أن تحسب له أى حساب ؟ لماذا لايقاطع كل مصرى هذه اللجنة كما قاطعت هى الوفد المصرى بتخطيه والحضور الى مصر ؟ » وكتب عبد الرحمن بذلك لسعد ويصله الخطاب اثناء جلسة من جلسات الوفد ، فقرأه سعد عليهم فاستحسنوا الفكرة ، وأرسل سعد فى ٢٥ يوليو ١٩١٩ لعبد الرحمن باستحسان الوفد للفكرة وهى « عدم ابداء طلبات لها مطلقا والتمسك بالوفد »(٨٠) .

وهكذا يتضح أن فكرة المقاطعة برزت أولا من عبد الرحمن فهمى ووافق عليها سعد زغلول فى ٢٥ يوليو ١٩١٩ قبل أن ينشر حسن سلامة مقاله بالنظام فى ٣١ أغسطس ، وهى جريدة وفدية وليس ببعيد أن اللجنة المركزية للوفد ، هى التى أوعزت اليها بفتح باب المناقشة حول هذا الموضوع،ومن ثم كان مقال حسن سلامة(٨١) .

الدعوة المقاطعة قبل وصول اللجنة :

تحمل الطلبة العبء الكبير والأساسى فى الدعوة لمقاطعة اللجنة والاحتجاج على الاجراءات التى تعدها الحكومة اعدادا لمجيئها ، وسلكوا فى سبيل ذلك عدة محاور :

المحور الأول : يتمثل فى مخاطبة الجهات المختلفة ، أحكاما للمقاطعة واحتجاجا على اللجنة وتأكيدا لانابة الوفد عن الأمة .

١ ــ خاطب الطلبة رئيس الوزراء بعدم مفاوضة اللجنة ، والاحتجاج على اجراءات الحكومة استعدادا لوصولها ، والتمسك بسابق تصريحاته بأن وزارته وزارة ادارية ليس لها دخل بمركز مصر السياسى ، وضرورة ترك هذا الموضوع لسعد زغلول باشا

رئيس الوفد المصرى ، مع تذكيره بأن ماتقوم به الحكومة من اعداد للجنة وجمع المعلومات ، انما ينافى تصريحاته ويخالف الأمة(٨٢) ، ويحذر طلبة الأزهر رئيس الوزراء من المفاوضة مع اللجنة القادمة لأن مهمتها محصورة وأعمالها داخلة تحت الحماية ، ويطالبونه بالافراج عن زملائهم المعتقلين لاظهار شعورهم الوطنى(٨٣) • بل ويطلب طلبة معهد الاسكندرية من محمد سعيد ابداء رأيه فى اللجنة(٨٤)،وعلى صفحات الصحف يرسل طلبة المدارس العليا خطابا مفتوحا الى رئيس الوزراء ، يذكرونه بأهداف الأمة فى الاستقلال التام ، وأن حضور اللجنة يتنافى مع مصالح وحقوق المصريين ، وأن مسلك المديرين وغيرهم وضغطهم على الحرية الشخصية ، كل ذلك قد يحمل المصريين على اظهار شعورهم الحقيقى بما ألفوه من الطرق السلمية ، فهل ترضى الوزارة أن يقابل هذا الشعور السلمى بما قوبل به فى الأشهر الماضية ، ويطلبون من الوزارة أحد أمرين : فاما أن تمنع حضور اللجنة منعا باتا احتفاظا بكرامة المصريين وحقوقهم ، واما ترك الأمة فى اظهار شعورها ، وتحول بينها وبين أى اعتداء يراد ايقاعه بها عندما يرتفع صوت مصر بالاحتجاج على التصرفات الضارة بمصيرها(٨٥) ، ويطالبه الطلبة بالوقوف بجانب الأمة والمطالبة بمنع حضورها لا تأجيلها(٨٦) •

٢ ـ مخاطبة رجال الوفد للاحتجاج على اللجنة واعتبارهم الموكلين الوحيدين عن الشعب •

فيرسل الطلبة الى رئيس لجنة الوفد المركزية ، بأنهم وكلوا الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا ، للمطالبة بالاستقلال التام فلا حديث لهم مع لجنة اللورد ملنر أو أمثالها(٨٧) ، كما يطلبون من سعد باشا الاحتجاج باسم الشعب على ارسال لجنة ملنر وفى ذلك تأكيد لتوكيله عن الأمة(٨٨) •

٣ ـ التوجه لمديرى المديريات ومناشدتهم بمنع الضغط على الأهالى ، فيرسل طلبة الهندسة الى كل المديرين فى الوجه البحرى والقبلى بالاحتجاج على مايمارسونه من ضغط على بعض الأفراد فى المديريات لمقابلة لجنة شعارها الاستعمار ، وأن الأمة لترقب عمل كل فرد بعين يقظة(٨٩) ٠

٤ ـ خاطب الطلبة رئيس مؤتمر الصلح بباريس ، يناشدونه منع ارسال اللجنة ، محاولين اخراج القضية المصـــرية من دائرة العلاقات الثنائية بين مصر وانجلترا ، فيرسل طلبـــة الحقوق الى كليمنصو رئيس مؤتمر الصلح برقية يناشـــدونه كرئيس للمحكمة الدولية العامة ، والرجل الذى دافع فى الماضى عن القضية المصرية، بأن الشعب المصرى يرفع اليه احتجاجه الشديد على ارسال لجنة ملنر الانجليزية ، وأن كان ولابد من ارسال لجنة ، فانهم يطلبون ارسال لجنة دولية كما حصل فى سوريا وغيرها ، وختموا رسالتهم فى النهاية بحياة الشعب الفرنسى(٩٠) ٠

٥ ـ مخاطبة اللورد نفسه لتأكيد مقاطعة المصريين للجنة ، وأن الوفد هو النائب عن الأمة وهو بباريس ، وعلى ملنر أن يتجه الى هناك حتى يوفر على نفسه عناء السفر الى القطر المصرى ، لاسيما أن المصريين قد عقدوا عزمهم على مقاطعة لجنة تتفاوض فى ظل الحماية وتحت سيف الأحكام العرفية(٩١) ٠ وتأكيـــدا لبرقيـة الزراعة العليا السابقة يرسل اليه طلبة المساعى المشكورة بشبين الكوم فيخاطبونه بأن عليه « بوفدنا الذى اشترينا ذهابه الى باريس بدمائنا ، وهو ينبؤكم بما تكنه جوانح كل مصرى لتوفروا عليكـم مؤونة المشقة ، والا فخير لكم أن تبقوا فى بلادكم وهى فى أشـــد الحاجة الى أمثالكم » ٠(٩٢) ٠

٦ ـ مخاطبة المتعاونين مع اللجنة والاحتجاج عليهم ، كأحمد بك حسنين المفتش بالداخلية لقبوله منصب السكرتير العربى ، فيبرق اليه طلبة طنطا الثانوية بألمهم الشديد لانشقاقه عن الأمة لقبولـــه منصب السكرتير العربى للجنة ملنر الانجليزية ، ويأملون أن يوافيهم سريعا بخبر اعتزاله لهذا المنصب ، الذى يعد قبوله اياه أعظم برهان على محاربته لمساعى الامة(٩٣) . ويعتبره الطلبة الأزهريون خارجا عن الأمة ، ويطالبونه بالاستقالة سريعا(٩٤) ، فالأمة تتبرأ من كل مفاوض ومساعد لهذه اللجنة(٩٥) .

المحور الثانى : ولاشك أن ما أرسله الطلبة الى هذه الجهات المختلفة ، له أثره بين أفراد الشعب لنشرها فى الصحف ، ولكـــن أسلوب التظاهر وهو الطريق الآخر الذى سلكه الطلبة ، له أثر أكبر فى تحريك الجماهير لاسيما الأميين ، فى تنفيذ قرار الوفد بمقاطعة لجنة ملنر ، خصوصا أنه كان منتشرا فى سائر بلاد القطر ، ومما زاد فى فعالية هذا الأسلوب ، وقوف السلطة العسكرية منه موقفا مضادا والتصادم معه ، مما أسفر عن قتلى وجرحى ، الأمر الذى يزيد اثارة الجماهير ضد الاحتلال وضد اللجنة .

فكانت المظاهرات المنتشرة فى سائر بلاد القطر ، حتى قنـــا وأسيوط والقرى المختلفة شاملة المستويات المختلفة للمدارس حتى المكتب الراقى ببسيون ، الامر الذى جعلها حركة طلابية عامة(٩٦) . وتبلغ ذروة هذه المظاهرات فى الاسكندرية فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٩ ، حين خرجت المظاهرة الكبرى من مسجد سيدى أبو العباس ، هاتفة للاستقلال وسقوط لجنة ملنر ، وتتعرض لطلقات البنادق فيســـقط القتلى والجرحى(٩٧) . وكان رد الفعل منتشرا فى وســـط الطلبة فأضربوا واحتجوا على هذه الفظاعة التى حدثت فى الاسكندرية ،

ويبرقون الى المستر فولك بواشنطن يبلغونه احتجاجهم على هذه الفظاعة لدى الأمريكيين الأحرار وكذلك الى سعد زغلول والى رئيس الوزراء ، يحتجون بشدة على اطلاق الرصاص على المتظاهرين السلميين بالاسكندرية ، ويطلبون منه ايقاف هذه الفظائع والى حسن عبد الرازق محافظ الثغر يحملون المسئولية فيها « لادارة الضبط التى تراسونها » ولم تتخل مدرسة أو معهد دينى عن الاضراب أو الاحتجاج حتى المكتب الراقى بمحلة مرحوم ومدارس البنات ، وتبرق بالاحتجاج طالبات معلمات القاهرة لرئيس الوزراء على سفك الدماء بالاسكندرية وانا « نحتج بشدة على هذا العمل الفظيع ونرجو الكف عن سفك دماء الأبرياء ، لأن هذا لايقتل شعور الأمة بل يزيد الحالة سوءا ٠٠ »(٩٨) ٠

ويخاطب الطلبة جنود الاحتلال مباشرة فيعثر على أحد المنشورات بين المتظاهرين موجها الى الجنود الانجليز جاء فيه « أيها الجنود الانجليز ، انتم تطيعون أوامر رؤسائكم وتطلقون العيارات النارية علينا ونحن عزل من السلاح ، واعلموا اننا لسنا رعاعا أو سفلة بل نحن رجال المستقبل فى مصر » ويستدعى محافظ الاسكندرية مشايخ الحارات ويطلب منهم منع صغار التلاميذ فى المدارس والمكاتب من عمل المظاهرات ، وحتم عليهم السهر للمحافظة على النظام(٩٩) ٠

وتحاول الادارات المدرسية عقاب الطلبة لاشراكهم فى مظاهرات الاحتجاج ، بالوقوف بالطلبة فى الشمس وقت الظهيرة كما حدث لطلبة المدرسة الخديوية ، كما أحيل الطلبة المشتركون فى المظاهرات الى محاكم الجنح ، ويحتج الطلبة على كلا الأسلوبين ويرسل طلبة الهندسة برقية الى وزير الحقانية بسبب الاحالة

للمحاكم ، بأن ذلك ضد تصريح الوزارة بعدم الضغط على حرية الأفراد ، ويطلبون اطلاق سراح زملائهم(١٠٠) ·

وفى القاهرة فى الجمعة من كل أسبوع بحديقة الأزبكية يكون عزف الموسيقى المصرية والانجليزية من فرقة موسيقى البيادة المصرية ، وكان غالبية جمهور يوم ٢٤ اكتوبر من طلبة المدارس الذين احتجوا على الموسيقى الانجليزية بالتصفيق الحاد والهتاف بحياة الاستقلال التام وسقوط لجنة ملنر وحياة الوفد وسعد ، ويخرج الطلبة بعد ذلك فى مظاهرتين بشوارع القاهرة(١٠١) ، وتتوالى المظاهرات بالقاهرة والاسكندرية ويحدث القتل وتشيع الاسكندرية ضحايا يوم ٢٤ ، ٢٥ وتتوالى الاحتجاجات ، ولم تبق مدرسة بسائر القطر من غير أن تشترك فى هذه الاحتجاجات(١٠٢) ، بل ان الطلبة المصريين بمدرسة الليسية الفرنسية بالاسكندرية ، أضربوا احتجاجا على اطلاق النار على الصغار العزل ، والقوا مسئولية هذه الأحداث على محافظ الثغر(١٠٣) ، ولقد حاولت بعض الصحف الانجليزية ، الصاق التهم بهذه المظاهرات على أنها موجهة ضد الأجانب واختلقت بعض الوقائع لتأكيد التهمة فنشرت جريدة الغازيت أن الاهالى نهبت الكنيسة اليونانية بفاقوس بالقرب من المنيا ، فقام اليونانيون أنفسهم بنفى النبأ فضلا عن الخطأ الجغرافى الواضح ، ونشر تكذيب اليونانيين فى الصحف الفرنسية والعربية(١٠٤) ·

ويتقدم وفد من الكاملية الثانوية بمقابلة قناصل فرنسا وايطاليا وقدموا اليهم احتجاجهم باسم الطلبة على أحداث الاسكندرية ، وتوجهوا الى المحافظ فلم يقابلوه ورفض عريضتهم(١٠٥) ، ويرسل طلبة مدرسة الحقوق الى محافظ الثغر ــ ردا على موقفه ــ ببرقية تبرز عمق الفهم لمنطق الثوار ، وبوضوح وصراحة ودون مواربة

وجاء فيها « محافظ الاسكندرية ، هل فاتك وانت الرجل القانونى انك انت والحفاة والعراة متساوون أمام القانون،وفى عزف من يجب أن تكون المظاهرة الوطنية برداء رسمى (ردنجوت) ، اللهم ان كان الأمر كذلك فكيف نوفق بين قولك وعملك ، بينك وأنت الرجل الارستقراطى المتحلى بأفخر الثياب واغلاها وبين تمزيقك صدور الأمة برصاص البنادق البريطانية ، هل هذا مظهر وطنى ومتى كان الفقر باجناب المحافظ عيبا ويندد به ، ومتى كان العرى مشوها لجمال المواقف الوطنية ٠٠ »(١٠٦) ٠

وتستمر المظاهرات وتزداد الضحايا كما حدث بالاسكندرية فى ٣١ اكتوبر عندما تصطدم سيارة انجليزية بالطلبة والعمال المشتركين فى المظاهرة ويقتل شخص ، وكان مسجد سيدى أبو العباس مركزا لبداية المظاهرات كالأزهر بالقاهرة ، ويقبض على الطلبة فى الأقاليم كما حدث بزفتى عندما طلبوا من المامور الاذن لهم بمظاهرة فقبض على ٢٢ طالبا ، وتستمر المظاهرات رغم قرار الحكومة بمنعها فى ٤ نوفمبر(١٠٧) ، وتأخذ وزارة المعارف تعهدات على أولياء أمور الطلبة ، حتى لايعودوا للاضراب ولايشتركوا فى المظاهرات ويعلق الطلبة على هذا الأسلوب ، رافضين منطقه وقالوا كأن « الوزارة تريد أن تضرب على أيدينا وعواطفنا بيد من حديد ، وتجعلنا بحيث نصبح منفصلين عن أمتنا وبلادنا ، فالى الرأى العام والى معالى الوزير نعلن أننا مصريون وطنيون مستعدون لتلبية نداء مصر فى أى وقت مهما كلفنا الأمر ٠٠ »(١٠٨) ٠

وتصدر دار الحماية بلاغا فى ١٤ نوفمبر عن قرب قدوم اللجنة لدراسة أسباب القلق ، وتقديم التوصيات عن المستقبل السياسى لمصر فى اطار الوجود البريطانى ، وكان من رأى محمد سعيد رئيس

الوزراء تأجيل قدوم اللجنة ، ولما فشل فى ذلك قدم استقالته وخلفه يوسف وهبه وهو قبطي(١٠٩) • ولقد رفض اللنبى فكرة التأجيل ، لان اعلان المقاطعة هو «صيحة الحرب التى يعلنها المتطرفون»ولايصح أن يخضع لها(١١٠) • ولاينسى الطلبة موقف محمد سعيد لاستقالته ويرسلون اليه البرقيات التى تعتبر أن ماقام به من استقالة هو عمل وطنى ، مع التأكيد على الاحتجاج لقدوم اللجنة ، بل وتضرب بعض المدارس كالثانوية وابتاى البارود الابتدائية ابتهاجا بهذه الاستقالة . وتتوالى البرقيات على رئيس الوزارة المستقيل منها مثلا برقية الخديوية التى جاء فيها « خير قول ماصدقه الفعل ، عند الشدائد تعرف الأحرار وتضحى المناصب ويحمد المخلصون » ، وكبرقية طلبة القضاء الشرعى « الأمة المصرية التى أثبتت حقها فى الاستقلال بكل الوسائل ، تشكر لكم موقفكم الحميد ضد القوة التى تصادر الأمة فى رغباتها الصريحة ، وتعتقد أنه لايوجد أى مصرى يقبل رئاسة الوزارة بعد تصريح معتمد بريطانيا •• » ، الى غير ذلك من البرقيات(١١١) • ويخلف محمد سعيد يوسف وهبه وكان الهدف من تعيينه التفرقة بين عنصرى الأمة ، ولكن الأقباط احتجوا على قبوله الوزارة مع مجىء لجنة ملنر(١١٢) ، فلقد أقام الأقباط اجتماعا فى الكنيسة المرقسية الكبرى ، برياسة القمص باسيليوس وكيل البطريركية ، أعلنوا فيه احتجاجهم على قبوله الوزارة ، وخطب فى هذا الاجتماع سلامة منصور ، القمص رئيس المجلس الملى ، والقمص سرجيوس وفانوس ومندوب الطلبة كامل جرجس عبد الشهيد وأسفر الاجتماع عن برقية احتجاج لرئيس الوزراء جاء فيه « الطائفة القبطية المجتمع منها مايربو على الألفين فى الكنيسة الكبرى تحتج على اذاعة قبولكم الوزارة ، اذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر ، وهذا يخالف ماأجمعت عليه الأمة المصرية من طلب الاستقلال

ومقاطعة اللجنة ، فنستحلفكم بالوطن المقدس وبذكرى أجدادنا العظام أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن »(١١٣) ٠

ومن الطبيعي أن يكون اعلان دار الحماية بقدوم اللجنة مفجرا جديدا بل وزادا يزيد الحركة الطلابية اشتعالا ، فبمجرد هذا الاعلان تجددت مظاهرات الطلبة وركبوا قطارات الترام هاتفين محتجين على البيان . ويتكرر المشهد بعد الظهر وتعم مظاهرات الطلبة وغيرهم أنحاء القاهرة . وينتهي اليوم دون حدوث مايكدر الصفو(١١٤) ، وفي نفس اليوم تنتشر مظاهرات الطلبة في الاقاليم بطنطا لطلبة المدارس الأميرية والجامع الأحمدي وينتهي بسلام ، وكذلك في الزقازيق حيث قبض على بعضهم(١١٥) ٠

وتصدر لجنة الوفد المركزية بيانا أذاعته في ١٦ نوفمبر أشارت فيه الى مخالفة البيان لمبادىء الحق والعدل والـ ٦٠ عهدا التي قطعتها انجلترا على نفسها بالجلاء ، ومخالف لارادة الشعب المصري ومبادىء الحلفاء التي أعلنوا خوضهم غمار الحرب من أجلهـــا ، ودعت المصريين للعمل على الاستقلال(١١٦) ٠ وكان احتجاج الطلبة سابق لهذا البيان وفي اليوم التالي بالقاهرة تستمر مظاهراتهـــم (مدارس أميرية . أزهر) مع غيرهم من الطبقات . ويسقط أحـد المواطنين قتيلا نتيجة لتصادمهم مع البوليس فلفوه بعلم وساروا به الى ميدان عابدين ، ونزل محافظ القاهرة من القصر وطيب خاطرهم، وتكرر الصدام حول قسم عابدين ودخلوه عنوة وأخرجوا من به ، وتأتي قوات الجيش وينتدب المتظاهرون أحد الطلبة فيدخل القسم ويخرج معه المعتقلون ، وهكذا تحولت هذه المظاهرات السلمية الى مجازر بشرية ، وكانت هتافاتهم مؤكدة على مقاطعة اللجنة وتحذير

الأمة من أباطيل السياسة الانجليزية(١١٧) ، وتشيع جنازة المتوفين من مستشفى عباس بواسطة جماهير الطلبة والأهالى وبلغوا حوالى ١١٫٠٠٠ نفس ، ولفت الجثث بالاعلام المصرية وأمامها الموسيقات(١١٨) ، وفى الاسكندرية يحدث نفس الشيء فعندما تصل المظاهرات - الطلبة فى معظمها - الى شارع محطة الرمل ، يحاول طالبان التفاهم مع القوة البريطانية بأن مظاهراتهم سلمية ولكن دون جدوى ، فيطلق الرصاص وتحدث الاصابات ، وتصدر ادارة الضبط بلاغا رسميا يشوه الحقيقة ويحمل تبعة الأحداث على المتظاهرين ، فلقد كان هناك بعض العساكر الانجليزية عند محطة الرمل يريدون العودة لثكناتهم فاختلط بهم المتظاهرون ، وقيل ان أحد المتظاهرين أطلق عيارا ناريا من مسدس كان يحمله فاخترقت الرصاصة طرف جاكته أحد العساكر ولم تصبه ، فهجمت عليهم العساكر البريطانيون وشتتتهم(١١٩) . ولقد برهن طلبة الثغر فى مظاهرة اليوم التالى أنهم حريصون على السلام ، ومنعوا الغوغاء من التوغل فى صفوفهم بواسطة خط متماسك من الأطفال ، حتى وصلوا الى شارع البورصة حيث التجار الأجانب ، ويقف أحد الطلبة خطيبا قائلا « ان الأمة المصرية تستحلفكم بالله أن تشدوا أزرها ، فهى أمة تكرم الضيف فترجوكم تبليغ أمرها الى قناصل دولكم ، فانتم حكم بيننا وبين من يهضم حقوقنا » . وأكد ذلك طالب آخر ثم تلميذ فى السابعة من عمره اشهد الأجانب على مايحدث بالمدينة ، ورحب الأجانب بهذه الكلمات، وفى الساعة الثانية شيعت جنازة أحد الطلبة من ضحايا مظاهرة الأمس والقى الافرنج الزهور على النعش(١٢٠) . وفى اليوم التالى ١٧ نوفمبر عندما تصل مظاهرات الطلبة الى المحكمة الكلية يقابل وفد منهم رئيس النيابة طالبين العفو عن اخوانهم المسجونين ، فيرد رئيس النيابة بأن اكثرهم رعاع وطلب الكف عن التظاهر ، فرد عليه

الطلبة بأنهم اذا كانوا بالأمس رعاعا ، فهم اليوم يمناداتهم بالحرية والاستقلال يجب أن توضع اسماءهم الى جانب اسماء المـــلاك ، وعرجت المظاهرة على محطة الرمل وكنيسة الاقباط وحيوا رجالها وانتهى الأمر بسلام(١٢١) ٠

ولسوء الأحوال فى الاسكندرية تقرر وضعها تحت الأحكـــام العرفية من يوم ١٩ نوفمبر فاحتلها الجند ، ومنعوا التجـــول بعد التاسعة مساء(١٢٢) ، وتستمر مظاهرات الطلبـــة شاملة الطالبات وتصل الى القرى كسبك الأحد ، سملاوى ٠٠ وغيرها ممتدة جنوبا الى أسيوط وقنا(١٢٣) ٠

ويرســـل الطلبة برقيات الاحتجاج للنبـــى مؤكدين فيها أن الحماية التى فرضتها انجلترا بالقوة على مصر ، باطلـــة قانونـــا والبحث فى وضع نظامها أبطل وأنهم سيقاطعـــون اللجنة(١٢٤) ، ويضطر اللنبى ازاء تفاقم المظاهرات الطلابية الى اصدار بلاغ رسمى لكى يجبر الطلبة على الالتزام بالهدوء ومن أهم بنوده :

أولا ـ على جميع طلبة وتلاميذ المدارس الاميرية والخاضعة لتفتيش الحكومة أن يحضروا الى مدارسهم عند افتتاحها فى ٢٢ نوفمبر ١٩١٩ ٠

ثانيا ـ كل طالب يتخلف عن الحضور فى الموعد المحدد بدون اذن أو من غير أن يقدم عذرا مقبولا يحرم من كل امتحان يعقد فى شهرى ديسمبر ويناير القادمين ٠

ثالثا ـ لايسمح لأى طالب بدخول امتحان من هذه الامتحانات مالم يقدم شهادة تدل على حسن سلوكه ومواظبته فى المدة من ٢٢

نوفمبر الى اليوم الذى يعقد فيه الامتحان وتكون هذه الشهادة موقع عليها من ناظر المدرسة المقيد بها الطالب الآن ٠

رابعا ـ الامتحانات التى سبق الاعلان عن انعقادها فى ديسمبر ويناير المقبلين ستعقد حتما للطلبة الذين يعملون بمقتضى هذا الاعلان مهما قل عددهم ٠

خامسا ـ القواعد المتبعة فى شأن الذين يرسبون فى الامتحان ستسرى على كل طالب يحرم من هذه الامتحانات بسبب من الأسباب المتقدمة(١٢٥) ٠

ويستجيب الطلبة لهذا التهديد فيحضرون الى مدارسهم يوم السبت ، ولكنهم سرعان ماتراجعوا فعقدوا اجتماعات قرر بعضهم فيها الاضراب الى أجل غير مسمى ، وبعضهم الى مدة محدودة ، ولهذا قل عدد الحاضرين اليها فى اليومين التاليين فى مختلف المدارس ، وأضرب الأزهر والقضاء الشرعى والمدارس الثانوية فى سائر القطر الى أجل غير مسمى ، وقرر طلبة الزراعة العليا الاضراب حتى تنتهى الظروف الحاضرة ٠٠ الخ فقررت الوزارة أن تبقى المدارس كلها مفتوحة لالقاء الدروس على الطلبة الحاضرين مهما قل عددهم ٠ ويعقد لهم الامتحان فى المواعيد المحددة(١٢٦) ٠

ويتابع اللنبى اجراءه السابق بالتحذير لاى تحريض على المظاهرات بالنشر فى الصحف والخطابة وينذر بمحاكمة المخالفين أمام محاكم عسكرية(١٢٧) ، وذلك ليمنع تكرار حوادث القاهرة والاسكندرية التى أشار اليها كيرزون فى ٢٥ نوفمبر فى مجلس اللوردات ، والتى يثنى فيها على جهد البوليس المصرى فى هاتين المدينتين ، وان الجنود البريطانيين أظهرت من « ضبط النفس والاعتدال فى أعمالها مايضرب به المثل »(١٢٨) ٠

وتنشر جريدة النظام فى ٣ نوفمبر خبرا مؤداه أن بعض أعضاء الحزب الحر المستقل يصحبهم أحد الانجليز ويظهر أنه من أعضاء اللجنة الموجودين بمصر قد ذهبوا الى عمال العنابر يسألونهم عن مطالبهم . فيوجه الطلبة نداءهم الى الأمة والى عمال العنابر بصفة خاصة تعليقا على هذا الخبر ، يحذرون فيه العمال من الوقوع فى شرك هذا الحزب الذى يعمل بزياراته هذه وغيرها للتحضير للجنة اللورد ملنر ، التى لاتخفى عن أحد أهدافها الاستعمارية ، ويطلبون من العمال اظهار الشهامة والتضحية الجديرة « بشعب لايقبل الاذلال ابتغاء الحياة الحرة ٠٠ »(١٢٩) ٠

لجنة ملنر والمقاطعة :

وجاءت اللجنة الى مصر وسط موجة عارمة من الغضب من اجل الاستقلال ، كما اشتدت موجة الاغتيالات التى لم تعد قاصرة على البريطانيين بل امتدت الى المصريين ، ولقد انقذ رئيس الحكومة من محاولة اغتياله فى ١٥ ديسمبر ١٩١٩(١٣٠) ٠ وتصل لجنة ملنر فى ٧ ديسمبر ١٩١٩ بورسعيد ، واستقلت القطار الى القاهرة ، ولم يعلن عن موعد وصول اللجنة الا بعد حضورها ٠ وكان فى استقبالهم القادة البريطانيون والاميرالاى رسل حكمدار بوليس العاصمة ونائب مدير السكة الحديد ، ولم يسمح لأحد من الجمهور من التواجد بالمحطة وتوجهت اللجنة الى دار الحماية ومنها الى فندق سميراميس وهو مقر اقامة اللجنة(١٣١) ، وكانت العداوة واضحة فلقد أعد لها الوطنيون استقبالا حارا فلقد تسلحوا بالبيض والطماطم ٠٠ ولكن اللجنة نزلت بمحطة شبرا(١٣٢) ، ولقد اتخذت كافة الاحتياطات للمحافظة على سلامتها وذلك نظرا لروح العداء الذى اشتد فى النفوس بالتحريض والاغراء(١٣٣) ، ويقول مستر سبندر

« ان السلطات احتاطت لحياة الأعضاء فسارت السيارات من المحطة الى فندق سميراميس لاتقف لأي سبب . حتى طارت قبعة مدام سبندر فرفض السائق أن يقف لالتقاطها ، وطار غطاء مقدمة السيارة فرفض السائق ان يقف أيضا »(١٣٤) .

وعندما وصلت اللجنة شعرت باحكام الرقابة عليها من حراس خفيين من المعارضين ، فلم يحضر مصرى واحد ذو شأن لزيارتها فى فندق سميراميس ، وسهرت مجموعات الطلبة فى مراقبة اللجنة ، فما سافر واحد منهم الى أى مكان خارج القاهرة الا وصاحبه اثنان من الطلبة كظل له يراقبانه(١٣٥) .

وخوفا من أن تركن اللجنة الى أقوال الخارجين على الأمة ، بذل الطلبة الجهد وكل محاولة لتبديد مجهوداتها ، ووسيلة فى نفس الوقت للدعاية لنشر المقاطعة بين أرجاء البلاد فبثت العيون حول كل المسالك للفندق وتخفوا بأزياء مختلفة فكان منهم العاجز والمتسول وبائع الفول واللب والسجاير ، وأعطيت لكل واحد مايسهل عليهم كتابة أسماء القاصدين للفندق والراجعين منه ووقت مرورهم ، كما خصص أناس آخرون لجمع الاوراق التى يكتبها هؤلاء المراقبون ، وبذلك يعرف من خرج على اجماع الأمة ، فترحل اليه الوفود لتستعلم عن سبب زيارته للجنة وعما دار بينه وبينها من حديث . وكان لكل وفد رئيس وسكرتير فبينما يوجه الرئيس السؤال الى أحد الأعيان يكتب السكرتير الاجابة ، وكان من المرجح ان المقابلين للجنة « ربما كانوا يجاوبونها بما يتفق ومايريدونه منهم فانهم جميعا كانوا يجيبون الوفود أجوبة صريحة تفيض وطنية وايمانا بحب الوطن كقولهم أنهم لايريدون غير الاستقلال التام لمصر والسودان ، وأنهم يوكلون عنهم الوفد الذى يرأسه سعد باشا .. » وبعد ذلك يطلب

منه التوقيع ثم تنشر فى الصحف على الأمة ، لتكون درسا عمليا يتعلم منه أبناء الأمة مايجب قوله عندما يسأله أحـــد عن الثورة وأسبابها (١٣٦) ٠

ولقد أراد الحزب الحر المستقل الاتصال باللجنة ولكنه تراجع عن ذلك عندما تلقى تهديدات وانذارات من الجمعيات السرية ، ويقول توفيق صليب ـ وهو أحد الطلبة المشتركين فى تنظيمات ثورة ١٩١٩ ـ انه فى الاجتماع الأول للحزب قد حضـــره مجموعة من أعضـــاء الجمعيات السرية وهددوا أعضائه(١٣٧) ٠

وقام الطلبة بالقاء التحذيرات من الاتصال بهذه اللجنة فى المساجد وعقب صلاة الجمعة « وكنت واحدا من هؤلاء حيث حذرت المصلين عقب صلاة الجمعة بمســـجد الشـــامية المواجهة لوزارة الداخلية »(١٣٨) ٠ ولقد تحمل الطلبة العبء الأساسى فى الدعوة وتنفيذ المقاطعة ، فان لجنة الوفد المركزية لم تكن قوية بالدرجة التى تستطيع معها تنفيذ المقاطعة ، فلقد تكونت بداية لتمويل الوفد المسافر الى فرنسا ، علاوة على ذلك فقد كان حجم عضويتها صغيرا وغالبيتهم أما مقبوض عليهم أو مبعدين عن القاهرة ، وهناك شواهد بأن لجنة الطلبة التنفيذية ولجنة الموظفين المدنيين شاركوا بدور أساسى(١٣٩) وهو مايشير اليه اللنبى فى تقريره الى ايرل كيرزون عن مقاطعة ملنر فى ٧ ديسمبر بقوله « ولقد أستمر مثيرو الشغب فى مزاولة نشاطهم وسط الطوائف التى لكان لها دور بارز فى الاضطرابات التى وقعت فى الربيع ، وأعنى بها طوائف الأزهريين والطلبة وموظفى الحكومة لكما انهم لم ينسوا أن يوفدوا مبعوثيهم الى الريف ٠٠ »(١٤٠) ، وهو مايؤكده عمدة متانيا عند مقابلته للنر فى ٧ فبراير ١٩٢٠ فلقد تحدث العمدة عن جهوده التى بذلها لمنع جمع التبرعات للوفد بباريس ومنع

المظاهرات فى منطقته ، بزعامة طلبة أزهريين كانوا قد قدموا من القاهرة لهذا العمل ٠٠ »(١٤١) ٠

ويواجه الطلبة حضور اللجنة بأسلوب التظاهر فلم تكد تشرق شمس يوم ٨ ديسمبر حتى هجر الطلبة معاهدهم ومدارسهم احتجاجا على قدوم اللجنة ، وأرسلوا البرقيات للسلطان والوزراء واللجنة ، واستمرت المظاهرات لليوم التالى فى كل أنحاء القاهرة وقد وجد التجار عندما ذهبوا لفتح محلاتهم ، اعلانا ملصقا على أبوابها بأن « المحل مقفل احتجاجا على مجىء لجنة ملنر لبسط الحماية غير المشروعة » واحترم هذا الاعلان الكثيرون ، أما القليلون هم الذين فتحوا محالهم بعد مرور الجنود المصرية بالشوارع(١٤٢) ٠

وفى اليوم التالى لوصول اللجنة أصدرت لجنة الوفد المركزيةبيانا عن مقاطعة اللجنة واستندت فى ذلك أن المسألة المصرية مسألة دولية، ومفاوضة اللجنة يفقدها هذه الصفة وثانيا أن اللجنة تريد التفاوض على اساس الحماية وهو ماترفضه الأمة ، وثالثا أن أى استفتاء شعبى يجب ألا يكون تحت الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية ، وان اجراءه فى مثل هذه الظروف لايخدم سوى السلطة « ولذلك فان مقاطعة اللجنة عمل مشروع »(١٤٣) ٠

وتموج القاهرة بمظاهرات الطلبة هاتفة بمصر وبسقوط لجنة ملنر ، وحيل بين المتظاهرين وبين فندق سميراميس ، ولقد أراد بعض الشبان أن يسمعوا اللجنة صوت مصر ، فلم يكن أمامهم الا أن يركبوا الزوارق فى النيل حتى وصلوا قبالة الفندق ، وتصاعدت هتافاتهم الى عنان السماء وأطل عليهم الأعضاء الانجليز وظلوا ينظرون اليهم حتى انصرفوا ، وهكذا أسمع الشعب صوته مباشرة للجنة(١٤٤) ، وفى اليوم التالى يحدث التصادم بين الطلبة المتظاهرين والجنود الانجليز

الذين تعقبوهم داخل الجامع الأزهر بنعالهم ، وانهالوا بالضرب على من واجهوه ، ويحتج علماء الأزهر للسلطان فؤاد ورئيس الوزراء يوسف وهبه واللورد اللنبى على هذا الحادث ، وختموا احتجاجهم بقولهم «ان هذا الحادث قد أحزن جميع المصريين المقيمين فىالقاهرة وآلمهم اشد الايلام وسيزداد الأثر السيىء بنسبة انتشـــار الخبر فى أرجاء مصر ، وتردد صداه فى أنحاء العالم الاسلامى فنحن الموقعين على هذا من علماء الجامع الأزهر وأعضاء مجلسه الأعلى نحتج على هذه الحادثة السيئة قياما بالمفروض علينا من خدمة الأزهر الشريف وأهله »(١٤٥) ٠

ويصدر قلم المطبوعات بلاغا عن الحـــادثة جاء فيه أنه فى العاشرة والنصف صباح ١١ ديسمبر قامت مظاهرة من ٤٠٠ طالب ومعهم الأهالى وجماعة من الرعاع الذين أخذوايقذفون الحوانيت التى لم تغلق بالحجارة ، فارسل الجند لحماية هذه الحوانيت وتعقبوهم ، فدخل بعض الجنود الباب الخارجى للأزهر على غير علم منهم ، وسحبوا فى الحال بأمر الضابط القائم بالعمل(١٤٦) ٠

واعتذر اللنبى لشيخ الأزهر الشيخ محمد أبو الفضل عن هذه الواقعة ، ويعللها بمتابعة الجنود للأفراد الذين هاجموا الحوانيت والقوا الجنود بالحجارة فأثاروا حميتهم وتابعوهم ، ويختم اعتذاره بأنه لم يقصد البتة انتهاك حرمة الأزهر ، ولا التعدى على كرامـــة المشيخة ولا السادة العلماء أو الطلاب المسالمين « الا أننا نرجو أن نوجه نظر فضيلتكم ، الى أنه من الواجب على الهيئة الرئيسية للأزهر الشريف أن تمنع استعمال جوانب الجامع لأعمال الاعتداء المخالفة للقانون »(١٤٧) ٠ ولم يكتف العلماء بالاحتجاج بل ذكروا أن الحل الوحيد الذى يرضى الأمة هو الاستقلال التام(١٤٨) ، وليس هناك

سبب يدعو الى الاعتقاد كما يقول مارشال فى كتـــابه بأن هؤلاء الزعماء الدينيين الذين وقعوا على هذه الوثيقة لم يكونوا شغوفين بالقضية السياسية ، ولكنهم كانوا خاضعين للمدرسين والطلبة الذين كانت عداوة البريطانيين نامية ونشيطة بينهم(١٤٩) ، وهو أمر وان كان يشير الى تأثير الطلبة الا أنه أمر مبالغ فيه من ناحية عدم اهتمام العلماء بالأمور السياسية ٠

وتستمر مظاهرات الاحتجاج فى عموم القطر حتى فرشـــوط وتلاميذ المدارس الابتدائية والمكاتب الراقيـــة والأزهريون ومدارس البنات ، بل وفى مدرسة البنات بأسيوط ، وينشر مراسل الجازيت يقول ان اسم ملنر يستخدم الآن لاخافة الأطفال ، وقال ان كل تلميذ فى المدرسة يعرف الكتابة ويستطيع الحصـــــول على قطعة طباشير يكتب « ليسقط ملنر » ، « ليسحق الله ملنر » على أى شىء تصل اليه يداه ، وان كانت وجهة نظر المراسل استنكاره لهذه الأعمال(١٥٠) ، الا أنها توضح مدى انتشار فكرة المقاطعة بين الطلبـــة من ناحيـــة ، ومجهودهم فى الدعاية لها من ناحية أخرى ٠

ومن الطبيعى نظرا لهذا التحرك الطلابى وسط هذه الظروف وضد الاحتلال أن يتعرض الطلبة للاعتقال والمحاكمة ، فمن قبض عليه فى مظاهرة عابدين فى ١١ ديسمبر يقدم للمحاكمة العسكرية فى ٢٢ ديسمبر ١٩١٩ ، كما تشمل الاعتقالات طلبة الأقاليم فيقبض على تسعة من طلبة طنطا الثانوية ، وتصدر الأوامر من السلطة العسكرية بترحيلهم للقاهرة ، ويودعهم الطلبة على المحطة بمظاهرة سياسية سلمية احتجاجا على هذه الاعتقالات(١٥١) ٠

وتتوالى الاتهامات صوب الطلبة بأنهم السبب فى مظاهر العنف الذى يصاحب مظاهراتهم ، وهو تحامل بلاشك على الدور الوطنى

لهذه القوة ، لاسيما أن هذا التحامل مصدره فى الغالب البلاغات الرسمية وهى تعبر عن وجهة نظر السلطة القائمة وهى الاحتلال ، والصحف الأجنبية المعبرة عنه ، رغم أن الطلبة كانوا حريصين كل الحرص على الأموال العامة والممتلكات لاسيما الأجنبية ، ففى هذه الظروف كعهدهم دائما يصـــدرون بيانا ينصحون العامة والاطفال بعدم الاعتداء على مركبات الترام أو مصابيح الطرق ، ومثل ذلك من الأعمال حرصا على اكرام الضيوف الاجانب ، وأنهم سيبذلون جهدهم فى النصح وايقاف مثل هذه الأعمال(١٥٢) .

فالبلاغ الرسمى عن أحداث الجمعة ٢٦ ديسمبر بالاسكندرية وماتنقله الغازيت عن هذا الحادث ، يتفقان فى أن المظـــاهرة التى خرجت من مسجد سيدى أبو العباس وتضم طلبة وغيرهم ، هى التى بدأت بالعدوان على سيارة بها جنود فأطلقوا النيران فكانت القتلى والجرحى ، بينما بيان الأهرام يقول انه بعد الصلاة والخطب فى المسجد المذكور خرج الجميع فى مظاهرة ، ومرت سيارة مســلحة « فأطلق الجنود النار على المجتمعين فتفرق الناس ٠٠ »(١٥٣)،فالجنود هم المعتدون مثلما حدث بطنطا فى ٢١ يناير ١٩٢٠ بعد خروج الطلبة وغيرهم من الجامع الأحمدى ، بعد ماخطب فيهم أبو شادى بك عن الاستقلال وأعتدى عليهم اثنان من الجنود ، وتحدث الاصابات ويحتج أهالى طنطا من تحرش الجنود بالمتظاهرين السلميين ، ومع ذلك يقول البلاغ الرسمى « ٠٠ اعتدى جماعة من الناس مساء أمس فى طنطا على اثنين من رجال البوليس العسكرى ٠٠ »(١٥٤) .

ويزداد الضغط على الطلاب فيقرر مجلس الوزراء بجلسته فى ٢٤ ديسمبر ١٩١٩ عودة الطلبة بمختلف مستوياتها طبقا للمواعيد التى سيحددها القرار الوزارى فى هذا الشأن ، وكل متخلف بدون عذر مقبول او لايحصل على شهادة من ناظر المدرسة بحسن سلوكه

يحرم من الامتحان الذى يعقد خلال عام ١٩٢٠ ، ومن توقع عليه هذه العقوبة يعتبر كراسب وتطبق عليه القواعد الخاصة بالسن ، ولاتعتبر الشهادات المرضية مبررا للغياب الا اذا تسلمها ناظر المدرسة خلال يومين من تغيبه أول مرة واعتمدها(١٥٥) ٠

وازاء الحصار المفروض حول اللجنة ، والذى كان العامل الحاسم فيه الطلبة وصبيان المدارس كما يقول تقريرها ، يصدر ملنر بلاغا فى ٢٩ ديسمبر لكى يزيل الخوف عن الراغب فى الادلاء برأيه من التعرض للمضايقة ـ ويضمن ملنر البيان ـ أن الدخول فى المناقشة لايعتبر اعترافا بمبدا أو تنازلا عن رأى من قبل اللجنة أو المناقش ، وأن حرية المناقشة شرط أساسى للنجاح وبغيرها يتعذر الفهم ، وقلل هذا المنشور من العداوة بعض الشىء ، ولكنه لم يذهب بنفور المصريين اجمالا فى الاتصال باللجنة بصفتهم الرسمية(١٥٦) ٠

ويتبع الطلبة مع اللجنة أسلوب الاحتجاج بالبرقيات ، وهو مايشير اليه ملنر فى تقريره حيث انهالت عليه سيل من برقيات الاحتجاج ، وكان كثير منها من صبيان المدارس وتلامذتها ، كما وردت على اللجنة برقيات من هيئات أخرى كموظفى الحكومة ٠٠ الخ وبلغ مجموعها ١١٣١ كلها تتضمن الاحتجاج على حضور اللجنة ماعدا ٢٩ برقية ترحب بأعضاء اللجنة من شخصيات لها علاقة بهم(١٥٧) ٠

ولم تكن برقيات الطلبة احتجاجا على اللجنة قاصرة على ملنر وأعضاء لجنته بل أيضا أرسلت الى السلطان وسفراء الدول أمريكا ، فرنسا ، ايطاليا ، وذلك لاشهاد العالم أجمع على احتجاجها ومقاطعتها للجنة اللورد ملنر وتعلقها بالوفد(١٥٨) ، ولم يكتف الطلبة بنشر برقيات احتجاجهم على الجرائد العربية ، بل والأفرنجية أيضا

كجريدة الايجبشن ميل التى وصلتها العديد من برقيـات الطلبة ، كبرقيات طلبة الجمعية الخيرية الاسلامية بالاسكندرية وطلبة سعيد الأول والمساعى وغيرها(١٥٩) .

وفى ٣ يناير ١٩٢٠ يصدر الأمراء كمال الدين حسين ، عمر طوسون ، محمد على ابراهيم ، يوسف كمال ، اسماعيل داوود ، منصور داوود بيانا الى الأمة مضـــمونه أنهم معهـــا فى المطالبة بالاستقلال التام(١٦٠) ، ويهدف الأمراء بذلك الى كسب تأييد شعبى بانضمامهم الى الحركة الوطنية التى عمت البلاد ، ويتقدم الطلبة بالشكر للأمراء لهذا الموقف وانضمامهم للامـــة ، كطلبـــة المدارس العليا ، وطلبة معهد طنطا الدينى ونقابة طلبة معهد دسوق ، طلبة قنا ، شبين .. الخ(١٦١) .

وكان أسلوب المتابعة الميدانية لكمحاصــــرة اللجنة فى تحركاتها أينما ذهبت فى القاهرة أو القرى مما اتبعه الطلبة ، احكاما للمقاطعة فعندما يقيم اللورد ملنر المأدبة الثانية بفندق سافوى ولم يحضرها أحد من الوطنيين ، وقف فريق من طلبة المعاهد والمدارس بالشارع ، وعندمـــا وصـــل ملنر وأعضـــاء لجنته الى الفنـــدق ، تعالـــى هتافهم لمصر والمصريين والاستقلال التام باللغات الأجنبية ، ولـــم يحدث اثناء ذلك ســـوى أن البوليس ألقى القبض على اثنين من الطلبة .

ولقد زار أحد أعضاء اللجنة المستر هيرست المحكمة المختلطة ، واثناء ذلك كان جمهور من طلبة المدارس والاهـــالى واقفين تجاه المحكمة المختلطة يهتفون لمصر والحرية والاستقلال باللغات الأجنبية، ولما خرج المستر هيرست ازداد هتافهم واقتربوا من سيارته،وتقدم اليا تلميذ وكلمة بالانجليزية قائلا « أرجوكم أيها السيد أن تقول الحق

لقومك وألا تنكر ماهو ظاهر من وطنية المصريين واتحاد كلمتهم فى طلب الاستقلال »(١٦٢) • واستمر الطلبة فى متابعة اللجنة وأعضائها فى التحرك الى أى مكان فى سائر نواحى القطر ، فعندما يتجه أحد منهم الى المديريات ، فان الرسل ترسل من القاهرة لتمنع اتصال الناس بها خصوصا الفلاحين ، ولتنظيم المظاهرات لاشعارهم بتمسك الرأى العام المصرى(١٦٣) • وكان لذلك اثره الكبير فعندما سئل فلاح من مديرية الغربية من قبل أعضاء اللجنة عن عدد أولاده ، أجاب الفلاح انتظر سأسأل سعد باشا(١٦٤) • ويرسل عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول فى ١٧ يناير ١٩٢٠ ويخبره بزيارة مستر سبندر وزميله لمحافظة الغربية ، وكيف بث الشبيبة عيونهم فى كل مكان ، فلم يتيسر لعضوى اللجنة الاتجاه الى أى ناحية الا ويجدوا الطلاب والتلاميذ أمامهم فى الطرق والمسالك ، وعندما زار سبندر بلده قحافة القريبة من طنطا أخفت زوجة أحد المشايخ القائم بعمل العمودية ــ لغياب العمدة ــ الخاتم الخاص بزوجها قائلة«اننى لاأترك لك الخاتم خوفا من أن يجبرك الحكام على التوقيع على أوراق لمن يقال انهم سيحضرون هنا » وبالفعل خرج الرجل بدون خاتم ، وتعذر على سبندر الوصول للبلدة المذكورة اذ وجد أن كل منافذها غاصة بالطلبة ، فعاد وزميله أدراجه(١٦٥) • ويشير أيضا فى نفس الرسالة الى جهود الطلبة فى مراقبة المسالك والطرق بمحافظة الغربية أثناء زيارة عضوى اللجنة لها ، فأوقف الطلبة سيارة أحمد بك الشيخ أحد أعضاء مجلس مديرية الغربية والعضو بلجنة الوفد المركزية ، وأنزلوه من سيارته ولم يتركوه يواصل سيرة الا بعد أن تأكدوا انــــه ليس متجها لأعضاء لجنة ملنر ، ومع ذلك ركب معه أحدهم حتى تجاوز حدود التفتيش واطمأن الطلبة أنه لن يقابل أحدا من اللجنة(١٦٦) ، وكان طلبة الأزهر يمرون بالقرى والمدن داعين لمقاطعة اللجنة فى أنحاء الريف المصرى(١٦٧) •

واحكاما لحلقة الحصار المضروب على لجنة ملنر اتبع الطلبة اسلوبا آخر فى مواجهتها وهو استطلاع رأى القادة السياسيين والدينيين المؤثرين حول اللجنة ، وربما ارادوا بذلك سد الطريق امامهم فى أية محاولة لأن يغير بعضهم آرائه . ولكشفه هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، مالهذا من أثر فى توجيه حركة الجماهير، ولدحض ماقد يكونون قد صرحوا به للجنة امام الرأى العام ، وكل ذلك يخدم القضية الأساسية ولاظهار تماسك الرأى العام المصرى فى موقفه امام اللجنة ·

ويقابل وفد من الطلبة شيخ الجامع الأزهر ويجيب على تساؤل حول اللجنة قائلا انه « يرى ضرورة التمسك بتوكيل وفد معالى سعد باشا ومقاطعة لجنة ملنر ، لأن الوفد وحده هو موضع الثقة العامة » واكد لهم السيد البكرى المعنى السابق ، كما زاروا الكنيسة المرقسية وقابلهم رئيس المجلس الملى الذى اكد مقاطعة اللجنة ودعا لكل مصرى لذلك(١٦٨) ·

كما يقابل الطلبة عدلى باشا ويدور بينهما حديث حول اللجنة قبل تصريح ملنر فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ عن عدة نقاط منها على الوجه التالى :

الطلبة : سمعنا أن الوزارة عرضت على معاليكم فاشترطتم لقبولها رفع الأحكام العرفية والغاء الحماية ؟

عدلى : لم تعرض على الوزارة بل أخذ رأيى فى كيفية مفاوضة اللجنة للأمة فأخبرتهم أن ذلك لن يكون مالم تلغ الحماية ، وأن الأمة لاتقبل المفاوضة الا بواسطة الوفد ، ويكون لسعد باشا القول الفصل فى قبول مفاوضة اللجنة أو عدم قبولها ·

الطلبة : سمعنا أن لجنة ملنر تنوى اذاعة منشور تظهر فيــه رغبتها فى مفاوضة الأمة فما راى معاليكم ؟ .

عدلى : مادار بينى وبين اللورد ملنر أجدنى متفائلا أكثر منى متشائما وقد اظهر لى ميله للمفاوضة مع المصـــريين على قاعـدة الصداقة المتبادلة بقوله On the basis of friendly accord. مع المحافظة على مصالح الانجليز والاجانب ، غير أنى أرى أنه ليس من الحكمة أن نفتبط بالظواهر وليس يضيرنا اتخاذ الحيطة على أى حال ·

الطلبة : وهل يعتقد معالى الوزير صدق هذه الوعود الجديدة ؟

عدلى : لا أستطيع الجـــزم بذلك بل يرجـع فيه الى اللورد ملنر ·

الطلبة : واكن مارأى اللجنة فى صفة الوفد المصرى ؟

عدلى : أنهم مع عدم اعترافهم بصفة الوفد ، الا انهم واثقون بأن مفاوضة الأمة لاتكون الا على لسان وفدها غير أنى أشك فى أن الوفد يقبل ذلك ·

الطلبة : ماذا تكون النتيجة لو ابى المصريون مفاوضة اللجنة ؟

عدلى : بالطبع لايكون امامهم الا الرجوع الى بلادهم ولكـن لا تظنوا أنه يعقب ذلك رفع الحماية وسحب الجنود الانكليزية من مصر(١٦٩) ·

ومهما كان الرأى حول مضمون الحديث لاسيما عبارته الأخيرة وهو مايعلق عليها محمود سليمان غنام بأن ذلك يدل على سخريته

من الأمة واجماعها(١٧٠) · الا أن النشر فى حد ذاته كفيل بابراز معالم الشخصية واطار حركتها كما يدل على الجهود الكبير الذى بذله الطلبة فى هذا المجال ·

ويتوجه وفد من طلبة الحقوق والقضاء الشرعى ويقابلون أحمد حشمت باشا ويجيب على تساؤلاتهم ـ بعد تمجيده للطلبة وتضامنهم وتضامن الأمة ـ حول بلاغ اللجنة فى ٢٩ ديسمبر قائلا « فى البلاغ شىء من التساهل ومهما كانت المناقشة لاتتقيد بقيد فأرى أن يترك أمرها للوفد وكبار رجال الأمة » · وينتهز طلبة المدارس العليا وجود وفد من قنا بالقاهرة بخصوص نية الحكومة فى نقل المحكمة من قنا للاقصر ، فيستطلع وفد منهم رأى وفد قنا حول اللجنة ويؤكد أهالى قنا أنهم مصرون على مقاطعة اللجنة ، ولن يخاطبوها الا عن طريق الوفد المصرى على مبدأ الاستقلال التام ، ولن يتأثروا بأى بلاغ مبنى على الايهام · وحول سؤال عن موقف العمد وهل منهم من سيقابل اللجنة تحت أى تأثير أجابوا « ثقوا مرة أخرى أننا جميعا مصريون متضامنون اذ ان فى المسألة حياتنا التى نضحيها مهما تنوعت طرق التأثير » ·

ويتوجه وفد من الطلبة لمقابلة محمد الشريعى باشا ، رئيس الحزب الحر المستقل ، وهو الحزب الذى كونه الانجليز فى محاولة لكسر الحلقة المقفلة حول اللجنة ، وانتهى الأمر بالحزب الى أن انفض أعضاؤه عن مؤسسيه الخونة ، واضطر الحزب أخيرا أن يعلن فى جريدته المنبر الانضمام لآراء الوفد(١٧١) ، وسأله الوفد الطلابى عن عدة نقاط منها :

● فعن التلغراف الذى أرسله للجنة مهنئا اياها بسلامة الوصول ، نكر بأن التلغراف أرسله للجنرال مكسويل شخصيا يهنئه بسلامة الوصول لسابق معرفته به وليس لهذا التلغراف أى صيغ سياسية ·

● وعن نيته فى مقابلته للجنة ، أجاب أنه مثل الأمة ومادامت الامة مجمعة على المقاطعة فهو معها(١٧٢) ٠

ويتوج الطلبة هذا الجهد الكبير بنشره على صفحات الصحف الى جانب بياناتهم ، وهو ماحدا بصدور بلاغ ادارة المطبوعات فى ١٨ ديسمبر بتهديد الصحف بالتعطيل ، اذا نشرت آراء وأعمال سياسية لأشخاص لايدركون تبعة مايفعلون كتلاميذ المدارس وغيرهم، وكانت مقدمة البلاغ محملة المسلك المخالف للنظام — من وجهة نظر السلطة — للمواد التى تنشرها الصحف ، وأن أثر الصحافة فى الاقاليم أصبح واضحا(١٧٣) ، وكانت الصحافة المصرية الوطنية الى جانب بيانات الطلبة ، كانت تتبنى حملة على اللجنة موضحة أن أى اعتراف بها سيفسر كاعتراف بالوضع القائم ، وأن أى مصرى يتعامل مع أعضائها يرتكب الخيانة للوطن(١٧٤) ، واحتج الصحفيون على ذلك وفرضت الرقابة على الصحف فى ٢٦ مارس ١٩٢٠ (١٧٥) ٠

مشروع الاتفاق سعد / ملنر :

تركت لجنة ملنر مصر فى مارس ١٩٢٠ . وعندما عاد ملنر الى لندن عهد الى المستر هيرست بالسفر الى باريس وقابل سعد فى مايو ١٩٢٠ ودعا الوفد لمفاوضة اللجنة ، وأرسل الوفد محمد محمود باشا . عبد العزيز فهمى ، على ماهر الى لندن للاستطلاع عن امكانية التفاهم ويبدو أن النتيجة كانت مرضية فسافر الوفد الى لندن فى يونيو ١٩٢٠ ، ودارت بين الجانبين مفاوضات انتهت بمشروع اتفاق ، رأى الوفد استشارة الأمة فيه فعهد الى محمد محمود وعبد اللطيف المكباتى ، واحمد لطفى السيد ، وعلى ماهر للسفر الى مصر على أن ينضم اليهم ثلاثة من الأعضاء الموجودين بمصر وهم

مصطفى النحاس ، ويصا واصـــف ، حافظ عفيفى ليتولوا جميعا مهمة عرض المشروع على الأمة للتعرف على رأيها(١٧٦) ٠

وعند عرض هذا المشروع كان هناك أربعة اتجاهات سياسية :

الاتجاه الأول : يمثله الحزب الوطنى ، وهو يمثل الوطنيين الأكثر تطرفا وطلبوا رفض الاتفاق ، لأنه لايعطى الاستقلال التـام لمصر ٠

الاتجاه الثانى : يمثله مجموعة الأمراء المتصلين بالقصـــر ، ورفضوا أيضا المشروع لأن هذا سوف يقلل من سلطة السلطان ٠

الاتجاه الثالث : مجموعة المعتدلين وكانوا محبذين للاتفاق ٠

الاتجاه الرابع : الغالبية من الشعب عبروا عن موافقتهم على الاتفاق،ولكن بعدة تحفظات خاصة بالسودان وغيره من النقاط(١٧٧)

أى أنه عند عرض المشروع لم يكن هناك رأى واحد ، بل كانت صحافة معارضة كالأهالى التى كانت تقول ان المعارضين للمشروع، لايبغضون الوفد وانما يبغضون مشروع الاتفاق(١٧٨) ، كما كانت جريدة مصر من المحبذين للمشروع ، وتخاطب رجال الحزب الوطنى بقولها « ٠٠ بعيدا جدا ياسادتى أن تكونوا انتم وحدكم أعقل من كل افراد الأمة ، أو الكثر وطنية منهم أو بالأحرى بعيد جدا أن تكونوا انتم فقط الوطنيين،وبقية أفراد الأمة ليسوا كذلك !!»،(١٧٩) ، فضلا عما كانت الصحافة المصرية تنشره من أراء للطلبة المصـــريين فى الخارج ، وهم من المعارضين للمشروع ٠

يضاف الى ذلك أن سعد زغلول لم يكن يحبذ المشروع ، ولكن كان ذلك بصفة سرية أى لم يعرض رأيه فى خطاب عام ففى رسالا

لأعضاء الوفد الثلاثة بمصر يذكر لهم ، بعد أن يطلب منهم أن يكون المضمون « بيني وبينكم » عدم موافقته على المشـــروع ، فظاهره الاستقلال . وباطنه الحماية ، ويعدد ركائز الحماية فيه وأن أسباب قبول البعض له تتلخص فى عدم وجود السند الدولى لهم ، وانفراد انجلترا بالقوة والسلطان وعدم قدرة الأمة على مواصلة المقاومة « وانى اعترف بأهمية هذه الاسباب ولكنهــا لايمكن أن تقلب حقيقة المشروع من حماية الى استقلال ٠٠ » فحرصا على وحدة الوفــد وخوفا من الشقاق . لم يظهر الخـــلاف بينه وبين الموافقين عليه ، وانتهى الأمر بعرضه على الامة ٠ ورغم أهمية هذا الخطاب فانه لم ينشر على الأمة ، ولم يكن أعضاء الوفد شارحين للمشروع بل كانوا محبذين له وهو ما أكده كيرزن فى خطبته بمجلس اللوردات بقوله انه « فى شهر سبتمبر أوفد أربعة من زملاء سعد زغلول باشا الى مصر لكى يشرحوا لأبناء وطنهم الاقتراحات التى يبحثونها فلـــم يشرحوهـــا فقط بل حبذوها لأشياعهـــم فكان لها حــظ كبير من الموافقة ٠٠ »(١٨٠) ٠

فكان القادمون الى مصر يمثلون الجناح المعتدل الذى كان يود أن يصل سريعا الى اتفاق مع الانجليز وانهاء الثورة خاصة ان ملنر قد بعث بخطاب فى ١١ أغسطس الى ســـعد يطلب من الوفد الذاهب الى مصر الدفاع عن المشروع أمام الرأى العام المصرى وبذل الجهد فى الحصول على موافقة الجمعية الوطنية المتوقع تشكيلها ٠

ولهذا لم يذكر هذا الوفد بمصر الا مميزات المشروع وكيف أنه يعطى الاستقلال التام لمصر وأكثر من ذلك فقد تبرعوا باجابات من عندياتهم وكأنها على لسان المسئولين الانجليز ارضاء للسائلين كما انهم كانوا يأخذون الموافقة خلال حفلات الاستقبال والتكريم والتوديع ولجأوا أيضا الى جريدة الأخبار وهى وفدية بتأييد المشروع

ونشر آراء المؤيدين فقط حتى يدخل فى روع الناس أن الوفد بلندن يؤيد المشروع(١٨١) ٠

ولقد أيدت الغالبية الطلابية بما فيهم الأزهريون المشروع بصفة عامة ، فطلبة المدارس العليا بالاسكندرية فى بيانهم يؤكدون أن نقط ضعفه لاتوازى المزايا العظيمة التى تجنيهـــا الأمة من ورائه ، « فضميرنا وواجبنا يقضيان علينا بتحبيذ المشروع وقبوله كأســـاس للمعاهدة المنتظرة ، والثقة التامة بوفدنا المحبوب ليعمل على خير البلاد ومن الجريمة الكبرى التى لايقبلها الوطن رفض استقلال فيه سعادة الجميع »(١٨٢) ، كما يخاطب طلبة التجارة العليا المعارضين للمشروع بتحكيم ضمائرهم(١٨٣) ٠

ويمكننا أن نوجز بعض الملاحظات التى أبدتها المدارس المختلفة الأميرية والازهرية حول مشروع الاتفاق :

١ ـ شكر الوفد على جهاده العظيم والتمسك به ومؤازرته حتى النهاية ٠

٢ ـ أن الاتفاقية تصلح أساسا للمعاهدة لتضمنها الاستقلال مع التحفظ فى تقديم الضمانات ٠

٣ ـ الاعتراف صراحة بالغاء الحماية على مصر ٠

٤ ـ تحديد مكان الحامية على القنال وجعلها فى ضـــفتها الآسيوية مع تحديد عددها وموعد جلائها ٠

٥ ـ أن ينص صراحة بالغاء وظيفة المستشار المالى عند سداد الدين ٠

٦ ـ التساوى بين مصر وانجلترا فى التحالف وتحديد أجل التحالف ٠

٧ ـ ضمان نصوص الاتفاقية وعدم قابليتها للتحوير فى المستقبل ٠

٨ ـ الأمل فى أن يبذل رجال الوفد كل جهدهم فى ادخال التحفظات التى تجمع الامة على ضرورة وجودها ضمن نصوص المعاهدة ٠

٩ ـ الاعتماد فى تخليص نصوص بقية المسائل من شوائب الاحتمال والتأويل على مهارة الوفد ٠

١٠ ـ تحديد المساعدة التى يعقل ان تقدمها مصر لانجلترا فى حالة الحرب ٠

١١ ـ تغير لقب المستشارين المالى والقضائى وتسمية الأول بمندوب انجلترا فى صندوق الدين على أن تنتهى مهمته بعد سداد الدين وتسمية الثانى بمندوب انجلترا عن حقوق الأجانب فى مصر وان يلغى من المعاهدة حق اتصاله بوزير الحقانية كما يلغى ايضا مايختص بهما من حق استشارة الحكومة المصرية لهما ٠

١٢ ـ اشراك مصر كدولة صاحبة حق فى المفاوضات الخاصة بالغاء الامتيازات الأجنبية ٠

١٣ ـ النص على محاكمة الاجانب فى المسائل الجنائية على مقتضى قانون العقوبات المصرى مهما كانت جنسيتهم مادام وقوع الجناية فى الأراضى المصرية ٠

١٤ ـ الاعتراف فى المعاهدة بأحقية مصر فى السودان جميعه واعطاء انجلترا عند المفاوضة فيه الضمانات اللازمة لصيانة مصالحها بشرط ألا تمس حقوق المصريين ٠

١٥ ـ النص على أن الاتفاقات التى تعقدها مصر مع الدول الأخرى وتعارضها انجلترا للاضرار بمصالحها ، يجب أن تكون من الوجهة السياسية فقط ·(١٨٤) ·

ولا نستطيع ان نؤكد ان هذه كل تحفظات الطلبة حول المشروع ولكن طبقا لما أمكن التوصل اليه من بيانات طلابية فى هذا الخصوص لاسيما وأنها كانت بيانات اجمالية تتضمن الموافقة العامة على المشروع ·

ويكتب أمين الرافعى لسعد زغلول حول استشارة الأمة فى المشروع أن الطبقة المتعلمة تدافع بكل شجاعة عن المشروع رغم تحفظ أعضاء الوفد الشديد ، أما الطبقات الاخرى فانها لم تبد رأيها بعد ولكنها تميل الى تأييده ، ويتعجب سعد زغلول من موقف الطبقة المتعلمة فيقول « ·· وقد استغربت من أن الطبقة المتعلمةتتعجلبالدفاع عن المشروع رغم حياد من حملوه ولكنى عللت ذلكبأنهذهالطبقة من المتطلعين للتقدم فى الوظائف وهم يجدون فى المشروع مجالا واسعا لسد مطامعهم ·· » الى جانب مايشعرون به من قلة المساعدة الخارجية(١٨٥) ·

ولما كانت الأغلبية مع المشروع فالأقلية بالتالى تقف ضده ، فعندما يجتمع طلبة الحقوق بحضور صاحب العزة ويصا بك واصف ويتم شرح المشروع فيوافق ٨٠ ويعارض المشروع اثنان(١٨٦) ، وكان لهذه الأقلية صوت على صفحات الصحف ففى أحد بياناتها تؤيد الامراء الذين وقفوا ضد المشروع ، وانهم يرفضونه « اذ لاخير فى حياة غير مستقلة تحفها الشروط وتشوبها القيود ولنتمسك بحقنا الطبيعى الذى نرمى اليه متذرعين بالصبر والثبات ، ولنكن خير أمة ضحت بالنفس والنفيس فى سبيل حريتها »(١٨٧) ·

ويقضي أعضاء الوفد المنتدبون في مصر حوالى شهر لاستشارة الأمة في مشروع المعاهدة وغادروا القاهرة الى باريس في أوائل اكتوبر ١٩٢٠ ، ثم سافر الوفد الى لندن(١٨٨) ، واخبر سعد اللورد بأنه يصر على عدة تحفظات في مشروع الاتفـــاق المقترح وبدونها لايعتبر مقبولا من قبل المصريين ، وكان أكثرها أهمية الى جانب أن تحدد القوات البريطانية عدديا ومكانيا في مناطق قناة السويس ، أن يكون للمصــــــريين نصــيب متســـاو مع بريطانيا في ادارة السودان(١٨٩) ، ولكن ملنر رفض قبول التحفظات متمســـكا برأيه الأول وهو قبول المشروع ككل أو رفضه ككل ، وأن مأموريته انتهت « وأنه يجب عليه أن يقدم تقريره الذى استبطأ قومه ظهوره وان من المفهوم أن لكل فريق تحفظات وملاحظات يريد ابداءها ، فمثل هذه وتلك يجب تركها للمفاوضات الرسمية القريبة،وبخاصة لأن المشروع عبارة عن أسس خالية من التفصيل والتأويل »(١٩٠) .

وعاد الوفد الى باريس بعد رفض التحفظات ، ويؤيد الطلبة سعد زغلول لتمسكه بهذه التحفظات ، فتتوالى برقيات طلبة المدارس والأزهر من نواحي القطر المختلفة تؤيد كلها الوفـــد في تمســـكه بتحفظات الأمة ، ونكتفي في هذا المجال بذكـــر نص لاحـــدى هذه البرقيات ، وهى من احدى المدارس الابتدائية والثانوية لسعد زغلول جاء فيها « نحن ازاء ماذاع بشأن المفاوضات الأخيرة نجد من اللازم أن نؤكد للوفد تمام تعضيدنا بكل ايماننا الوطني ، وأن الامة التي أقامته نائبا عنها ثابتة العقيدة في مبادئها القومية ، لاتزعزعها تلك المناورات السياسية لأنها شديدة المراس في الصبر على مطالبها ، وليعلم أنصار الاستعمار وليس من مصلحتهم أن يعلموا أنه خير للأمة ان تقطع المفاوضات قطعا باتا بالاستمرار في جهادها المقدس ، من أن تحيد قيد شعرة عن حقوقها التي هبت للمطالبة بها »(١٩١) .

مشروعات رى السودان :

والغرض من هذا المشــــروع بايجاز رى جـــزء من أراضــى الجزيرة (٣٠٠ الف فدان) التى تبلغ مساحة أراضيها عشــرة ملايين من الأفدنة ٠ بانشاء سد فى مكوار على النيل الازرق ، وكذلك انشاء خزان عند جبل الأولياء لتوفير المياه لمصر ، وهذا المشروع بالغ الخطورة على مصر(١٩٢) ، وتؤكد لجنة الوفد المركزية أن كثيرا من الاخصائيين قد قر رأيهم على ضرر مشروعات رى السودان على مصر ، وهو أمر يدعو الى ايقافها ٠

ويحتج الطلبة مع غيرهم على هذه المشروعات بأسلوب التظاهر أو ببيانات وبرقيات الاحتجاج ، فطلبة الاسكندرية يتظاهرون فى ٦ مارس وعلى التوالى واشتركت الطالبات مع الطلبة احتجاجا على هذه المشروعات ، ويطلبون من محافظ الثغر توصــيل احتجاجهم للمسئولين ، كما خرجت المظاهرات من مسجد سيدى أبو العباس بعد صلاة الجمعة فى ٢٢ مارس تهتف لمصر واستقلالها وابطال مشروع رى السودان والغاء الرقابة على الصحف ، كما قامت المظاهرات فى القاهرة وغيرها(١٩٣) ٠

كما تتوالى البرقيات الطلابية بالاحتجاج وايقاف المشروع الى سعادة حسن باشا واصف بألا يقبل الاندماج فى لجنة فحص المشروع والى معالى سرى باشا مطالبينه بابداء رأيه فى المشــــروع ، والى رئيس الوزراء لايقافه ، والى ســـفراء فرنســـا وايطاليا وأمريكا ليستشهدوهم على احتجاجهم وايقافهم بضرره(١٩٤) ٠

سعد أم عدلى :

تألفت وزارة عدلى يكن فى ١٧ مارس ١٩٢٠ ، وقد سبقها كتاب الحكومة البريطانية للسلطان فؤاد فى ٢٦ فبراير باعتبار أن الحماية

علاقة غير مرضية ودعوة مصر للمفاوضة ، ولما كانت المفاوضة من أهداف وزارة عدلي ، فقد أبرق الى سعد بدعوة الوفد للاشتراك فى المفاوضة،فرد عليه سعد فى ١٩ مارس بعزمه على العودة لمصر(١٩٥)

وكان استقبال سعد فى ٤ ابريل استقبالا كبيرا ، شارك فيه الطلبة مشاركة ايجابية فيسافر مندوبو المدارس فى قطار خاص بهم للاسكندرية ، ليكونوا فى استقباله عندما تطأ قدم سعد أرض الوطن، ولقد تبرعت السكة الحديد بقطار الطلبة مجانا ، بينما كان قطار آخر يحمل اللجنة المركزية للوفد والوفود الأخرى ، وكان الطلبة يلقون بالحفاوة في المحطات التى يقف عليها القطار فيقدم مندوبو المدارس الشكر لأهالى هذه المحطات لشعورهم العالى الذى أظهروه نحو الطلبة ساعة وقوف القطار الخاص بهم فى هذه المحطات(١٩٦) ، واشتركت التلميذات فى استقبال حرم الرئيس بالقاء نشيد خاص بها ، كما اقام الطلبة بالاسكندرية حفل استقبال للزعيم بفندق ماجستيك وحضرها الأمير عمر طوسون ومحمد سعيد باشا وخطب سعد باشا خطبة صغيرة(١٩٧) ، وعند وصول ركب الزعيم للقاهرة كان الطلبة فى استقباله ، وكان لهم موقع محدد على طريق الموكب(١٩٨) .

وتتوجه الوفود الطلابية الى بيت الأمة ، ومن سائر بلاد القطر فضلا عن مظاهراتهم كمظاهرتهم فى ٨ أبريل احتفالا بمقدم سعد(١٩٩) ، كما توجهت التلميذات مع سيدات القاهرة والاسكندرية فى موكب على الاقدام من ميدان الأوبرا الى منزل سعد باشا ، وقد حملن الأعلام وأخذن يهتفن باسم الوطن والوفد وسعد ، وقد أمسك الطلبة بأيدى بعضهم فكونوا حولهن سياجا لمنع الناس من الاختلاط بهن(٢٠٠) .

كما توجه وفد من الأزهريين الى بيت الأمة ، وأطل عليهم سعد خاتما لكلمته بحياة العلم والطلبة والاستقلال التام ومصر ، وألقى أحد الطلبة خطبة قال فيها « كنت أزهريا وصرت أبا للأزهريين ، فانت الأب الأبر لمصر والمصريين ياممالى الرئيس ، ان الذى حملك من مصر الى أوربا ومن أوربا لمصر انما هى قلوب المصريين ، والقضية الآن تقطع الأدوار تلو الأدوار ، فنحن وراءك ووراء زملائك ، يامعالى الرئيس ان قلوبنا لن تتحول الا اذا تحول القلب من الشمال الى اليمين .. »(٢٠١) .

وكان هذا الاستقبال الذى شارك فيه الطلبة بدور أساسى ، بمثابة توكيل جديد لسعد ، ولقد فهم سعد مرمى هذا الاستقبال ، ففى خطبة له فى اليوم التالى لوصوله قال انه يعلم أن هذه الاحتفالات موجهة الى شيء آخر أعلى وأسمى من سعد وأصحابه « موجهه الى ذلك المبدأ السامى الذى اتخذتموه راية لحياتكم وهو مبدأ الاستقلال التام » .

وكان له الأثر الكبير على نفسية سعد ، فأصبح متشددا مع المعتدلين وسنراه يهوى عليهم بالضربات تلو الأخرى ، ويفصل الأعضاء المخالفين معتمدا فى ذلك على الثقة التى شرفته الأمة بها – والتى تأكدت فى استقباله الذى كان للطلبة فيه دور أساسى – وبالنسبة للانجليز ، فكان هناك فارق بين مفاوضاته مع ملنر ومفاوضاته مع مكدونالد ١٩٢٤ وماطالب به فيها ، وكان هذا الاستقبال فى ٤ أبريل وثورة مارس ١٩١٩ نقطتين فاصلتين فى حياة سعد من انتعاش الحركة الوطنية حتى ١٩٢٤ ، ولكن المعتدلين لـ يزنوا هذا الاستقبال بميزان صحيح ، فأغرتهم كثرتهم فى ال فآثروا الصدام مع سعد فى قمة شعبيته وتأييد الأمة له ، فكان

الصدام الذى يعتبر بداية مرحلة صاخبة فى حياة مصر الداخلية أرسيت فيها تقاليد الصراع الحزبى(٢٠٢) ، ويشير فخر الدين الظواهرى الى هذا المعنى عندما حضر عنده مجموعة من الطلبة والشبان من أنصار سعد ليمضى معهم بسقوط عدلى ، ومن أنصار عدلى ليمضى معهم بسقوط سعد فرفض كلا الطلبين ، وقال ان هذه مسألة يجب أن يسويها الزعيمان فيما بينهما ، وهذا أكرم لمصر ولهما « .. ولكن كلامى لم يعجب الفريقين من الشباب فرمى الفريقان فى غضبهما منزلى بالطوب ولكنى لم أتأثر لمعرفتى بنزعات الشباب »(٢٠٣) . ولقد تعرض عبد الرحمن فهمى لهذا الخلاف ويرى أن نصيب سعد أكبر من نصيب عدلى فى تحمل مسئولية النظام، لأنه لو أيد عدلى فى مفاوضاته وظل سعد بمصر يقوى روح الشعب المعنوية بعقد الاجتماعات المتوالية فى سائر بنادر القطر ، لحققت المفاوضات كثيرا من مطالب الأمة(٢٠٤) ، ومهما كان الأمر فلقد دار الخلاف حول عدة نقاط أساسية :

● أن تكون الغاية من المفاوضات الوصول الى الغاء الحماية بوجه عام .

● الحصول على اعتراف بالاستقلال التام مع ملاحظة ارادة الأمة التى قدمها الوفد للجنة ملنر .

● ان تلغى الأحكام العرفية والرقابة على الصحف قبل بدء المفاوضات .

● أن يكون للوفد الغالبية في وفد المفاوضة وأن تكون لسعد الرياسة(٢٠٥) .

وحول هذه النقطة الأخيرة كان الخلاف هل تكون قيادة وفد المفاوضة للجانب المتطرف بقيادة سعد زغلول ، الذى أكدت لـه

الأمة توكيلها فى هذا الاستقبال الأخير ، أم للمعتدلين الذين أصبحوا الآن لايمثلون سوى قطاعات معينة فى الشعب وهم طوائف الاعيان والمثقفين(٢٠٦) • فسعد مازال فى فكره أن الأمة اختارته هو وليس عدلى لقيادة لها ، وأخذ يعمل على تحطيم منافسه وأن عدلى يجب أن يستقيل ، وأكد أنه لن يتعاون معه(٢٠٧) ، ولقد استبعد عدلى منذ البداية أن يصدر قرار من الوفد بالعمل ضده وعدم الثقة به ، لان غالبية الوفد كانت فى صفه بل كانت تعملبقيادته لابقيادة سعد ، وكان ذلك حقيقة ففى نفس اليوم الذى نشر فيه حديث عدلى بالأهرام فى ٢٥ ابريل ، عقد سعد اجتماعا بأعضاء الوفد وأراد أن يعلن فيه عدم الثقة بالوزارة ، ولكن الأعضاء جادلوه ، وبعد مناقشة اتفقوا معه على ألا يذكر شيئا عن الخلاف فى حفلة شبرا ، والتى كان سعد على موعد لحضورها فى نفس اليوم ، ولكن سعدا شاعرا بأن الأمة وراءه قرر أن يتجه اليها مباشرة لاستصدار قرار منها بعدم الثقة بعدلى والسلطان وكل مخالفيه(٢٠٨) •

ويفصل سعد مخالفيه المنشقين عليه ، ومع ذلك لم يفقد سيطرته على الحركة وهذه نقطة جديرة بالاهتمام فى تنظيم الوفد ، فكان وراءه الحركة الشعبية التى كانت تمده بالحركة والقوة الحقيقية ، وكان لتنظيم الشباب فضل فى ذلك ولم يؤثر الشقاق فى القيادة على الحركة الشعبية(٢٠٩) •

ووقوف الطلبة بجانب سعد فى هذا الصراع ليس موقفا حزبيا، وان كان له هذا الشكل ، انما هو أمر فرضته الوطنية ، فتركهم جانب المعتدلين وعلى رأسهم عدلى انما يعنى بالدرجة الأولى الحفاظ على نقاء الثورة وابعاد العناصر المعتدلة عنها ، ولم يكونوا وهم الذين بدأوا هذه الثورة واستشهد منهم الشهداء واستمروا فى كفاحهم

وثوريتهم وسط ظروف صعبة ، أن يسهل عليهم ترك العنصر الثورى المتطـرف وعلى رأسـه سـعد ، والجنوح الى عدلى الذى يمثل المعتدلين ٠

وللطلبة الدور الأساسى فى تأكيد زعامة سعد ولاغرابة فى ذلك ، فالطلبة هم جنود الوفد ، ويعلن زعيم الطلبة حسن يس فى حفلة الطلبة لسعد بفندق شبرد فى ١٨ ابريل ، انضمامهم الى جانب سعد قائلا « ٠٠ لسنا ندعى علما بدقائق السياسة ولكنا نعلن شيئا واحدا وهو أننا قد وضعنا ثقتنا غير المحدودة فى سعد زغلول ، ولانرضى أن تكون هناك مفاوضات سياسية الا اذا كان فيها سعد زغلول ، وروحها سعد زغلول ورئيسها سعد زغلول ، لسنا نقول هذا اعتباطا فان هذا الصوت الذى ارتفع عاليا فى مبدأ حركتنا ، سيظل عاليا الى النهاية ، ويجب أن يتضاءل بجانبه كل الأصوات الخافتة ، والتى لايجب ألا أن تكون كذلك ٠٠ »(٢١٠) ٠

ويعاهد سعد الطلبة بأن يموت فى السعى للاستقلال فان نجح فيها والا ترك لهم تتميم ما بدأه ، ويؤكد لهم أن مشروع ملنر قبـل تعديله بالتحفظات لايمكن أن يكون أساسا لاتفاق بيننا وبين الأمـة الانجليزية ٠(٢١١) ، ويقول فى وفد للطلبة بأنهم سيحصـلون على الاستقلال ان عاجلا أو آجلا ، وانهم لايستطيعون كبت شعور الأمة وأنه يستمد منهم القوة فان « رؤياكم ورؤيا الشبيبة الناهضة تفيض على قوة كبيرة أرجع بها الى عهد شبابى فاشعر بها أنى شاب مثلكم . وهذا مايشجعنى على أن أسير فى الطريق السـوى الموصـل الى استقلالنا التام ٠٠ »(٢١٢) ٠

ويواجه وفد لطلبة الحقوق السلطانية أمين بك الرافعى ، الذى كان يرى ترك التفاوض للحكومة،ويؤكد لهوفدالطلبةأنمسئوليةالوفد

وواكالته عن الأمة هى سبب قوى ليفاوض بخلاف الوزارة التى يراها غير مسئولة ، فضلا عن أن رفض الانجليز لطلبات الوفد هو رفض لطلبـات الأمة بأســرها ، ويكون بالتالى له الأثــر السيىء فى نفوسها(٢١٣) ، بل ويصدر مندبو الطلبة ، صديق رفعت عن الأزهر ، ومهدى علام عن دار العلوم وحسن يس بالاضافة الى مندوبى ٢٧ مدرسة ثانوية وعليا والجمعية المصرية بلندن بيانا يناقشون فيــه حجة أمين الرافعى بعدم دخول الوفد المفاوضات وتركها للحكومة ، بأن الوفد مستعد للمفاوضة طالما كانت على غير أساس مشــروع ملنر ، ويدعو الأمة للاتحاد وينحى باللائمة على المنشقين ، وينكر البيان على أمين الرافعى هذه الغارة التى يكاد يشق بها اجمــاع الأمة ، فعليه تقع تبعة كل مضرة للقضية نتيجة هذا الخلاف ، ويستمر البيان مؤكدا توكيل الوفد ويناشدون « ٠٠ المصريين كافة أن يأخذوا على يدى كل فرد يحاول احباط سعى الوفد ٠٠ »(٢١٤) ٠

ومن الطبيعى أن يلجأ الطلبة الى أسلوبهم فى التعبير ، وهو التظاهر والاحتجاج ببياناتهم ، فتتوالى المظاهرات هاتفة لسعد ، ويلقى الطلبة ، محمود عبد الرحمن بالحقوق ، ومحمد مصــطفى بوادى النيل الثانوية ومهدى علام بدار العلوم خطبهـم أمام بيت الأمة(٢١٥) ، وفى نفس الوقت كانت المظاهرات فى الاسكندرية بعد صلاة الجمعة ٢٢ ابريل من طلبة المدارس والمعهد الأزهرى هاتفين لسعد والاستقلال(٢١٦) ٠

ولن نتتبع بالتفصيل المظاهرات الطلابية فى هذا الشأن فهى مستمرة مع سعد ضد عدلى وكما يقول عبد الرحمن فهمى ان الكفتين لم تكونا عدلا ، فان كفة سعد هى الراجحة ، وان جماعة المتظاهرين كلها كانت بجانب سعد ، فلم تقم مظاهرة واحدة للترحيب بالوزارة

بعد خلاف عدلي مع سعد ، وهو ما أثار الحكومة وجعلهـا تقـابل مظاهرات الاحتجاج السلمية منها والعدائية بالقسوة والشدة ، مما أدى الى أخذها شكلا عنيفا(٢١٧) . ولكن سنكتفي بالاشارة السريعة لاعنف المظاهرات لنوضح الظروف الصعبة التي عاشـها الطـلاب لاظهار تأييدهم لسعد زغلول ، منها ماحدث بطنطا في ٢٩ ابريل وفي تقرير النائب العام مصطفى فتحي لوزير الحقانية ، يشير الى أنـه بعد اداء فريضة الجمعة في ٢٩ أبريل بالجامع الأحمدي قام بعض التلاميذ خطباء حاضين على اقامة المظاهرات ، ورفع الاحتجاجات على كل وزارة تناهض الوفد وتعارض خطته ، وأبلغ ملاحظ الجامع بعد فشله في ايقافهم المشيخة التي أبلغت قسم أول فحضر المأمـور وبرفقته ضابطان وستة عساكر قاصدين الجامع الأحمدي وخرجت المظاهرة بعد الخطابة ، وحاول المأمور اقناعهم بالتفرق فلم يفلح ، وقيـل من بعض الشـهود ان العسـاكر اعتدت على المتظاهرين بالضرب ، فقابلهم هؤلاء بالمثل وأحاطوا بالمأمور ولكن العسـاكر أمكنها تخليصه ، ثم قام الحكمدار وتعـدى بقوته على المتظاهرين وسقط قتيلان ، فهاجم المتظاهرون القسم ، وأطلق العساكر ٤٠٠ طلقة للتفريق وأصيب بعض المتظاهرين ، ويقول التقرير أنه أمكن معرفة أحد الطلبة الخطباء في الجامع الأحمدي وهو القطب زهران الطالب بمدرسة المعلمين بطنطا ، ومن رأى النائب العام في تصدى المأمور أنه أخطأ في تعرضه للمتظاهرين بالعنف وهو لم يكن معه قوة يمكنه بها حفظ كرامته وتأدية واجبه ، وبذلك فهو الذى عرض نفسه ورجاله للاهانة(٢١٨) .

ويحتج سعد باسم الأمة على هذا الحادث لمسلك البوليس ازاء المظاهرات السلمية بطنطا ، مما أسفر عن قتلى وجرحى ، ومما يزيد في حزنه على هذه الفاجعة « أنها حصلت بسبب التصدي لمنع التظاهر

لى والهتاف باسمى .. » ، وتأسف الحكومة لهذا الحادث وفى ٣٠ أبريل شيعت طنطا شهداءها الثلاثة الذين ذهبوا ضحية المظاهرات فى احتفال مهيب يتقدمه طلبة المدارس(٢١٩) .

وتضطر الحكومة ازاء تفاقم الحوادث أن تصدر قرارا بمنع التظاهر وأنه « ليست عيشة المظاهرات المستديمة هى العيشة العادية فى أى بلد من بلدان العالم .. »(٢٢٠) .

ومع ذلك تستمر المظاهرات وبالتالى اعتداءات جند الحكومة ، ويحتج الطلبة على ذلك ويطالبون بوضع حد لتلك التصرفات المغايرة لبرنامج الوزارة ، الذى أعلنت فيه أنهـــا تتمشـــى مع ارادة الأمة(٢٢١) .

ويصدر مرسوم السلطان فى ١٩ مايو ١٩٢١ بتأليف الوفـد الرسمى برئاسة عدلى باشا وعضوية حسين رشدى باشا واسماعيل صدقى باشا ، محمد شفيق باشا وهم من الوزارة وأحمد طلعت باشا رئيس محكمة الاستئناف ويوسف سليمان من الوزراء السابقين(٢٢٢) وتستمر مظاهرات الطلبة وتشترك فيها الطالبات ، كما حدث بطنطا فى ١٩٢١/٥/٢٠ عندما سارت الطالبات فى شوارعها ، وعندمـا يصل الركب الى قسم أول خطبت أحداهن للزعيم سعد زغلول ، وأنه لارئيس الا سعد ، وكان يحيط بهن طلبة المـــدارس وانتهت المظاهرة بسلام(٢٢٣) .

وتتجدد المظاهرات بالقاهرة فى ١٨ ، ١٩ مايو التى يشترك فيها الطلبة كما يقول تقرير حكمدار القاهـرة(٢٢٤) ، كما يشـــتبك البوليس مع طلبة الصنايع فى ١٩ مايو ببولاق ، وقد أخبر الطلبة العمال بالعنابر باعتداء البوليس عليهم فخرجوا لنجدتهم وأسفر التصادم عن أصابة ٤٢ عسكري بوليس ، وقد ضبط الطلبة أحد رجا

البوليس السرى ، وتعدوا عليه تعديا قاتلا ويطلب حكمدار بوليس القاهرة استخدام النار(٢٢٥) ، وتصل مظاهرات الاسـكندرية الى قمتها فى ٢٢ مايـو حيث تدهور الموقف ويحدث قتـال عنيف بين الجماهير المصرية واليونانيين والايطاليين(٢٢٦) ، وتبلغ الاصابات طبقا لبيان ادارة المطبوعات ٤٩ جريحا ، ٣ قتلى ، ٢١ جريحا وقتيل نقلوا الى المستشفى اليونانى ، وفى مذكرة اتحاد الجاليات الايطالية بمصر عن هذه الحوادث ، ترجع السبب الى الخـلاف بين سـعد وعدلى ، وتبرىء الطلبة عن مسئولية العنف ، ولكنها حملتها على الطبقات الأقل تنورا من المصريين وأرجعت سبب الفتنة الى التعصب الدينى وكراهية الأجانب(٢٢٧) .

وعلى أثر هذه الحوادث يصرح تشرشل فى جمعية زرع القطن بمنشستر ، بأنه لايرى أن الوقت قد حان لبريطانيا لأن تجلوا عن مصر ، خوفا على حياة الجاليات الأجنبية ، واحتجت الحكومة وسعد على هذا التصريح(٢٢٨) . ويتصدى الأهرام لهذا الاتهام مخطئا من يتوهم أن الجمهور بالمظاهرات لايبالى بمصلحة الأجانب ، ولا أصل لمن يقول ان المتظاهرين من الرعاع ، ومن الجهل أن يظن الأجانب كلما رأوا مظاهرة أنهم المعنيون أو المقصودون بالاعتداء والسلب ، وأنه من الصعب تكميـم الأفواه بعد وقـوع الخلاف لاسـيما فى الاسكندرية فهى سعدية ومادام الخلاف بين الوفد والوزارة(٢٢٩) . ويستحلف الطلبة المواطنين بالوطن المقدس الذى أوقفوا أرواحهم فى سبيله ، بالمحافظة على الضيوف الاجانب فى أرواحهـم وأولادهـم وأموالهم ، وفى حالة أى اعتداء لمعتد عليهم فان حصرالحادث فى دائرة ضيقة وعدم مقابلة الاعتداء بمثله لمن أوجب الأمور ، فضلاً عن المحافظة على أدلة الاثبات ضد المعتدى وكذلك الأدلة التى تنفى عن المواطنين مايحتمل الإتهام ، ويستحلفونهم بحق مصر وحق سعد بعدم

الاعتداء على الأجـــانب(٢٣٠) • وتنفى لجنة الطلبة بالاسكندرية ـ وهى قريبة من الأحداث ـ عن المصريين تهمة الاعتداء على الأجانب وانه اذا روعيت النزاهة فى التحقيق ، فسينجلى عن أن اليونانيين هم البادئون بالعدوان ، وهو مايؤيده جميع سكان الثغر من أجـــانب ووطنيين ورجال البوليس والجيش وعلى رأسهم وكيل الحكمدار وضباط الجيش(٢٣١) •

ويضطر سعد ازاء تفاقم الأحداث على مستوى القطر أن يصدر بيانا للأمة فى ٢٥ مايو ١٩٢١ لايقاف المظاهرات ، والاكتفاء بمـــا أظهرته حتى الآن من سخط على الوزارة(٢٣٢) ، فسعد لم يكن مشجعا للطلبة على عدم انتظامهم فى الدراسة ليخيف عدلى ويجبره على الخضوع وهو مايشير اليه الجود Elgood (٢٣٣) ، فحركة الطلبة كانت مبكرة قبل حسم الموقف بين أعضاء الوفد فى ٢٥ ابريل مؤيدة لسعد •

كما يتبع الطلبة أسلوب الاحتجاج بالبيانات والبرقيـــات الى رئيس الوزراء ولسعد وللمندوب السامى والسلطان ، لتشكيل الوفد برئاسة عدلى الغير حائز على ثقة الأمة ، ولايعترفون بغير ســـعد رئيسا ومفاوضا (٢٣٤) ، ويؤكد طلبة الطب للسلطان بأن الاتفـاق مع الانجليز يجب أن يبنى على أساس العدالة والاعتراف باستقلال مصر ، فلذلك يجب أن يكون المفاوض هو ســـعد وليست الوزارة الحالية(٢٣٥) • ويعدد طلبة الأزهر للسطان كيف أن هذه الحكومة لم تعد ممثلة للشعب فقد كبتت الحريات ، وضغطت على شـــعور الأمة لتظهر نفسها بمظهر غير حقيقى،بارغام الناس على اعلان الثقة بها، كما أنها أحالت موظفيها الأحرار لمجالس التأديب لاقامتهم حفـــل تكريم لسعد زغلول ، فضلاً عن العنف الذى واجهت به المظاهرات كـ

فى طنطا ، فلذلك لاتمثل هذه الحكومة الا نفسها ، وعليها ألا تتقدم لأية مفاوضة مع أى هيئة(٢٣٦) ، كما شاركت التلميذات فى ممارسة هذا الأسلوب كبرقية تلميذات السنية للسلطان ، وتأكيدهن الثقة فى أن يكون المفاوض مع الانجليز هو سعد وليست الوزارة(٢٣٧) .

واذا كانت الأغلبية الساحقة للطلبة بجانب سعد كما سبق الاشارة ، فان قلة قليلة منهم قد خرجت عن الاطار العام للطلبة ، ومن الطبيعى أن تهلل الحكومة لهم بل وتصدر البيانات الرسمية عن الطلبة المؤيدين لها ، فتصدر ادارة المطبوعات بيانا رسميا حول حضور وفد من طلبة المهندسخانة نائبا عن زملائهم لمقابلة عبد الخالق ثروت وزير الداخلية بالنيابة عن عدلى باشا ــ لاعلان ثقتهم بالوزارة العدلية ، وتأييدهم للوفد الرسمى وقدموا اليه عريضة الثقة بالوزارة ، وألقى الطالب عبد العزيز أباظة بالسنة الثانية كلمة أمام الوزير يذكر فيها تأكدهم من تفانى الوزارة فى خدمة القضية المصرية ، مدفوعة بعامل الوطنية والاخلاص فلا يسعهم الا الثقة بها ، وأنه عندما قام هذا الخلاف المشئوم كان عليهم أن يخلصوا أنفسهم من تلك المحبة العمياء ، وتبين لهم أن التهجم على الوزارة ، لم يكن الا لأنها حافظة على كرامتها الذاتية والحكومية والتقاليد الدستورية(٢٣٨) .

ويبدو أن عريضة طلبة الهندسة التى وقعها ٨٤ من طلبتها والتى ضمنوها ثقتهم بعدلى ، كانت ضمن حملة التوقيعات التى قادتها الحكومة مستخدمة مالها من سلطة ، حتى يقال ان وكالة الوزارة تسحب وكالة سعد(٢٣٩) ، فيشير طلبة الهندسة فى بيان للرأى العام الى وسائل الضغط التى تعرضوا لها من قبل وكيل المدرسة عبد المجيد بك عمر ابن عم عبد العزيز بك فهمى المنشق عن الوفد ، والذى عين عضوا باللجنة الهندسية بالوفد الرسمى.ويؤكدون براءتهم من ضعاف

القلوب الذين تغريهم المادة ويجددون ثقتهم بسعد(٢٤٠) . كما يشير أحد الطلاب عباس حلمي بالهندسة ، أنه رفض التوقيع على عريضة الثقة بالوزارة ، ومع ذلك وجد اسمه بين توقيعات العريضة فيحتج وتكثر في الصحف مثل هذه الأمثلة(٢٤١) .

ويعلق سعد زغلول على عرائض الحكومة في كلمته أمام وفد طلبة الأزهر ، فوصفها بأنها أعمال أطفال ، وأشار لهم في حديثه عن الخلاف ، أنه ليس شخصيا وأنه لايتصور أن ينجح وفد الحكومة بتشكيله وعضويته في العودة باستقلال البلاد(٢٤٢) ، ويستمر موقف الغالبية مع سعد ، ليأخذ شكلا آخر عندما يستقدم سعد بعثة سوان لتتبين شعور الأمة وتدرس حالة البلاد .

بعثة سوان وزيارات سعد للأقاليم :

وبعد فترة هدوء زارت بعثة من حزب العمال الاعضـــاء في مجلس العموم البريطاني مصر ، ولقد حاول ثروت القائم بعمل رئيس الوزراء منعها ، ولكن البعثة وصلت مصر(٢٤٣) ، وكان على رأسها مستر سوان ، استحضرها سعد لتتبين شعور الأمة وتدرس حـــالة البلاد(٢٤٤) ، هادفا من وراء ذلك ان تدرك البعثة موقف أو مركز حكومة عدلي في مصر وافساد أية فرصة لنجاح مفاوضاته بلندن(٢٤٥) ويرحب الطلبة بهذه البعثة ، فيقرر مندوبو الطلبة بالقاهرة الاشتراك مع الأمة في استقبال الأحرار الانجليز القادمين الى مصر(٢٤٦) .

واذا كان الطلبة قد ساروا شوطا كبيرا في تأييد سعد في نزاعه ضد عدلي فانهم ينتهزون فرصة تواجد هذه البعثـة ، لاظهـــار هذا الشعور وفي الوقت نفسه ، اعـــلان عدم ثقتهـــم بالوفد الرســـمي للحكومة ، ومؤكدين على المطالب المصرية في الاستقلال التام لمصر والسودان وملحقاتهما(٢٤٧) .

وتتوالى البرقيات على اللجنة حول هذا المضمون من مدارس ومعاهد القطر كطلبة الجامع الأحمدى ، وطلبة بلصفورة ، وطلبة المدارس ، والمعاهد بشبين ٠٠٠ الخ فيكشف طلبة شبين فى مؤتمرهم الى جانب تأييدهم لسعد وعدم اعترافهم بالوفد الرسمى ، حيث ظهر أنه يتفاوض على أساس الحماية التى يرفضونها وترحيبهم ببعثة سوان - كل أساليب الحكومة فى استخدام عمالها ، واكراه العمد وذوى النفوس الضعيفة على نزع ثقتهم بمعالى سعد باشا ، داحضين بذلك ماتجاهر به الحكومة من عرائض الثقة التى تتوالى عليها(٢٤٨) ، كما بين طلبة الهندسة للبعثة فى برقياتهم لمستر سوان ولويد جورج والصحف الانجليزية والجمعية المصرية ومكرم عبيد ، أساليب الحكومة فى الحصول على الثقة الزائفة ، مستندة الى الأحكام العرفية خصوصا فى مدرستهم بواسطة أقارب المنشقين ، معلنين تأييدهم لسعد(٢٤٩) ٠

ويحاول سعد أن يصحب البعثة فى زيارته لطنطا فى ٢٢ سبتمبر ١٩٢١ ، ضمن جولته فى بلاد القطر ، وتمنع الحكومة هذه الزيارة حرصا على النظام ، الأمر الذى يؤدى الى احتجاج الطلبة ، فيصدر مندوبو الطلبة بيانا ضمنوه احتجاجهم الشديد على هذا المنع مؤكدين مبايعتهم لسعد(٢٥٠) ، وتغادر البعثة مصر فى ٧ أكتوبر وودعها جمهور كبير من الطلبة ٠

ويواصل سعد زغلول جولاته فى الوجه القبلى ، وكانت زيارته الأولى لأسيوط فى ١٤ أكتوبر ويحدث صدام بين انصاره وخصومه ، ولم يستطع النزول الى المدينة وظل بالباخرة ، ويحتج المحتفلون ببرقيات الى جميع الصحف ، وتجمع برقيات الطلبة على مستوى القطر ، على الاحتجاج مستنكرة سوء تصرف الادارة التى كان فى

امكانها قمع هذا الحادث المدبر من أفراد استأجرهم البعض ، وما أسفر عنه من اراقة الدماء ، ويؤكد طلبة الهندسة بأسيوط ان الدماء التى أريقت فى سبيل سعد « ستكون وصمة عار لقوم باعوا ضمائرهم ولوثوا أيديهم بسفك تلك الدماء الطاهرة ·· »(٢٥١) · ويستنزل طلبة الجامع الاحمدى اللعنات وسخط الله على من أسال دماء الشباب بأسيوط ، ويخاطب طلبة الزراعة العليا ، أسيوط رافعين هامتها « ولاتحزنى يا أسيوط من استشهاد بنيك فى سبيل سعد فبالدماء تحرر الأوطان ولسوف يزورك متوجا بالاستقلال التام»(٢٥٢)

اجراءات الحكومة ضد الطلبة :

ومن الطبيعى أن يتعرض الطلاب المؤيدون لسعد لضغط واكراه وتعسف من حكومة عدلى ، فيقدم لمحكمة دسوق فى ٣ أغسطس ١٩٢١ سعد البنا وآخرين من طلبة الأزهر بتهمة التظاهر فى بلدتهم سنهور المدينة والمناداة بسقوط الوزارة(٢٥٣) ، ويحتج طلبة شبرا وروض الفرج لسعد زغلول على اعتقال أحد الطلبة لهتافه باسم سعد فى حفلة الاسكندرية ويطالبون بالافراج عنه(٢٥٤) ·

كما استخدمت الحكومة وسائل الطرد من المدارس ، فطلبة الفنون والصنايع يشكون لرفت الوزارة لثمانية من زملائهم لالشىء سوى أنهم من المؤيدين لسعد(٢٥٥) ، يضاف الى ذلك القرارات الخاصة بمنع التظاهر كما سبق بيانه وماأكدته ادارة المطبوعات خاصا بالازهر من أن القانون ٣٩ لسنة ١٩٢٠ الخاص بالأحكام التأديبية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، ويقضى بمنع المدرسين والموظفين والطلبة من القاء الخطب أو المحاضرات أو طبع وتوزيع منشورات داخل الجامع أو غيره من المعاهد والمساجد ، وحيث قد حدثت بعض المخالفات ، يؤكد منشور الداخلية على هذه

القواعد[٢٥٦] . كل ذلك فى اطار التعرض لنيران الجند ، كما حدث فى طنطا واعتقالات كما حدث عقب مظاهرات ٤ نوفمبر ١٩٢١[٢٥٧]، ويحدث فى كل مظاهرة .. لنرى ونقيم ونقدر مابذله الطلبة فى هذا المجال .

مشروع كيرزون :

وصل عدلى الى لندن فى ١١ يوليو ١٩٢١ ، وبدأت المفاوضات بينه وبين اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية وتخللتها فترات عطلة بسبب فصل الاجازات فى انجلترا ، وانتهت هذه المفاوضات بالفشل[٢٥٨] ، فلم يكن عدلى يستطيع ان يتحمل مسئولية الاستسلام الذى يعتقد تماما أنه مرفوض من الرأى العام فى مصر ، وأخذ يكرر دعاوى الوفد بأن مصر لها حقوق واضحة ولايمكن انكارها فى السودان[٢٥٩] ، فلقد سلم اللورد كيرزون لعدلى فى ١٠ نوفمبر مشروع معاهدة الوزارة البريطـــانية ، وأصرت على بقاء القوات البريطانية فى أى مكان والى أى زمان ، كما تضمن المشروع ماينظم الحماية ويهدم الاستقلال ، فشئون مصر الخارجية تتم بمراقبة المندوب السامى ، أما الشئون الداخلية فى المالية والحقانية والجيش ففى قبضة بريطانيا بطريق مباشر أو غير مباشر فضلا عن فصل السودان عن مصر[٢٦٠] .

وباختصار كان هذا المشروع قائما على اســـاس مقترحات ملنر[٢٦١] .

ويقف الطلبة من هذا المشروع موقف الرافض متخذين الأسلوب الجماهيرى فى التعبير كالتظاهر والاحتجاج وتحريك الجمـــاهير والطواف على قناصل الدول الأجنبية ، أى ايجاد وخلق تيار شعبى مضاد للمشروع .

ومظاهرات الطلبة فى هذا الخصوص عامة وشاملة فشملت كافة مستويات المدارس من العالية الى المكاتب الراقية والخصوصية والأزهر والمعاهد الدينية ، فضلا عن الطالبات هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فانها امتدت على مستوى القطر من الشمال الى الجنوب من أواخر نوفمبر ١٩٢١ حتى فبراير ١٩٢٢(٢٦٢) ٠

وكانت بيانات الاحتجاج الطلابية على نفس مستوى المظاهرات فشملت القطر ومختلف مستويات التعليم حتى طلبة المكتب الراقى بقرية محلة مرحوم(٢٦٣) ، وأشارت هذه البيانات فى معظمها الى المشروع ، وكيف أنه مهين للكرامة المصرية ، وصبر الشعب المصرى وجلده واستعداده للفناء ، ويحمل الطلبة فى هذه البيانات بريطانيا مسئولية انكار حقوق الشعب المصرى ، وسأكتفى فى هذا المجال أن أذكر نماذج من هذه الاحتجاجات ٠

فطلبة الجامع الأحمدى يعلنون فى بيانهم الاحتجاج على المشروع ، ويستشهدون بالله والعالم أجمع على أنهم قد ابتاعوا أرواحهم ودماءهم بالاستقلال التام لمصر والسودان ، وأنهم ازاء « استنكار انكلترا حقوقنا الشرعية وتهديداتها ، نعلن أن عليها تقع مسئولية كل عمل وتبعة لكل نتيجة ٠٠ »(٢٦٤) ، ويؤكد طلبة الحقوق للسلطان ان الشعب المصرى يفضل الابادة والموت قبل أن تضم مصر للممتلكات البريطانية بمقتضى مشروع كيرزون ، وأنه يا « صاحب العظمة اننا انما نطلب حقا مقدسا لامنحا يتفضلون بها علينا فاما رجوع من جانب الانجليز الى الهدى واعتراف بذلك الحق كاملا واما أن يفرضوا علينا مايشاؤون »(٢٦٥) ٠

ويشير بيان طلبة الطب والصيدلة الى عراقة الشعب المصرى التى يعرفها التاريخ ، ولقد بادت دول تطلعت اليه بالشرور ، وبقى

هو موفور الكرامة يذود عن خوضه مسترخصاً كل غال فى سبيل ذلك ، واذا أرادت القوة أن تصرع الحق مرة ثانية فمآلها الفشل الكبير ، وانهم أقسموا أن يعيشوا أحرارا أو يموتوا كراما(٢٦٦) ، كما يرفض بيان طلبة العباسية بالاسكندرية المشروع لانهم وجدوه مهينا لكرامتهم وتاريخهم المجيد ، ولروح الحرية وحق تقرير المصير وأنهم عقدوا عزمهم على مواصلة الكفاح للاحتفاظ بحقوق البلاد ، وهو نفس مضمون برقيات الجمعية الخيرية الاسلامية ، محمد على بالاسكندرية ومعهدها(٢٦٧) ٠

ويزور جماعة من طلبة المدارس قناصـــل فرنسا وايطاليا وأمريكا وشرحوا لهم ماوصلت اليه حالة البلاد فى الظروف الأخيرة من متاعب أعمال القوة وتغلبها فى اغتصاب حقوق الشعب المجاهد بالطرق السلمية فى سبيل حريته واستقلاله ولقد عطف القناصـــل عليهم(٢٦٨) ٠

وكان من الصعب والأمة بما فيهم الطلبة ضد عدلى وتأييدها لسعد ، الذى استقدم علاوة على ذلك بعثة سوان ، لتتعرف على حقيقة مشاعر الشعب المصرى ازاء قضيته وقيادته ، ورفض الطلبة والأمة مشروع كيرزون ، كلها عوامل ساعدت بلا شـــك فى الوصـــول بالمفاوضات الى غير نتيجة ٠٠٠ وهو أمر يؤدى الى البحث عن حل للموقف فى الوقت الذى ترفض فيه بريطانيا الانحناء لسعد الذى أصبح فى نظرها ، مهيجا كبيرا يثير الشغب والفتن والعداوة ضدها كما أن أعضاء مجلس العموم والوزراة البريطانية ، لم يكونوا على استعداد للرضوخ له(٢٦٩) ، فانتهى الأمر فى النهاية بنفى ســعد واصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ٠

نفى سعد :

كان لنشر مشروع كيرزون وتبليغ اللنبى ورفض عدلى للمشروع أن انتشرت موجة الاستياء ضد السياسة البريطانية ، فيندد سعد بالمشروع ويقول للأمة « فلنثق بقلوب كلها اطمئنان ونفوس ملؤهـــا استبشار وشعارنا الاستقلال التام أو الموت الزؤام » ومنعت السلطة اجتماعا دعا اليه سعد فى نادى سيروس فى ٢٣ ديسمبر ، واحتـــج سعد على ذلك · وفى ٢٢ ديسمبر أنذرته السلطة العســـكرية بعدم الدعوة للاجتماعات أو الخطابة ، وطلبت منه الاقامة فى الريف بعيدا عن القاهرة ، كما صدرت نفس الأوامر الى فتح الله بركات باشا ، عاطف بركات بك ، مصطفى النحاس بك ، صادق حنين بك ، مكرم عبيد ، جعفر فخرى بك ، سينوت حنا بك ، أمين عز العرب ، وقد احتج سعد قائلا فى احتجاجه بما أنه « موكل من قبل الأمة للسعى فى استقلالها ، فليس لغيرها سلطة تخليني من القيام بهذا الواجب المقدس ، لهذا سأبقى فى مركزى مخلصا لواجبى وللقوة أن تفعل ماتشاء أفرادا وجماعات ·· » ، كما احتج أعضاء الوفد فكان رد الفعل اعتقال سعد فى ٢٣ ديسمبر ، واعتقل فى اليوم نفسه زملاؤه التى أنذرتهم ، عدا أمين عز العرب الذى قبل السفر الى عزبة والده بالسنطة ، وصادق حنين الذى قبل البقاء بمنزله وكذلك جعفر فخرى بك(٢٧٠) ·

ولم يحل اعتقال سعد ونفيه وبعض أعضاء الوفد المشكلة ، فحل غيرهم محلهم فى الوفد وواصلوا العمل للاســـتقلال والحرية بالاتفاق والتعاون مع عناصر الشعب التى التفت حولهم وأيدتهم على جارى عهدها فى تأييد كل عامل مخلص(٢٧١) ، وفى نفس اليوم بادر عدلى الى استعجال استقالته التى سبق أن قدمها فى ٨ ديسمبر عقب

وصوله القاهرة بيومين وذلك لكيلا يتحمل مسئولية اعتقال سعد ، وجاء فى استعجاله للسلطان « ولما كان عدم قبول الاستقالة رسميا الى الآن قد يجعل سبيلا لتحميل الوزارة شيئا من التبعة عن اجراءات لاعلم لها بها ولادخل لها فيها ٠٠ » ويرجو قبول الاستقالة(٢٧٢) ٠

وكان القبض على سعد يمثل الخطوة الأولى لتحقيق العلاقات الهادئة مع بريطانيا(٢٧٣) ، ولم تكن مظاهرات الطلبة متوقفة قبل اعتقال سعد ، ففى ذكرى عيد الجهاد ١٣ نوفمبر كان هناك احتفالين للعدليين بفندق الكونتنتال ، ولانصار سعد بسرادق بملاعب مدرسة وادى النيل الثانوية ، ويخرج المحتفون فى هذا الاحتفال الأخير هاتفين لسعد.وسارت المظاهرة حتى وصلت الى ادارة البريد ، حيث كان لوريا بيلوك الخفر عائدا للمحافظة فألقى عليه من يندسون فى أمثال هذه المظاهرات الطوب ، فأطلق الجنود النيران فى الهواء واعتقلوا البعض(٢٧٤) . كما تظاهر الطلبة فى ذكرى اعلان الحماية فى ١٨ ديسمبر على مستوى القطر طلبة وطالبات وأزهريون ، وأغلقت المدارس بالقاهرة والاسكندرية وغيرها وكانت هتافات الطلبة فى ذلك اليوم ، لاحماية ، لاوصاية ، الاستقلال التام ، وشاركت فيه المدارس الابتدائية كما حدث فى السنطة(٢٧٥) ٠

وعندما ينفى سعد للمرة الثانية ، يزداد الموقف اشتعالا وتعود البلاد الى مايشبه ثورة مارس ، فيسرع الشباب الى حديقة بيت الأمة بعد قرار الحجر ، وقرروا الدفاع عن سعد بصدورهم ، اذا حاول الانجليز انتزاعه ولاينصرفون الا حين هددهم سعد بأن يبيت تلك الليلة الشاتية معهم فى الحديقة ، وفى الصباح يحضر الانجليز فيصمم الصبية « على أن يخاطروا بأنفسهم فجروا خلف سعد عشرين أو ثلاثين كأنهم يهجمون صفا متساندا فى معركة منتظمة ، فلما رآهم الجند حولوا وجوههم اليهم وصوبوا البنادق نحوهم ، يهددونهم

بالموت ان هم تقدموا ، ومازال الجنود كذلك يمشون بظهورهم حتى وصلوا الى الاتومبيلات وركبوا .. »(٢٧٦) ، وبمدى انتشار الخبر كان اتساع المظاهرات لطلبة المدارس والمعاهد الدينية والأزهر مع الاهالى ، وكانت وجهة الجميع بيت الأمة ولكن رجال الجيش حالوا دون وصولهم ، وحدثت مصادمات حول الأزهر أطلقت فيها الأعيرة النارية(٢٧٧) وكانت المظاهرات الطلابية فى كل مكان ، فخرجت من الأزهر وسيدى أبو العباس ، وبورسعيد ، وشاركت الطالبات حتى طالبات المدارس الأولية فأضربن فى ٢٥ ديسمبر وفى مظاهرة طالبات مدرسة اللبان تقف احدى الطالبات وتلقى كلمة حماسية استهلتها بقولها :

لايمتطـــى المجـد مـن لـم يركـب الخطرا

ولاينـــال العـــلا مـــن قـــدم الحـــذرا

وتعم الحركة ، فتصـــدر الســـلطات العسكرية أمرا بتنبيه الجمهور . بعدم الاخلال بالنظام والشغب والتخريب ، وهو ماسيقمعه الجنود بالشدة ، وصدرت الأوامر باستعمال الرصاص عند الضرورة ويقر رأى طلبة المدارس العليا والثانوية والأزهر على الاضراب الى أجل غير مسمى فالمصلحة العامة تتطلب منهمتضحيةمستمرة(٢٧٨) .

ويحرص الطلبة على سلمية مظاهراتهم ، ففى طنطا عندما قام البوليس بتفريق المتظاهرين ، قال له الطلبة انهم مصـــممون على المظاهرة وهى سلمية لاظهار شعورهم ، ولاينوون الاعتداء على أحد وبفضل حسن التفاهم بين الفريقين تستمر المظاهرة حتى العاشرة مساء(٢٧٩) .

ويرسل اللنبى بتقرير عن الحالة الى لندن قال فيه « المدارس جميعها مضربة ، وقد أعلن موظفو الحكومة أنهم سيضربون أيضا لثلاثة أيام ، بلغ عدد القتلى من المصريين فى القاهرة أحد عشر قتيلا

وقتل الرعاع فى ٢٣ ديسمبر أوروبيا ، واعتدى على سيدة انجليزية تركب سيارة مفتوحة اذ قذفها الرعاع بالحجارة ، وهذه أول مـرة يعتدى فيها على امرأة فى السنوات الثلاث الماضية جملة المقبوض عليهم الى اليوم ١٨٦ فى القاهرة و ٣٨٩ فى الاسكندرية و وفى بور سعيد قامت مظاهرة مسلحة تعرض لها الجنود فقتلوا مصريا واحدا وجرحوا ثلاثة • وفى السويس تسلم الجيش المدينة وقامت مظاهرة قتل فيها مصرى واحد وجرح ثلاثة »(٢٨٠) •

ويواصل الطلبة معبرين عن ارادة الأمة متحـدين السـلطة الانجليزية فى عنفوان مدها ضد الحركة الوطنية ضاربين المثـل بامكانية مواجهة السلطة العسكرية ، بأسلوب آخـر وهو بيانات الاحتجاج لكشف أساليبها أمام العالم ، فتكثر برقيات الاحتجاج وتنشرها الصحف للمستويات الطلابية المختلفة بسائر نواحى القطر والطالبـات كتلميذات مدرسـة الأمير عبد المنعـم الراقية للبنات بالعباسية اللاتى احتججن بكل قوتهن « على استعمال طرق الأرهاب ومصادرة الحرية ، وابعاد معالى رئيسنا المحبوب سعد باشا زغلول وصحبه المخلصين ومصادرة أموالهم ، رجلد الطلبة وقتلهم ، ونحتج بالشدة الشديدة على الوثائق الثلاث والمذكرة الايضاحية •• »(٢٨١)

ويبرق الطلبة بياناتهم الى قناصل فرنسا وايطاليا وأمريكا ، ويشهدونهم على أعمال انجلترا القاسية ضد أمانى الأمة واعتقال سعد وصحبه ، ويؤكدون أنهم سيثابرون على أعمالهم المشروعة ، مهما حل بهم من المظالم « والمصريون ليسوا مسئولين عن أى عمل يحدث مادامت انجلترا هى البادئة ، وسنحافظ بكل مافى وسعنا على جميع رعاياكم الموجودين بيننا ، وسيكون شعارنا دائما احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا »(٢٨٢) •

ولم تكن حركة الطلاب منعزلة عن بقية طبقات المجتمع ومن الصعب أن نتصورها كذلك منذ فجر الطلبة الثورة منذ اعتقال سعد

الأول ، فهم وان كان لهم صورتهم أو صوتهم المميز فان هذه الصورة أو هذا الصوت كثيرا مايتشابك مع الطبقات الأخرى للمجتمـــع ، محركا ومشاركا لها فكانت حركة الطلبة مع الأهالي في المديريات والمدن والقرى .

وفي هذا المجال يشترك الطلبة مع أهالي الدقهلية في احتجاجهم الى البرلمان الانجليزي والحكومة الانجليزية والصحف الكبرى ، على الأساليب الانجليزية في قمع الحركة الوطنية باطلاق الرصاص على العزل من السلاح ، وحبس الأطفال وجلد الطلبة ونفي سعد ، كما يتجه الطلبة مع الأهالي طنطا في احتجاجهم ـ الى رئيس جمهورية أمريكا ومجلس السناتو والمستر فولك ورئيس وزراء فرنسا ومجلس النواب وجريدة الطان ، والايكودوباري والماتسان والدبيس ووزراء ايطاليا ومجلس نوابها والصحف الايطالية ـ على نفس الأساليب البريطانية في خنق الروح الوطنية ، في أمة متمدينة هادئة شاركت دول العالم في احراز النصر لقضية الانسان والحرية فجلدوا الطلبة وقتلوا النساء لالذنب الا المطالبة المشروعة بالحقوق المهضومة ، ثم اعتقال السلطة الانجليزية لسعد غير محترمين شيخوخته وعلو مكانته بين مواطنيه ، كما يشارك الطلبة أهالي القرى في احتجاجاتهم كما حدث في بجيرم مركز قويسنا(٢٨٣) .

ويظهر من هذه الاحتجاجات النظرة الطلابية لنفي سعد باعتباره جزءا من القضية الوطنية ، رابطين بين شخصية سعد والقضية المصرية . ويحدد الطلبة في هذا الضوء مطالبهم . أو المطالب المصرية في برقياتهم للنبي في عدة نقاط :

- الغاء الحكم العرفي
- عودة سعد وصحبه الى مصر

- سحب مشروع كيرزون ومذكرة اللنبى ·
- سحب الجنود البريطانيين ·
- الاعتراف بالاستقلال التام لمصر والسودان(٢٨٤) ·

ويعقد الطلبة ــ وهذا أسلوب آخر فى تدعيم القضية المصرية والاحتجاج على نفى سعد ــ مؤتمرات مختلفة المستوى فمنها ما كان على مستوى المدرسة بدرجاتها المختلفة ، أى على مستوى المدينة ومع الأهالى أيضا على نفس المستوى ، وهو على ما اعتقد أقصى مايمكن الوصول اليه فى الظروف القاسية التى تمر بها البلاد وقتذاك ·

ففى مؤتمر طلبة الحقوق يتفقون على عدة قرارات تضمنت السخط على نفى سعد واستمرار الاضراب ويطالبون الأمة بالجهاد · ويدعونها الى العمل وعدم اليأس ؛ « اعلموا أن روح الشعوب خالدة لاتفنى وأن فى ميدان الضحايا والمجد متسعا للجميع ··»(٢٨٥)

ويحتج طلبة الهندسة والحقوق ايضا على أية هيئة سياسية لايكون عملها ارجاع سعد باشا زعيم الأمة ؛ وعلى مشروع كيرزون والمذكرة الايضاحية والأحكام العرفية(٢٨٦) ، ويضيف طلبة المدرسة الخديوية على ماسبق ، ضرورة العمل بكافة الوسائل على مقاطعة التجارة والمحال الانجليزية وسحب الودائع والأموال من المصارف الأجنبية وايداعها فى بنك مصر ، أو الانتفاع بها فى المشروعات الوطنية ، والعمل على تنفيذ هذه المقاطعة على مستوى القطر(٢٨٧) ، ويؤكد المعنى السابق مؤتمر الطلبة الذى عقد على مستوى منيا القمح الى جانب تحبيذه لفكرة الميثاق الوطنى الذى يجب أخذه على كل مصرى(٢٨٨) ·

ويجتمع الطلبة مع غيرهم فى مؤتمرات على مستوى المدينة كما حدث بطنطا حيث يقرر المؤتمر رفع احتجاجه للسلطان ولقناصل الدول الأجنبية ، وتوجيه نداء لأهالى الغربية خاصة ومصر عامة ، يبين فيها الطرق العملية لسياسة المقاومة السلمية المشروعة ، ومطالبة نقابة الزراعيين بدراسة مسألة الاستعاضة عن القطن بأصناف أخرى والغرفة التجارية بالقاهرة ، لبحث مسألة استيراد بضائع غير انجليزية والمالية كذلك بأن ينشيء بنك مصر فروعا له بطنطا ومراكز الغربية لتسهيل التعامل معه ، مع الحداد ٦٠ يوما وارسال تحية المؤتمر الى سعد فى منفاه(٢٨٩) .

ولاينسى الطلبة سعد فى منفاه فيرسلون اليه البرقيات ، التى تؤكد العهد ودوام الصداقة وقرب العودة ، وكان سعد يرد على هذه البرقيات(٢٩٠) . وتتطور الاحداث ويرى بعض الطلبة (كالتجارة العليا والحقوق) العودة الدراسة فى ١٢ ، ١٩ يناير على التوالى مع الاستمرار فى الدعوة للمقاطعة وعدم التعاون والاحتجاج على كل وزارة تتألف فى الظروف الحاضرة ، وحذا أكثر المدارس حذو المعهدين فى العودة الى أعمالهم(٢٩١) .

ولقد استقال عدلى باشا فور عودته للقاهرة ، ولم يخلفه أحد . ولقد أدى غضب زغلول والوفد الى الاضطرابات فى جهات عدة بمصر(٢٩٢) .

ويصدر الوفد نداءه بالمقاومة السلبية فى ٢٣ يناير ١٩٢٢ (٢٩٣) وتعرض الوزارة على ثروت باشا الذى اشترط عدة شروط :

١ ــ عدم قبول مشروع كيرزون والمذكرة التفسيرية الملحقة به

٢ ــ تصريح الحكومة البريطانية بالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر بداءة ذى بدء .

٣ ـ اعادة وزارة الخارجية وتمثيل خارجى من سـفراء وقناصل ٠

٤ ـ انشاء برلمان من هيئتين تكون له السلطة العامة على أعمال الحكومة ٠

٥ ـ اطلاق يد الحكومة ، لا مشاركة فى جميع أعمالها ٠

٦ ـ الا يكون للمستشارين الا رأى استشارى وأن يبطل المستشار المالى من حق حضور جلسات مجلس الوزراء ٠

٧ ـ حذف وظائف المستشارين ماعدا مستشـار المالية والحقانية فانهما يظلان الى موعد ظهور نتيجة المفاوضات الجديدة ٠

٨ ـ استبدال الموظفين الأجانب بموظفين مصريين ، وأخذ العدة من الآن وتعيين وكلاء مصريين للوزارات المالية والصـحة والزراعة والاشغال والمواصلات والخارجية ٠

٩ ـ رفع الأحكام العسكرية ٠

١٠ ـ الدخول فى مفاوضات جديدة بعد تشكيل البرلمان ٠

١١ ـ تقبل الحكومـة الانجليزية هذه الشـروط بوثائق مكتوبة ٠(١٦٤) ٠

وهاجم الوفد هذه الشروط ، وتجمد الموقف ولم يجرؤ وزير على تولى الوزارة ليضع الشروط البريطانية موضع التنفيذ ، وأدرك اللورد اللنبى تماما أن رسائل الضغط بمفردها لاتقدم حلا للمشكلة وكان مستعدا للاستقالة لاشعار الحكومة البريطانية بضرورة الغاء الحماية . وسافر الى لندن ليشرح وجهـة نظره فى أوائل فبراير

١٩٢٢ ، وعاد قبل نهاية الشهر بمشروع اعلان استقلال مصر فى جيبه وهو ما أعلن فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ·

وهو مشروع ينهى الحماية على مصر واعتبارها دولة مستقلة ذات سيادة ، كما ينهى الأحكام العرفية التى اعلنت فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ مع أربعة تحفظات تكون موضع مناقشة فيما بعد عندما تكون الفرصة مواتية للجانبين » وهى :

١ ــ سلامة مواصلات الامبراطورية فى مصر ·

٢ ــ الدفاع عن مصر ضد كل عدوان وتدخل أجنبى مباشرا أو غير مباشر ·

٣ ــ حماية مصالح الأجانب فى مصر وحماية الأقليات ·

٤ ــ السودان(٢٩٥) ·

ويبدو أن التهديد بمقاطعة التجـــارة الانجليزية كان له الاثر الأكبر فى صدور التصريح ، فلقد انزعج اقطاب التجارة والصناعة والسياسة وخشوا على تجارتهم وصناعتهم من نجاح المقاطعة(٢٩٦) ·

وفى أول مارس اعلنت مصر كدولة مستقلة ذات سيادة وأصبح السلطان ملكا واعلنت مصر كمملكة ·· وفى خلال عدة أيام شكل ثروت الوزارة وعين فيهـا وزيرا للخارجيـــة ·· وفى نفس الوقت أرسلت التعليمات للسفراء الانجليز بالخارج لابلاغ الحكومات بأن نهاية الحماية على مصر لايعنى أى تغيير فى الوضع القائم بالنسبة لمركز الدول الأخرى بها(٢٩٧) ، وتبدأ بذلك صفحة جديدة فى تاريخ مصر ·

تصريح ٢٨ فبراير :

ولاتتناول هذه الدراسة تفصيلا التصريح وظروفه ، انما تعرج بعجالة الى موقف القوى السياسية فى مصر ، وصولا الى موقف الطلبة ٠

فالى جانب ماتضمنه المشروع من نقاط ضعف ، فان التمهيد الذى سبقه من القبض على سعد زغلول ، كان كفيلا بدحر المشروع بل وأى مشروع يقدم لمصر ، مهما كان قريبا من الأمانى الوطنية ، ولو كان سعد حرا طليقا ، لكان من الممكن أن ينال تأييد بعض فئات الرأى العام التى تميل الى التدرج والاعتدال ، ولكن القبض على سعد أضفى على المعتدلين القابلين للمشروع صفة التآمر فى الظلام وطعن قضية الاستقلال ، يضاف الى ذلك أن تعظيم أنصار المشروع له ، واعلان استقلال مصر فى وسط احتفالات كبيرة ، واعتبار يوم اعلانه عيدا قوميا ، جعل الجانب الآخر يهون من أمره ، ويبين البون الشاسع بينه وبين متطلبات الاستقلال الحقيقى(٢٩٨) ٠

وكانت وجهة النظر البريطانية تعتبر هذا التصـــريح خطوة تمهيدية فى سياسة بنائية ، وكان متوقعا أن تبدأ المفاوضات خاصة بهذه التحفظات الاربعة قدر المستطاع ، ولكن فى القاهرة فالموقف متغير فان القوى السياسية رفضت الاعتراف بشرعية التصــريح ، ورفض الوفد الذى كان له حق التحدث باسم الشعب قبول تحديد السيادة المصرية بالتحفظات الأربعة(٢٩٩) ٠

ورأى الحزب الوطنى ان الأمر لم يتغير ، ولم يحدث تغيير فى السياسة البريطانية ، وعلى اية حال يشكل ثروت باشا الوزارة فى أول مارس ، وفى ١٥ مارس أعلن استقلال مصر وأصبح السلطان فؤاد ملكا(٣٠٠) ٠

وموقف الطلبة من هذا التصريح لايخرج عن دائرة الاحتجاج عليه ، واعتباره حماية مقنعة ، واستغل الطلبة كل الفرص المواتية لاعلان رفضهم التصريح والاحتجاج عليه .

فيحاول الطلبة افساد بهجة الاحتفال باستقلال مصر ، فتشير البلاغات الرسمية الى اضراب بعض المدارس بالقاهرة(٣٠١) ، كما أضرب طلبة الأزهر فى ١٣ مارس وحاولوا اخراج من بقى من الطلبة بجامع محمد بك أبو الدهب المجاور للأزهر(٣٠٢) ، كما يتعرض الطلبة للاحتفال باستقلال مصر ، فبعد انتهاء حفلة الاستعراض تجمهر بعض الغوغاء والطلبة ، كما يقول البلاغ الرسمى بجوار ميدان عابدين ، وهاجموا البوليس فكان يحاول بعضهم الوصول الى الميدان ورموه بالحجارة ، واستمروا على هذا النحو حتى أصابوا بعض رجاله ، فاضطر الى اطلاق النار وتسبب ذلك فى اصابة ثلاثة من الغوغاء(٣٠٣) .

واذا كان طلبة الأقاليم بعيدين عن مكان الاحتفال الرسمى بالقاهرة ، فانهم يعلنون احتجاجهم بالتظاهر ، ومحاولة اهانة الاعيان الذين ذهبوا لحضور التشريفات بالقاهرة ، كما حدث بدسوق طبقا لما تشير اليه البلاغات الرسمية ، حيث ينسحب الطلبة مع الأهالى ويتوجهون الى محطة دسوق لانتظار هؤلاء الاعيان هاتفين بسقوطهم. وقاموا بالاعتداء على القطارات القادمة من دمنهور وطنطا واضطر البوليس الى اطلاق النار فى الهواء . ونزل المتجمهرون الى المدينة. منادين بسقوط الاحتلال وغير ذلك وتم تشتيتهم بالقوة . وفى نفس الوقت كانت تطوف بشوارع المدينة تلميذات مدرسة البنات مع طالبة المكتب الراقى والجمعية الخيرية(٣٠٤) .

وفى الاحتفال بعيد الجهاد سنة ١٩٢٢ ، يؤكد الطلبة عـــدم اعترافهم بتصريح ٢٨ فبراير ، فيرى الطلبة والأهالى ببنى سويف ، أن وزارة ثروت لاتمثل البلاد لأنها مرتبطة بالحكومة البريطانية ، بسياسة منطوية على تصريح ٢٨ فبراير المعــروف ، فلذلك فهــى لاتصلح للتفاوض باسم الأمة(٣٠٥) .

ويؤكد المعنى السابق عندما تستقيل الوزارة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ ، وتصدر اللجنة العامة الطلبة الأزهريين بيانا تؤكد فيه أن الأمة قد شبعت « من مواعيد فاقت المواعيد العرقوبية ، فهى لاتقنع بغير العمل الذى يشرف البلاد من المبادرة الى الافراج عن جميع المنفيين والمعتقلين والمسجونين السياسيين ، والاســراع الى انكار تصريح ٢٨ فبراير » .(٣٠٦) ، ويرفض طلبة الحقوق أية وزارة تعمل فى ظل تصريح ٢٨ فبراير ، ويطالبون بمطالب عديدة منها اعتبار السودان جزءا غير منفصل عن مصر ، وهو أمر أنكره التصريح(٣٠٧)

وعندما تأتى الأنباء المقلقة على صحة سعد بالمنفى ، يقدم وفد طلبة الرشاد الثانوية عريضة الى الملك بعابدين ، ضمنوها مطالبهم وأشاروا فيها أن الأمة قد وضعت ميثاقا وطنيا لاتحيد عنه قيد شعرة وأن الموت أهون عليها من تنازلها عنه ، وهو يتضمن أمورا أنكرها التصريح ، منها الاستقلال التام لوادى النيل غير مشوب بحماية أو وصاية أو قيد يقيد هذا الاستقلال(٣٠٨) .

ويعتبر الطلبة تصريح ٢٨ فبراير هو حماية مقنعة ، وأقل من مطالب الأمة ففى ذكرى الحماية يتظاهر الطلبة وتتوالى احتجاجاتهم ويبرق طلبة الأزهر الى بيت الأمة ورئيس الوزراء والى ملك مصر والسودان – وهو تعبير خارج عن حدود التصريح – محتجين على هذه الذكرى ، وأنهم كلما مروا بذكرى ١٨ ديسمبر عاودتهم هزة

الحزن والكآبة حدادا على هذا اليوم المشئوم ، « الذى انتهكت فيه حرمة مصر واعتدى على حقوق شعب بأسره ، كما شق مرائرنا وليدها تصريح ٢٨ فبراير القائم على أساس موهوم ٠٠ »(٣٠٩) ٠
ويضرب الطلبة بما فيهم الأزهريون احتجاجا على الحماية المقنعة بتصريح ٢٨ فبراير الذى لايمثل الأمانى المصرية ، وأنهم لايرضون بغير الاستقلال التام(٣١٠) ٠

هوامش الفصل الثانى

(١) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٢) النظام ١٦ سبتمبر ١٩١٩ .

(٣) نفس المصدر ٢٨ سبتمبر ١٩١٩ .

(٤) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٥) Qaraishi Z., op. cit., PP. 53, 54.

(٦) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ١ ط ٣ ص ١٤٢ .

(٧) Chirol V., op. cit., P. 197.

(٨) حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر ص ١٦٠ .

(٩) نفس المرجع ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(١٠) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ١ دوسيه ٣ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(١١) أحمد شفيق : الحوليات تمهيد جـ ١ ص ٢٣٧ .

(١٢) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٣٢ .

(١٣) سيد قنديل : ثورة ١٩١٩ ص ٧٣ .

(١٤) مصر أول أبريل ١٩١٩ .

(١٥) الوطن ١٩١٩/٤/١ ، الأهالى ١٩١٩/٤/٤ .

(١٦) الأهالى ٦ أبريل ١٩١٩ .

(١٧) الوطن ٩ أبريل ١٩١٩ ، وادى النيل ٧ أبريل ١٩١٩ .

(١٨) الوطن ١٧ أبريل ١٩١٩ .

(*) فرنوى مركز شبراخيت .

(١٩) الأهالى ٢٩ أبريل ١٩١٩ .

(٢٠) نفس المصدر ١٩ مايو ١٩١٩ .

(٢١) وادى النيل ١٤ .أبريل ١٩١٩ .

(٢٢) مصر ١٩ ابريل ١٩١٩ .

(٢٣) نفس المصدر ٢٥ أبريل ١٩١٩ .

(٢٤) Iloyd : op. cit., Vol. 1, P. 303.

(٢٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٣١٢ ، ٣١٤ .

(٢٦) Zayid M., Egypt's struggle for indepence, Beorut 1965, P. 87.

(٢٧) Iloyd : op cit., Vol. I, pp. 303, 304.

(٢٨) وادى النيل ١١ أبريل ١٩١٩ .

(٢٩) Iloyd : op : cit., PP. 309 , 310

(٣٠) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٣١٥ .

(٣١) نفس المرجع ص ٣١٥ ، ٣١٦ ، الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ٢ ط ٣ ص ٥ .

(٣٢) Chirol V., op. cit., PP. 196 — 197.

(٣٣) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٥ ، أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٣١٧ .

(٣٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٥ .

(٣٥) مصر ٩ أبريل ١٩١٩ .

(٣٦) وادى النيل ١٠ أبريل ١٩١٩ .

(٣٧) احمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٣١٩ .

(٣٨) Russell : op. cit., PP 203, 204

(٣٩) وادى النيل ١٢ ، ١٣ أبريل ١٩١٩ .

(٤٠) نفس المصدر ٢٢ أبريل ١٩١٩ .

(٤١) الأهرام : المرجع السابق ص ٣١٥ .

(٤٢) الاهـالى ١٥ أبريل ١٩١٩ .

(٤٣) وادى النيل ١٣ أبريل ١٩١٩ .

(٤٤) الوطن ١٦ أبريل ١٩١٩ .

(٤٥) مصر ١٩١٩/٤/٢٤ ، الاهـالى ١٩١٩/٤/١٢ .

(٤٦) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٣٢٧ .

(٤٧) مصر ١٩١٩/٤/١٤ .

(٤٨) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤٩) نفس المرجع ص ٤٦ ـ ٥٧ .

(٥٠) نفس المرجع ص ١٢ ــ ١٦ ٠

(٥١) الأهرام : المرجع السابق ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ٠

(٥٢) نفس المرجع ص ٣٤٠ ٠

(٥٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ، تمهيد ج ١ ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠ ٠

(٥٤) عبد الرحمن فهمي : المذكرات المحفظة ١ ملف ٤ ص ٣٦٤ ٠

(٥٥) الأهــالى ١٨ مايو ١٩١٩ ، الوطن ١٧ مايو ١٩١٩ ٠

(٥٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، الرافعى : المرجع السابق ص ١٩ ٠

(٥٧) الأهــالى ١٠ مايو ١٩١٩ ، الوطن ، مصر ٩ مايو ١٩١٩ ٠

(٥٨) الأهــرام : المرجــع السابق ص ٣٤٦ ، ٣٥٢ (تقرير اللنبى فى ٥ مايو ١٩١٩) ٠

(٥٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦ ٠

(٦٠) الأهرام : المرجع السابق ص ٣٥٧ ٠

(٦١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٣٣ ٠

(٦٢) الأهــالى ٩ يوليو ١٩١٩ ٠

(٦٣) نفس المصــدر يوليو ١٩١٩ ٠

(٦٤) النظــام ٨ ، ١٠ أكتوبر ١٩١٩ ٠

(٦٥) مصر ١٠ ، ١٣ ، ١٤ أكتوبر ١٩١٩ ٠

(٦٦) الأهرام ٣٠ أكتوبر ١٩١٩ ٠

(٦٧) نفس المصدر نوفمبر ١٩١٩ ٠

(٦٨) مصر : ٢٤ ، ٢٥ أكتوبر ١٩١٩ ٠

(٦٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٣٣ ٠

(٧٠) النظـام ٢ ، ٤ سبتمبر ١٩١٩ .

(٧١) النظام ، الأهرام ٧ نوفمبر ١٩١٩ .

(٧٢) أحمـد شـفيق : المرجـع السابق تمهيد جـ ١ ، ص ٥٥٣ ، النظام ٩ نوفمبر ١٩١٩ .

(٧٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٥٥٤ .

(٧٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٥٨ — ٦٠ .

(٧٥) Itoyd : op cit., Vol II London 1934, PP. 111, 112, Chirol V., op. cit ., P 260.

(٧٦) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٧٧) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٩٩ .

(٧٨) محمود سليمان غنام : المرجع السابق ص ٣٩٨ .

(٧٩) محمد أنيس : دراســات فى وثـائق ثورة ١٩١٩ الجـزء الأول ص ٤١ .

(٨٠) عبد الرحمن فهمى : المذكرات محفظـة ٢ ملف ٨ ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

(٨١) محمد أنيس : المرجع السابق ص ٤٢ .

(٨٢) مصر ٢ أكتوبر ١٩١٩ ، النظام ٥ أكتوبر ١٩١٩ (برقيـات الطب والصيدلة والفنون والحقوق ... الخ) .

(٨٣) وادى النيل ٧ أكتوبر ١٩١٩ .

(٨٤) نفس المصدر ٢٢ أكتوبر ١٩١٩ .

(٨٥) النظام ١٥ أكتوبر ١٩١٩ .

(٨٦) مصر ٩ أكتوبر ١٩١٩ .

(٨٧) وادى النيل ٣ أكتوبر ١٩١٩ .

(٨٨) النظام ٥ أكتوبر ، مصر ٦ أكتوبر ١٩١٩ .

(٨٩) وادى النيل ١١ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٠) النظام ٥ أكتوبر ، مصر ٦ أكتوبر ، وادى النيل ٧ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩١) مصر ٩ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٢) وادى النيل ٥ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٣) نفس المصدر ١٨ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٤) النظام ٢٢ أكتوبر ، الأهرام ٢٣ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٥) النظام ١٧ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٦) الأهرام ٢٣ ، ٢٦ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٧) النظام ٢٧ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٨) النظام ٢٧ ، ٢٩ أكتوبر ١٩١٩ ، الأهرام ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ أكتوبر ١٩١٩ .

(٩٩) النظام ٢٩ ، ٣١ أكتوبر ١٩١٩ .

(١٠٠) النظام ، الأهرام ٢٩ أكتوبر ١٩١٩ .

(١٠١) النظام ٢٦ أكتوبر ١٩١٩ ، عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٢ ملف ٨ ص ٥٦٢ .

(١٠٢) الوطن ٢٨ أكتوبر ١٩١٩ .

(١٠٣) وادى النيل ٢٩ أكتوبر ١٩١٩ .

(١٠٤) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٥٥١ .

(١٠٥) وادى النيل ٢٩ ، ٣١ أكتوبر ١٩١٩ .

(١٠٦) مصر ٣٠ أكتوبر ١٩١٩ .

(١٠٧) الأهالى ٦ نوفمبر ١٩١٩ .

(١٠٨) الأفكار ١٢ نوفمبر ١٩١٩ .

(١٠٩) Vatikiotis P J., op. cit., P. 261.

(١١٠) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(١١١) الأفكار ١٧ ، ١٩ نوفمبر ، النظام ١٧ ، ١٨ نوفمبر ١٩١٩ .

(١١٢) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(١١٣) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ص ٦٩ .

(١١٤) عبد الرحمن فهمي : المذكرات محفظة ٢ ملف ٨ ص ٦٠١ .

(١١٥) الأهرام ٢٦ نوفمبر ١٩١٩ .

(١١٦) أحمد فريد على : العلاقات المصرية البريطانية وأثرها على الحركة الوطنية ٥٢/١٤ رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ص ١٠٦ .

(١١٧) الأفكار ١٧ نوفمبر ١٩١٩ ، أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٥٦١ — ٥٦٢ .

(١١٨) الوطن ١٨ نوفمبر ١٩١٩ .

(١١٩) وادى النيل ١٨ نوفمبر ١٩١٩ .

(١٢٠) نفس المصدر والتاريخ .

(١٢١) نفس المصدر والتاريخ .

(١٢٢) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٥٦٦ .

(١٢٣) النظام ٢٣ نوفمبر ١٩١٩ .

(١٢٤) نفس المصدر ١٨ نوفمبر ١٩١٩ .

(١٢٥) وادى النيل ، النظام ٢١ نوفمبر ١٩١٩ ، الوطن ٢٠ نوفمبر ١٩١٩ .

(١٢٦) وادى النيل ، الوطن ٢٥ نوفمبر ١٩١٩ .

(١٢٧) نفس المصدر والتاريخ .

(١٢٨) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٧٢ .

(١٢٩) مصر أول ديسمبر ١٩١٩ .

(١٣٠) Iloyd : op. cit., Vol, II, P. 12.

(١٣١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٧٢ .

(١٣٢) Marshall J.. op. cit., P. 210.

(١٣٣) جمهورية مصر : القضية المصرية ص ٣٤ (تقرير ملنر) .

(١٣٤) الأهرام : المرجع السابق ص ٤٣٤ .

(١٣٥) محمد كامل سليم : ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ص ١٤٥ .

(١٣٦) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٢ دوسيه ٩ ص ٧٣٢ ، ٧٣٣ .

(١٣٧) عبد العزيز رفاعى : ثورة ١٩١٩ ص ١٩٦ ،
Iloyd : op. cit., Vol. II, P. 13.

(١٣٨) Quraishi Z., op. cit., P. 59.

(١٣٩) شحاته عيسى ابراهيم : الكتاب الأسود ص ١٣٥ .
Quraishi Z. op. cit.. P. 60.

(١٤٠) الأهرام : المرجع السابق ص ٤٥١ .

(١٤١) عاصم الدسوقى : كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى القاهرة ٧٥ ص ٢٧٣ .

(١٤٢) عبد الرحمن فهمى : المحفظة ٢ دوسيه ٩ ص ٦٧٩ .

أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٥٨٠ — ٥٨١ .

(١٤٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٥٨١ ، ٥٨٣ .

(١٤٤) نفس المرجع ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، عبد الرحمن فهمى : المذكرات محفظة ٢ ملف ٩ ص ٦٨٢ .

(١٤٥) الأفكار ١٩ ديسمبر ١٩١٩ ؛ الرافعى : المرجع السابق ص ٧٦ ، ٧٧ ، احمد شفيق : المرجع السابق ص ٥٨٧ ، المقطم ١٧ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٤٦) الأفكار ١٧ ديسمبر ، وادى النيل ١١ ديسمبر ، الوطن ١٢ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٤٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٥٨٨ ، الافكار ١٩ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٤٨) سيد قنديل : المرجع السابق ص ٨٣ .

(١٤٩) Marshall J.. op. cit., P. 213.

(١٥٠) الأفكار ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٩ ديسمبر ؛ وادى النيل ١١ ديسمبر، الوطن ١٧ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٥١) وادى النيل ١٤ ، ١٨ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٥٢) الأفكار ١٧ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٥٣) الأفكار ٣٠ ديسمبر ، وادى النيل ٢٨ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٥٤) الأفكار ٢٣ يناير ١٩٢٠ .

(١٥٥) الوطن ٢٤ ديسمبر ، الأفكار ٢٤ ديسمبر ، النظام ٢٦ ديسمبر ١٩١٩ ، المقطم ٢٥ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٥٦) جمهورية مصر : المصدر السابق ، تقريرملنر (٣٧ ، ٣٨) .
Marshall J.. op. cit., PP. 215, 216.

(١٥٧) جمهورية مصر : المصدر السابق ص ٣٥ ،
Marshall, J. op. cit., P. 211

(١٥٨) الأفكار ١٦ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٥٩) وادى النيل ١٣ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٦٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٨٢ ، ٨٣ .

(١٦١) النظام ٦ يناير ، الأهالي ١١ يناير ، الأفكار ٧ يناير ١٩٢٠ .

(١٦٢) الأهالي ١٨ يناير ١٩٢٠ .

(١٦٣) Marshall J. op. cit., P. 214.

(١٦٤) Borque Jacques : Egypt imperialism and revolution, London, P 316.

(١٦٥) محمد أنيس : المرجع السابق ص ١٨٢ .

(١٦٦) نفس المرجع ص ١٨٢ ، عبد الرحمن فهمي : محفظة ٢ ملف ٩ ص ٨٢٥ ، ٢٨٦ .

(١٦٧) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(١٦٨) الأفكار ١٤ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٦٩) وادي النيل ٣٠ ديسمبر ١٩١٩ .

(١٧٠) النظام ٤ يناير ١٩٢٠ .

(١٧١) مصطفى امين : الكتاب الممنوع جـ ١ ، القاهرة ١٩٧٤ ص ١١٥ .

(١٧٢) النظام ١١ ديسمبر ، أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

(١٧٣) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ص ٧٦ .

(١٧٤) Marshall J., op. cit., PP. 211, 212.

(١٧٥) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ص ٨٨ ، ٨٩ .

(١٧٦) نفس المرجع ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٦ .

(١٧٧) Zayid M., op. cit., PP 98, 99.

(١٧٨) الأهالي ٢٠ أكتوبر ١٩٢٠ .

(١٧٩) مصر ٢٢ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٨٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ص ٧٤٦ ــ ٧٤٨ .

(١٨١) عاصم الدسوقى : المرجع السابق ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

(١٨٢) مصر ١٩ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٨٣) وادى النيل ١٩ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٨٤) وادى النيل ١٩ ، ٢١ سبتمبر ١٩٢٠ ، النظام ٢١ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٨٥) سعد زغلول : المذكرات الكراسة ٣٧ ص ٢١٨٤ .

(١٨٦) مصر ٢١ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٨٧) وادى النيل ١٢ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٨٨) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٢١ .

(١٨٩) Great Britain and Egypt, 1914 — 1951, Royal institute of international affairs London 1953. P. 6.

(١٩٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٢١ .

(١٩١) وادى النيل ١١ ، ١٢ ، ١٤ نوفمبر ١٩٢٠ .

(١٩٢) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٢ ملف ٦ ص ٨٨٦ .

(١٩٣) وادى النيل ١٠ ، ١٣ ، ١٤ مارس ١٩٢٠ .

(١٩٤) نفس المصدر ٢٤ فبراير ١٩٢٠ .

(١٩٥) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة جـ ١ الطبعة ٣ ص ٩ .

(١٩٦) الأهرام ٢ ، ٤ أبريل ١٩٢٠ .

(١٩٧) أحمد شفيق : الحوليات تمهيد الجزء الثانى ص ٣٧ .

(١٩٨) نفس المرجع ص ٤٠ .

(١٩٩) الأهـرام ٩ أبريل ١٩٢١ .

(٢٠٠) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد الجزء الثانى ص ٤٨ .

(٢٠١) وادى النيل ٦ أبريل ١٩٢١ .

(٢٠٢) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٢٠٣) فخر الدين الظواهرى : السياسة والأزهر ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢٠٤) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٥ الملف ٢٩ ص ٢٩٩٨ .

(٢٠٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٩ .

(٢٠٦) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٣٢١ .

(٢٠٧) ElGood P.G, Egypt, London 1935 frist published. PP. 115, 116.

(٢٠٨) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٢٠٩) Quraishi Z., op. cit., P. 67.

(٢١٠) الأهرام ١٩ أبريل ١٩٢١ ، خطب وأحاديث وبيانات سعد ص ٣٢ .

(٢١١) النظام ٢١ أبريل ١٩٢١ ، خطب وأحاديث وبيانات سعد ص ٣٣ .

(٢١٢) خطب وأحاديث وبيانات سعد ص ٥٨ .

(٢١٣) النظام ٢٥ أبريل ١٩٢١ .

(٢١٤) وادى النيل ٢٧ أبريل ١٩٢١ ، النظام ٢٦ أبريل ١٩٢١ .

(٢١٥) النظام ٢٤ أبريل ١٩٢١ .

(٢١٦) الأهـالى ٢٤ أبريل ١٩٢١ .

(٢١٧) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٣ الملف ١٤ ص ١٤٠٠

(٢١٨) الأهرام ٩ مايو ، الأهـالى ١٠ مايو ١٩٢١ ، عبد الرحمن فهمى

المذكرات المحفظة ٣ ملف ١٣ ص ١٣٣٥ – ١٣٣٦ ، أحمد شفيق ، المرجع السابق ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢١٩) عبد ارحمر فهمى : المذكرات المحفظة ٣ ملف ١٣ ص ١٣٤٠ ، ١٣٤٣ ، ١٣٦٢ .

(٢٢٠) أحمد بيلى : عدلى باشا أو صفحة من تاريخ الزعامة فى مصر القاهرة ١٩٢٢ ص ١٨٦ .

(٢٢١) الأهالى ١٧ مايو ، الأفكار ١٨ ، ٢١ مايو ، الأهرام ٢٠ مايو ١٩٢١ .

(٢٢٢) Lloyd : op. cit., Vol. II, P. 43.

(٢٢٣) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٣ ملف ١٤ ص ١٤١٣ ، الأهرام ٢١ مايو ١٩٢١ .

(٢٢٤) نفس المصدر : المذكرات محفظة ٣ ملف ١٤ ص ١٣٨٦ – ١٣٨٩ ، الأهرام ٢٣ مايو ، النظام ٢٥ مايو ١٩٢١ .

(٢٢٥) عبد الرحمن فهمى : المذكرات محفظة ٣ ملف ١٤ ص ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ .

(٢٢٦) Lloyd : op. cit., Vol. II, P. 43.

(٢٢٧) احمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢١٨ ، ٢٢١ .

(٢٢٨) نفس المرجع ص ٢٨٤ ، عبد العزيز رفاعى : ثوره ١٩١٩ ص ٢٥٥ .

(٢٢٩) الأهرام ٢١ مايو ١٩٢١ .

(٢٣٠) الأهرام ٢٤ مايو ، النظام ٢٥ مايو ، الأفكار ٢٦ مايو ١٩٢١ .

(٢٣١) وادى النيل ٢٢ مايو ١٩٢١ .

(٢٣٢) الأهرام ٢٦ مايو ١٩٢١ .

(٢٣٣) Filgood P.G., The transit of Egypt, London 1928. P. 278.

(٢٣٤) الأهــالى ١٨ مايو ١٩٢١ .

(٢٣٥) النظــام ٢٠ مايو ١٩٢١ .

(٢٣٦) نفس المصدر ٢٢ مايو ١٩٢١ .

(٢٣٧) وادى النيل ٨ مايو ١٩٢١ .

(٢٣٨) النظــام ٢٣ يونيو ١٩٢١ .

(٢٣٩) عباس العقاد : سعد زغلول ص ٣٦٦ .

(٢٤٠) النظــام ١٩ يونيو ١٩٢١ .

(٢٤١) نفس المصدر ١٩ يونيو ١٩٢١ .

(٢٤٢) الأفــكار ٢٣ أغسطس ، ٤ سبتمبر ١٩٢١ .

(٢٤٣) Lloyd : op. cit., Vol., II, P. 48.

(٢٤٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٢٠

(٢٤٥) Lloyd : op. cit., Vol., II, P. 49.

(٢٤٦) الأفــكار ٢١ سبتمبر ١٩٢١ .

(٢٤٧) نفس المصدر ٢١ سبتمبر ١٩٢١ .

(٢٤٨) وادى النيل ٢٣ اغسطس ، الأهــالى ٢٠ سبتمبر ١٩٢١ .

(٢٤٩) وادي النيل ٢١ اغسطس ١٩٢١ .

(٢٥٠) الأهــالى ٢٥ سبتمبر ١٩٢١ .

(٢٥١) نفس المصدر ٧ ، ١٨ أكتوبر ١٩٢١ .

(٢٥٢) نفس المصدر والتاريخ .

(٢٥٣) الأفــكار ١١ أغسطس ١٩٢١ .

(٢٥٤) نفس المصدر والتاريخ .

(٢٥٥) نفس المصدر ٢٩ سبتمبر ١٩٢١ .

(٢٥٦) وادى النيل ٧ سبتمبر ١٩٢١ .

(٢٥٧) الأهالى ٦ نوفمبر ١٩٢١ .

(٢٥٨) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ص ١٨ .

(٢٥٩) Great Britain and Egypt. op. cit., P. 7.

(٢٦٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٨ .

(٢٦١) Great Britain and Egypt. op. cit, P. 7.

(٢٦٢) مصر ، وادى النيل ، الاهرام من ديسمبر ١٩٢١ حتى أواخر يناير ١٩٢٢ .

(٢٦٣) مصر ١٥ ، ١٦ ، ٢٧ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٦٤) نفس المصدر ٧ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٦٥) وادى النيل ١٠ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٦٦) نفس المصدر ١١ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٦٧) نفس المصدر ٨ ، ١١ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٦٨) نفس المصدر ١١ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٦٩) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٣٤٤ .

(٢٧٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٢٥ — ٢٧ .

و عبد العزيز رفاعى : ثورة ١٩١٩ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٢٧١) امين سعيد : تاريخ مصر السياسى ص ١٩٦ .

(٢٧٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧ .

(٢٧٣) Lloyd : op. cit., Vol. II, P. 56.

(٢٧٤) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ٢ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٢٧٥) وادى النيل ٢٠ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٧٦) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ص ١٩٥ .

(٢٧٧) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٣ ملف ١٧ ص ١٧٧٩ .

(٢٧٨) وادى النيل من ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ الى منتصف يناير ١٩٢٢ ، الأهرام ١٩ ، ٢٥ يناير ١٩٢٢ .

(٢٧٩) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٣ ملف ١٧ ص ١٧٧٤ ، ١٧٧٥ .

(٢٨٠) الأهرام المرجع السابق ص ٥١٠ .

(١٨١) الاهـرام ٧ يـنـاير ١٩٢٢ ، وادى النيـل ٢٥ ديسـمبر ١٩٢١ - ٣ يـنـاير ١٩٢٢ .

(٢٨٢) وادى النيل ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٨٣) نفس المصدر ١ يناير ١٩٢٢ ، الأهرام ٧ يناير ١٩٢٢ .

(٢٨٤) الأهرام ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .

(٢٨٥) وادى النيل ٢٦ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢٨٦) الأهرام ٧ ، ١٠ يناير ١٩٢٢ .

(٢٨٧) مصر ١٣ يناير ١٩٢٢ .

(٢٨٨) وادى النيل ٤ يناير ١٩٢٢ .

(٢٨٩) نفس المصدر والتاريخ .

(٢٩٠) النظام ٢٠ فبراير ١٩٢٢ .

(٢٩١) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ٢ ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

(٢٩٢) Great Britain and Egypt, op. cit., P. 7.

(٢٩٣) أحمد فريد على : العلاقات المصرية البريطانية وأثرها على الحركة الوطنيـة ص ١٩١ .

(٢٩٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢٩٥) Great Britain and Egypt, op. cit., P. 8.

(٢٩٦) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٣٦ .

(٢٩٧) Great Britain and Egypt. op. cit., PP. 8,9.

(٢٩٨) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٢٩٩) Great Britain and Egypt. op. cit., P. 9.

(٣٠٠) Zayid. M., op. cit., P. 110.

(٣٠١) النظـام ١٥ مارس ١٩٢٢ .

(٣٠٢) الأهرام ٢٤ مارس ١٩٢٢ .

(٣٠٣) نفس المصدر ٢٠ مارس ١٩٢٢ .

(٣٠٤) نفس المصدر ٢٤ مارس ١٩٢٢ .

(٣٠٥) النظـام ٢٠ نوفمبر ١٩٢٢ .

(٣٠٦) الأفـكار ٢ ديسمبر ١٩٢٢ .

(٣٠٧) الأفـكار ٥ ديسمبر ١٩٢٢ ، النظام ، وادى النيل ٦ ديسمبر ١٩٢٢ .

(٣٠٨) الأفـكار ١٤ ديسمبر ١٩٢٢ .

(٣٠٩) النظام ٢٠ ديسمبر ١٩٢٢ .

(٣١٠) نفس المصدر والتاريخ .

الفصــل الثــالث

الجانب السرى للعمل الطلابى ١٩١٩ ـ ١٩٢٢

- الجهاز السرى
- محاولة اغتيال محمد سعيد
- محاولة اغتيال يوسف وهبة
- الاعتداء على وزراء الاشغال
- جمعيات العمل السرى
- محاولة اغتيال محمد بدر الدين
- الاعتداء على ثروت باشا

الجهاز السرى :

تؤكد كافة الشواهد أن لجنة الوفد المركزية أنقسم نشاطها الى علنى وسرى ، فالأول بقيادة محمود سليمان باشـــا رئيس اللجنـة وابراهيم سعيد وكيلها ، وأســـلوبهم فى ذلك الوسائل السلميـة المشروعة ، وأوجه نشاطهم يتمثل فى جمع التبرعات على ذمــة الوفد ، وارسالها اليه وابلاغه أخبار البلاد وتلقى أخباره ونشرها بين الأمة ، أما النشاط السرى فيتولاه عبد الرحمن فهمى السكرتير العام للجنة من خلال جهاز على جانب كبير من الدقة والنظـــام ، ويتألف فى معظمه من الطلبة ٠

ولقد تشكلت لجنة الوفد المركزية ، بعد اطلاق سراح سعد زغلول وسفره الى باريس لقيادة العمل بالداخل ، وكانت الظروف تقتضى ابلاغ سعد بتفاصيل الموقف فى مصر وفى نفس الوقت تتلقى تعليماته ، وهى أمور اقتضت السرية فى أكثر الاحيان نظرا للرقابة التى تفرضها السلطة العسكرية ، ويروى عبد الرحمن فهمى السبب المباشر فى المراسلات السرية ، وهو وصول برقية للجنة المركزية من سعد جاء فيها «منذ وصولنا وجدنا جميع الأبواب موصدة فى

وجوهنا،كل الجهود والمساعى لم تؤد الى نتيجة٠فى النص التمهيدى لمحادثات الصلح اعترف الألمان بالحماية ٠ يصلكم خطاب »(١) ٠

وعندما انتاب الفزع أعضاء اللجنة المركزية لهذه البرقية ، حاول عبد الرحمن فهمى اقناعهم بأنها برقية مدسوسة ، وأرسل لسعد يقول « جاء تلغراف لسعادة محمود باشا سليمان ، فلم يخامرنى أى شك فى أن هذا التلغراف مفتعل وغير صادر منكم ، لأنه يصعب على جدا أن أعتقد ، أن سعد باشا زغلول ذاك الرجل العظيم يفتكر أن أمته من البلاهة لدرجة تظن أن الاستقلال عبارة عن طرد أو شىء يمكنه مشتراه فى بضعة أسابيع والعودة الى مصر ، فاذا كانت الأبواب الرسمية قد اقفلت فى وجه الوفد ، فهناك الأبواب الغير رسمية كالمجالس والهيئات النيابية والجرائد والرأى العام صاحب السلطان الأكبر على الحكومات ، كل هذه الأبواب مفتحة الطريق أمام الوفد »(٢) وتفاديا لأى أثر لمثـــل هذه الرســـائل كان اتخاذ المراسلات السرية بين سعد واللجنة المركزية للوفد(٣) ٠

وعبد الرحمن فهمى هو أحد الصناع الحقيقيين لثورة ١٩١٩ ، عمل ضابطا بالجيش ، ثم ياورا لوزير الحربية مصطفى فهمى باشا ، ثم عمل بالبوليس والمديريات وأحيل المعاش سنة ١٩٢٣ على أثر صدامات متكررة بينه وبين المفتشين الانجليز ، وأصبح سكرتيرا عاما للجنة الوفد المركزية ١٩١٩ ، وقاد عبد الرحمن من هذا الموقع عملا تنظيميا متداخل الأطراف ، يدل على مهارة كبيرة فى العمل الســرى والعلنى والقدرة على تحريك الجماهير ، ففى وقت واحد ينظـــم شبكة لجمع التبرعات وشبكة سرية لجمع المعلومات ، وجهازا سريا لمراقبة الخونة ، وشبكة تحاصر لجنة ملنر فى كل مكان ، وتستكتب كل من يتصلون بها استنكارا لمهمة اللجنة ، بالاضافة الى لكل هذا ، فهو يتصل ببعض الجمعيات السرية ويمولها ويحركها دون مايشعر

به أحد ، ولقد أدرك الانجليز خطورته فاعتقلوه المرة تلو المرة الى أن أفرج عنه ١٩٢٤(٤) ٠

ولقد أعجب مراسل رويتر بالقاهرة بكفاية هذا العمل فى برقية له للصحف الأجنبية « ان تشكيل الوفد ـ وهيئته التنفيذية ـ الطلبة ـ بحالة من الضبط بحيث ان كل الأوامر والتعليمات يمكن توزيعها وتنفيذها فى جميع أنحاء مصر فى ٢٤ ساعة » واعتز عبد الرحمن فهمى بهذه الشهادة وأرسلها فى رسالة لسعد(٥) ٠ ولقد استفاد عبد الرحمن فهمى فى عمله الجديد ، من خبرته السابقة وتاريخه العسكرى وكثرة تنقلاته بين المديريات ، فعرف كثيرا من أحوال مصر وكسب صلات قوية واسعة بالشخصيات والأسر المصرية(٦) ٠

واذا كانت لجنة الوفد المركزية أو بمعنى أصح عبد الرحمن فهمى قد قاد بوسيلة مباشرة أو غير مباشرة العمل السرى لثورة ١٩١٩ ، فانه مما يجدر الاشارة اليه أن العمل السرى كان سابقا لتكوين لجنة الوفد المركزية ، بل وقبل ثورة ١٩١٩ كما سبق ٠ ففى ثورة ١٩١٩ وسعد فى المنفى تمثل العمل السرى بصفة أساسية فى قطع السكك الحديدية ، فهو عمل يحتاج الى تدبير وتخطيط وتحديد وسرية ، ولايمكن أن يكون علنيا والا فلماذا العقوبات العامة التى كانت تفرض على أهالى القرى لقطع السكة الحديد القريبة منهم ، ولم يكن الطلبة بعيدين عن هذا العمل كما سبق الاشارة ، ومن الأمثلة على ذلك قضية ملوى وكان الاتهام فيها تأليف جمعية سرية للتحريض على قطع السكة الحديد وتخريب الأملاك الحكومية والتحريض على المظاهرات وقتل بعض الانجليز ونظرت القضية أمام المحكمة العسكرية بأسيوط وبين المتهمين الـ ١٣ وجد من طلبة المدارس الثانوية محمد حشمت ، عبد الهادى عبد الرحمن سالم ، حسين حافظ سالم ، ومحمود السلامونى ، وان صدر الحكم عليهم بالبراءة

فهو مؤشر على أية حال الى أن هؤلاء الطلبة لم يكونوا فى مجتمعهم كما مهملا ، بل كانت لهم الحركة فى هذه البلاد(٧) ٠

ولقد لعب الشباب دورا كبيرا سواء فى الدور العلنى أو فى النضال الثورى السرى، الذىيتجلى فى سلسلة منمحاولات الاغتيال لأعضاء الوزارة الذين أظهروا تضامنا مع المحتل ، وانتظموا فى خلايا سرية ولقد كان للطلبة والعمال دورهم البطولى فى هذه الأجهزة(٨) ٠ وكانت بداية الاغتيالات فى ١٩١٠ حيث اغتال ابراهيم الوردانى بطرس غالى كما سبق الاشارة الى ذلك ، وتدل الاحصائيات على أنه بين ١٩١٠ ، ١٩٢٥ حدثت ١٤ محاولة للاعتداء على السياسيين المصريين . ١٢ قتل و ٢١ محاولة قتل للموظفين البريطانيين ، وكان أعظم هذه العمليات وأخطرها هى اغتيال السيرلى ستاك فى ١٩٢٤(٩) ٠ ويؤكد سدنى سميث فى مذكراته وكان يعمل بالمخابرات البريطانية ، أنه رغم أن كل هذه المحاولات كانت تتم فى وضح النهار وفى شوارع مزدحمة بالسكان ، فلم يحدث أن تقدم فى احداها شاهد عيان ، ولم يحاول أحد من الجمهور مساعدة البوليس بأية طريقة « وكان من الصعوبة بمكان اثبات أى جريمة من هذه الجرائم على أى فرد ، ولم يحصل البوليس مرة واحدة على أثر واحد مفيد فى التعرف على القتلة »(١٠) ٠ أى أن الرأى العام المصرى كان مع هذا النشاط السرى يؤيده ويرفض الكشف عنه ، رغم حدوثه وسط النهار واغراء المكافآت المالية الضخمة ، لمن يقدم معلومات عن مرتكبى حوادث النشاط السرى لثورة ١٩١٩ ٠

ولتنفيذ هذه الاغتيالات كانت تعد قوائم بالموظفين المراد اغتيالهم ، وتسجل خطواتهم فى ذهابهم وعودتهم بين منازلهم ومكاتبهم بكل عناية ، كما كان يختار المكان والوقت المناسب للتنفيذ الذى يتولاه أربعة أو خمسة مسلحون لكل منهم مركزه وموقعه

ودوره فى الموقع المختار أو الشارع ، وأحيانا يتنكر المنفذ للاغتيال فى صورة بائع جرائد أو صياد وما الى ذلك ثم يسير خلف الضحية ويطلق النار عليها(١١) ٠

وكان هذا التنظيم السرى برياسة عبد الرحمن فهمى يتلقى تعليماته من سعد زغلول شخصيا من باريس ، وكانت تكتب بماء البصل على المجلات العلمية الانجليزية والفرنسية ، وكان يتسلمها محمد صادق فهمى الأستاذ بالجامعة الذى كانت مهمته استلام الكتب العلمية المرسلة للجامعة من أوربا ، ويرسل الرسائل لعبد الرحمن فهمى ، حيث يتولى ومعه الدكتور أحمد ماهر كى الصفحات فتظهر الكتابة . وبنفس الطريقة كان عبد الرحمن فهمى يرسل رسائله الى سعد ، ولم يكن أعضاء الوفد بباريس ولا أعضاء الجمعية المركزية بالقاهرة على علم بهذا النشاط . ويظهر ذلك فى الرسائل المتبادلة بين عبد الرحمن فهمى وسعد زغلول ، حول الخلاف فى التمويل لهذه الأنشطة السرية بين عبد الرحمن فهمى ومحمود سليمان رئيس اللجنة ووكيلها ابراهيم سعيد ، اللذين كانت شكواهما من عدم معرفتهما اسرار الأعمال التى يقوم بها عبد الرحمن فهمى(١٢) ٠

ويكتب سعد الى عبد الرحمن فهمى فى ١٤ سبتمبر ١٩١٩ ، يطلب منه أن يعرض الاعمال التى يقوم بها على محمود سليمان باشا وابراهيم سعيد باشا لأن فى كتمانها عنهما مايؤدى الى استيائهما ، وبخصوص القائمين بها عليه اكتمان اسمائهم ان كان فى افشائها مايضر باتمامها ، ويرجو سعد فى خطابه هذا أن « تفهمهما أن الطريقة التى نتراسل بها لايمكن معها الامضاء ، وأن اخفاءها كان بناء على اتفاق بينى وبينك ، وانى لم أخبر اخوانى بها خوفا على ذلك الاتفاق » ٠

. ويظل مصدر تمويل العمل السرى من عوامل قلق عبد الرحمن فهمى الذى كان يحصل عليها من ابراهيم سعيد ، وكان يمتنع أحيانا عن التمويل لعدم معرفته تفاصيل هذه المصروفات ، فضلا عن عدم ايمانه بالوسائل غير المشروعة(١٣) . ولقد أثر عدم الصرف على أعمال عبد الرحمن ، الذى يكتب لسعد فى ٤ ابريل ١٩٢٠ مؤكـدا له هذا الأثر فيقول « ويسوؤنى جدا أن أعرف سعادتكم أن الحالة بدأت تظهر بغير المظهر الأول الذى يرضيكم ، ويرضى كل محب لبلادنا العزيزة ، لأن خصومنا السياسيين يشتغلون بجد ويصرفون عن سعة وكذلك أعداؤنا الحقيقيون يبعثرون المال ذات اليمين وذات الشمال ، بحيث أمكنهم أن يستخدموا كثيرين ممن كانوا من العاملين المخلصين للتجسس والايقاع بغيرهم ، كل هذا يحصل حولنا وعلى مسمع منا ولايوجد من جهتنا حركة مضادة لهذه الأعمال الشيطانية وذلك لقلة المال » . وفى رسالة اخرى « اضـــطررنا لتقليل الأعين الساهرة على مصلحة القضية التى كانت مكلفة بمراقبة خصومنا واعدائنا ، حيث لاقبل لنا على الاستمرار على الصرف عليها من جيبنا الخاص ، كما كان الحال قبل أن تنفذ نقود الوفد وكذلك قللنا شيئا ليس بالقليل من الأعمال الأخرى » . ويجد عبد الرحمن فهمى مخرجا لهذه الأزمة ، بأن يرسل اليه سعد الأموال مباشرة والامتناع عن الحصول عليها من ابراهيم ســعيد ، ويوافق ســـعد على هذا الأسلوب ويكتب لعبد الرحمن فهمى مستحسنا ايـــاه « .. وبهذه الكيفية يمكنكم أن تشـــتغلوا من غير أن يعلم أحد بشغلكم ، ممن تشتبهون فيهم ولاتودون أن يعلموا شيئا من حركاتكم ، وعند استلام النقود من الذى سيعطيها لكم ، نبهوا عليه بأن يكون أمرها بينى وبينكم،وأن يرسل الى فورا الايصال الذى تكتبونه لهباستلامها»(١٤) .

وهنا يثار سؤال .. اذا كان الأمر كذلك فهل كان سعد هو

الموعز لهذه الاغتيالات السياسية ؟ من الطبيعى الا نجد أوراقا تدل على ذلك ، حقيقة لقد كون عبد الرحمن فهمى بموافقة سعد الجهاز السرى ، بدليل المراسلات السابقة وذلك لتحقيق أهداف الثورة ، ولكن سعدا لم يكن رئيس عمليات سرية بل كان زعيما سياسيا ، عليه أن يحدد المبادىء العامة للثورة ، وعلى رئيس الجهاز السرى أن يبحث تفاصيلها ووسائل تنفيذها ومعاقبة من يخالفها(١٥) ٠

ومن الطبيعى أن يكون سعد حذرا فى ابعاد اية شبهة بصلته بعملية الاغتيالات ، وهو ماأكده سعد زغلـــول فى مذكراته فى ٢٠ سبتمبر ١٩١٩ فيقول«قال لى محمد محمود:اذا كنت تحمل المسافرين (ويصا واصف ، حـافظ عفيفى) رســـالة الى القاهرة على أن يجتهدوا فى الاكثار من القنابل ، قلت له ان هذه السياسة أمقتهـا ولا أرجو الا الشىء المشروع فقط ٠ وكل ما أطلب أن يتحد الناس على محبة الاستقلال ؛ وأعلم أن طريقة الارهاب اذا نفعت مرة فانها تضر مرات ، واذا كان اليوم لك فانها تنقلب عليك غدا ، ولذلك يجب التحذير منها والبعد عنها فسكت ولونه أصفر »(١٦) ٠

ويؤكد سعد هذا الحذر فى حديثه مع جريدة وستمنستر غازيت فى ١٦ يونيو ١٩٢٠ حول الاعتداء على الوزراء ، فيعلن أسفه ومقته لهذه الطريقة الارهابية ، وأن الرأى العام يشاركه هذا المقت رغـم كرهه للحماية وبغضه لكل وزارة تؤيد ذلك النظام ، ويصف القائمين بها بأنهم غير مسئولين ، يلجأون الى ارتكاب مثل هذه الجرائـم الفظيعة التى تناقض مصالح البلاد(١٧) ٠

ولكن من ناحية أخرى فان سعد لم يكن بعيدا عن أحداث مصر ، وسبق أن حذر عبد الرحمن من النشاط البلشفى ، ولو كان هناك اعتراض من سعد على هذه الاغتيالات ، لأرسل اليه تحذيرا وهو

مالم يحدث بل ان عبد الرحمن فهمى كان يمدح القائمين بهذه الأعمال فى مراسلاته مع سعد ويصفهم بالوطنية كما قال بالنسبة لعريان سعد « بأنه متقد حمية ووطنية وفى غاية الجرأة » وهو ماكان يجرؤ أن يتناوله عبد الرحمن فهمى بهذا الوصف لو كان سعد معارضا(١٨) ٠

محاولة اغتيال محمد سعيد

كان على الجهاز السرى بقيادة عبد الرحمن فهمى ، أن يعمل على تنفيذ الخطوط العامة لسياسة الوفد ٠ والتى كان منها تعطيل قيام أية حكومة فى مصر لاتعترف بالوفد ولاتتبع سياسته وتتعاون مع الاحتلال . وتولى الجهاز السرى معاقبة هؤلاء الذين يجرؤون فى تحدى هذه السياسة . وبالتالى تعرض هؤلاء لسلسلة من الاعتداءات لانزاعهم . وارهاب غيرهم حتى لايقدموا على ماأقدم عليه هؤلاء(١٩) ٠

ويتولى محمد سعيد الوزارة بعد استقالة رشدى فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، وهو نفس اليوم الذى نشرت فيه خطبة كيرزون ٠ وكان بقاء البلاد بلا وزارة . مظهرا قويا لتضامن الأمة فكسر محمد سعيد هذا التضامن بتأليف وزارته وان أعلن أن وزارته ادارية لاتمت للسياسة بصلة ، وهو أول المبتدعين لفكرة الوزارة الادارية،ولقد أدى ذلك الى موجة من الاستياء . زاد حدتها أن وزارته ضمت اثنين من مستشارى محكمة الاستئناف اللذين كانا يجاهران باستنكارهما لثورة ١٩١٩ ، وهما أحمد ذو الفقار باشا ، ومحمد توفيق نسيم بك مع اثنين من الوزراء اللذين سبق أن استبعدهما رشدى باشا عند تاليف وزارته الرابعة ، وهما اسماعيل سرى باشا وأحمد زيور باشا فكان تشكيلها تحديا للرأى العام ، الى جانب سابق الجفاء بين سعد ومحمد سعيد منذ استقال سعد من وزارة سعيد الأولى ، ثم صار

زعيما للمعارضة فى الجمعية التشريعية واستمر الجفاء بعد قيام الثورة(٢٠) ٠

ويؤكد هذا الاتجاه للوفد محمد محمد خليفة وسيد على محمد ، المشتركان فى محاولة اغتيال محمد سعيد فى مذكراتهمـــا والتى نشرها مصطفى أمين ، من أنه لايجوز لمصرى أن يؤلف الوزارة فى ظل الحماية(٢١) ٠

ولم تكن هذه هى المحاولة الأولى التى تعرض لها محمد سعيد باشا ، فقد اشترك فى المحاولة الأولى محمد محمد خليفة التاجر بكفر الزيات ، وفى الثانية الطالبان سيد محمد باشا ، أحمد عبد الحى العبد بالقاء قنبلة عليه بكوبرى قصر النيل ، ولم تنفذ كلتا الحالتين حتى كانت المحاولة الثالثة فى ٢ سبتمبر ١٩١٩(٢٢) ٠

ولقد اشترك فى هذه المحاولة سيد على محمد الطالب بمعهد الاسكندرية ، محمد شكرى الكرداوى طالب الطب بالأستانة ، محمد محمد خليفة التاجر بكفر الزيات ، محمد محمد الســـراج الطالب بالمدرسة الحربية بالأستانة(٢٣) ، ولقد جند المتهم الأول وهو سيد على محمد فى الجهاز السرى ، محمد محمد خليفة الذى كان عضوا فى هذا الجهاز ويعرف أحمد ماهر والنقراشى وحسن كامل الشيشينى وسيد باشا ، يوسف العبد ، عبد الرؤف العبد من أعضاء الجهاز ـ وقدم الشيخ سيد على محمد ليقوم بمهمة القاء القنبلة على محمد سعيد باشا(٢٤) ٠

ويبدو أن محمد شكرى الكرداوى كان المسئول عن تنفيذ هذه المهمة ، فلقد سافر الى الاسكندرية ، وفحص خطوط سير رئيس الوزراء ، وأعد كل الترتيبات وعاد الى المنصورة ٠ وفى ٢٨ أغسطس

سافر الى كفر الزيات ، وفى اليوم التالى عاد الى الاسكندرية ومعه الشيخ سيد وأفهمه الطرق التي يسلكها الباشا وكيف يلقى القنبلة(٢٥) وان كان الشيخ سيد فى مذكراته يحمل نفسه عبء هذه الدراسة لموقع رئيس الوزراء ، فيقول انه عند وصولهما الى محطة سيدى جابر تركه الكرداوى ليدرس الموقع ، فذهب الشيخ سيد يتحسس المنطقة واختار بوابة محطة الترام ، لالقاء القنبلة على رئيس الوزراء لاضطرار السائق للابطاء واستطاع أن يتعرف على مواصفات سيارة رئيس الوزراء من بائع كازوزة قريب من البوابة المذكورة (٢٦) ٠

وأميل الى الرواية التي قام فيها الكرداوى بمسئولية الاعداد ، فهو مندوب الجهاز السرى وقيادة العملية وحريص على تنفيذها ، ويبعيد عن الذهن ألا يدرس المنطقة وظروفها ويتركها للمنفذ ، فالقضية متعلقة بالجهاز ككل ، أو على الأقل لاينفرد الشيخ سيد بالدراسة وهو ماقد يفهم ذلك من مذكراته ٠

ويذكر الشيخ سيد أن القنبلة جاءت مع رسول من القاهرة ، وعرف من صاحبه أنه محمود فهمى النقراشى ويؤكد مصطفى أمين أنه عرض مذكرات الشيخ سيد على النقراشى فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٨ فأكد بصحتها مع ملاحظة بسيطة ، هو أنه عندما قابل الشيخ سيد فى سبتمبر ١٩١٩ قدم نفسه اليه بالاسم « وذهل الشيخ سيد على محمد عندما ذكرت له اسمى ، فقلت له اننى أردت أن أقول لك اسمى لتعرف أننا نثق بك ، ويظهر أن الشيخ سيد كان مضطربا فى تلك اللحظة فلم يذكر حديثى ، أو أنه لم يشأ أن يحرجنى بذكر الواقعة كاملة » ويؤكد النقراشى أنه لم يكن من المقصود قتل محمد سعيد لمخالفته قرار الوفد وتولى الوزارة فى ظل الحماية ، بل اخافته فقط ، وان طريقة حشو القنبلة كانت لاحداث انفجار مخيف ، وأن الشيخ سيد لم يكن يعلم ذلك(٢٧) ، وفى صباح الحادث تقابل الشيخ

سيد والكرداوى وركبا الترام متباعدين،وفى دورة مياه سان استفانو وضع الكرداوى الحامض فى القنبلة ، وسلمه السبت المغطى بالعنب وبداخله القنبلة ، وتوجه الشيخ سيد الى المكان المختار بجوار بائع الكازوزة(٢٨) ، وبعد قليل خرج رئيس الوزراء بسيارته ومر فى طريقه المعتاد ، فقذف الشيخ سيد السبت على السيارة وقال « خذها ياخائن » وحدث انفجار شديد ، وأسرعت السيارة ولم يصب محمد سعيد بشيء وقبض على الشيخ سيد فى الحال ، وكان الكرداوى على مقربة من الموقع ، فأسرع الى منزله وغير ملابسه وسارع الى الطبيب المتردد عليه فى الاسكندرية ليتخذ من ذلك سببا لوجوده بها(٢٩) .

وتعرض الشيخ سيد للضرب الشديد من الملازم سليم زكى بالكرباج ، ومن خادم رئيس الوزراء ، وعندما نقل الشيخ سيد الى مقر الوزارة ببولكلى بناء على رغبة محمد سعيد ، وسأله عن السبب فى محاولة قتله أجاب « الله أمرنى بذلك » واستحضروا والده كوسيلة من وسائل الضغط ، ولكنه قال لابنه عند الانفراد به « اسمع ياسيد ، اياك أن تتهم أحدا ، كن رجلا ، واحمل مسئولية عملك وحدك وانى أستودعك الله ‥ »(٣٠) .

واقد ذكرت جريدة التيمس هذه الحادثة فى مقالة لها فى ٥ سبتمبر ١٩١٩ ، وأرجعتها الى حقد الحاقدين على نجاح محمد سعيد وأنه « لابد أن يرى العقل كما يرى ضمير الانسانية أن الالتجاء الى القتل دليل على عدم كفاءة الجماعة التى ترغب فيه أو تسمح به ‥ »(٣١) .

ولقد تناول الدفاع القضية كقضية سياسية ، معبرة عن الرأى العام المصرى فأحمد مرسى محامى المتهم الأول ، يرى أن مهمته

شاقة لاعتراف موكله ، وأن الجريمة جريمة سياسية « وقعت فى ظروف مخصوصة ، وفى أوقات عصيبة انقلبت الأمة فيها رأسا على عقب ، وتطورت أفكارها ، واذا قيــل أن المتهم أخطأ فى ظنه أن خدمة مصر لاتكون الا باغتيال الوزير ، فقد كان الرأى العام يرى أنه لايحق لمصرى قبول هذه الوزارة ، لافرق فى ذلك بين القاضى ووكيل النيابة وغيرهما ٠٠ »(٣٢) ، وقال أيضا انه يدافع عن شخص يعتقد أنه يضحى بحياته فداء الوطن ، ولقد كان لحوادث العـــام الماضى أثر سيء فى دم كل مصرى ، وأنه تأثر بذلك وكان تأثره كبيرا لأنه شــاهد اخوانـــه الطلبة بين قتيــل وجريح تجـــاه دار المسافرخانة ، لالسبب سوى حبهم للوطن وطلبهم للحرية والاستقلال ثم تحدث عن قبول محمد سعيد للوزارة التى ظن بها البعض السوء ، وأشار الى تغير طبع موكله نتيجة لأحداث مارس،فهى حوادث«تغيرمن طبع الفلاسفة الذين عركهم الدهر فكيف بحديث السن مثل المتهم»(٣٣) كما ناقش أحمد وجدى بك محامى المتهم الثالث هدف هؤلاء الشباب ، فهم لايودون جاها ، بل هم يخدمون مبدأ يعدونه حقا ويضحـــون بأرواحهم فى سبيله ، وأنه اذا أريد قطع سلسلة هذه الجرائم ، فعليهم أن يرجعوا لأسبابها ، ثم تعرض لبعض أقول النيابة فقال « ذكرت النيابة أن الخلاف فى الآراء السياسية ، لايكون مؤديا الى القتل ، وأن الصحافة كفيلة بأن تقوم بالدفاع فليكن ذلك ، اعطونا صحيفة واحدة حرة ونحن نكتفى بذلك ، ففى هذا اليوم أقفلـــت جريدتان يوميتان » ثم قال « تقول النيابة ان المتهم كان يشتغل بالسياسة فى الحركة الأخيرة ، وكان يخطب فى الجوامع ومن من الناس لايشتغل بذلك ، وهل بعيد ان يكون شخص مثل الشيخ خليفة زعيما لأهل بلده فى المطالبة بحقوقهم المهضومة ٠٠ »(٣٤) ٠ وتعرض أيضا الى قوة الرأى العام فى دفعها للمتهمين ، وكيف قال له أحد الذين رفضـــوا

الوزارة ، من أنه يجد مساعدة من الرأى العام له فرفض ، وأشار الى أن الحركة القائمة فى مصر قد أحيت الأموات(٣٥) ٠

والتمس محمد سعيد باشا من المحكمة فى شهادته الرفـــق بالجانى وتخفيف العقوبة التى ستوقع عليه «لأنه فعل مافعل مدفوعا بعامل الاعتقاد بصلاحية عمله لبلاده »(٣٦) ٠

وصدر الحكم فى ٢٥ فبراير ١٩٢٠ ، وكانت عقوبة سيد محمد على عشر سنوات ، ومحمد شكرى الكرداوى ١٥ سنة (٣٧) ٠

وظل الشيخ سيد فى السجن والكرداوى مختفيا ، حتى كان العفو عن المسجونين السياسيين ، فصدر العفو عن الشيخ سيد وعن باقى المتهمين فى قضية النيابة رقم ٥٠٤ الرمل ١٩١٩ فى ٢٣ فبراير ١٩٢٤ ٠ وكذلك صدر قرار العفو عن الكردواى ، وقد أحسن استقباله فى طنطا والمنصورة وكان طلبة الكشافة يتقدمون السيارة منادين بنداءات مختلفة منها « يحيا الدكتور شكرى »(٣٨) ٠

محاولة قتل يوسف وهبة :

وأضطر محمد سعيد باشا الى الاستقالة عندما نصح اللنبى بتأجيل وصول البعثة الى مصر بعد عقد معاهدة الصلح مع تركيا ورفض اللنبى ذلك وخلفه يوسف وهبه فى الوزارة(٣٩) ، ولما كان توليه الوزارة فى ظل الاتجاه العام للوفد بعدم قبول الوزارة فى ظل الحماية ، فقد استمر الاحتجاج وتكررت محاولات الاغتيال ، ونظرا لكون رئيس الوزراء قبطيا ــ وقد حرصت السطات على ذلك لبذر الشقاق بين عنصرى الأمة ــ فقد شاء الاقباط أن يكونوا هم البادئين بكشف مناورات الانجليز فعقدوا مؤتمرا فى ٢١ نوفمبر ١٩١٩ فى

الكنيسة المرقسية الكبرى وشارك فيه الطلبة وانتهى بالاحتجاج عليه كما سبق الاشارة(٤٠) ٠

وكان بطل هذه المحاولة هو عريان يوسف سعد ، الطالب بكلية الطب ، الذى انضم للجهاز السرى فى اكتوبر ١٩١٩ ، ففى هذا الشهر اجتمع أربعون طالبا بمنزل محمد حلمى الجيار أحد طلبة الطب ، وأقسم المجتمعون على كتمان سر الاجتماع ودار النقاش حول استمرار احتجاجات الطلبة ، ووقف عريان فى هذا الاجتماع وقال « لابد من القتل ، قتل الخونة وقتل الانجليز ، هذا هو السلاح الوحيد الذى يؤدى لاخراج الانجليز من بلادنا»فقوطعمن محمد حفنى محمد حلمى الجيار بأن مايقوله هو كلام فارغ ٠٠ ولم تكن هذه الصيحات الا ساترا يخفون به الحقيقة ، فكانا عضوين بالجهاز السرى وفى شعبة الاغتيالات وجند محمد حفنى عريان للجهاز السرى ٠

وعندما تولى يوسف وهبة الوزارة ، تقدم عريان لمحمد حفنى وأبدى استعداده لاغتياله ، وبعد استشارة القيادة أخبره محمد حفنى بأن الأمر ستتولاه خلية أخرى ، فقال عريان بأن مصلحة البلد والثورة أن يتولى العملية قبطى ، حتى لاتتكرر الفتن التى حدثت بين المسلمين والأقباط ، بعد اغتيال الوردانى لبطرس باشا(٤١) ٠ ولقد أحجم الطلبة المسلمون وعيا من الاعتداء على رئيس الوزارة ، لما يثيره من معنى التعصب ومايتركه من أثر فى نفوس الأقباط من جهة ، ومايفيد الانجليز من ذلك فى الدعاية ضد مصر من ناحية أخرى(٤٢) ، ولقد كان تقدم عريان ومطالبته بتولى الأمر – قائلا « اتركوا لى أنا هذا الأمر حتى لانوقع البلاد فى فتنة يريدها الانجليز، فلنحبط مؤامراتهم بأن يتولى العمل قبطى كرئيس الوزارة فثقوا بى وأنا كفيل بمهمتى »(٤٣) ٠ بمثابة انقاذ للموقف ، وأعلنه محمد حفنى

بموافقة الجهاز على قيامه بالمحاولة ، وكان هذا تقديرا واعيا من الجهاز والطلبة حتى لايستغل الانجليز هذا العمل ضد مصر(٤٤) . وتقررت هذه العملية بمنزل عبد اللطيف بك الصوفانى ، وتولى مصطفى حمدى تمرين عريان وهو تنظيميا يتبع أحد فروع عبد الحى كيره الذى كان تابعا لماهر ، وكان متواجدا فى الاجتماع عبد اللطيف بك الصوفانى ، عبد الرحمن بك الرافعى ، احمد بك ماهر ، شفيق منصور ومصطفى حمدى ، وأخذ رأى النقراشى على انفراد ، وسلم اليه يوم الحادثة قنبلتين ومسدسا وبالطو أصفر(٤٥) .

واستطاع فرع آخر من الخلايا أن يجمع المعلومات عن خط سير ومواعيد رئيس الوزراء من منزله والشوارع التى يمر بها ، ولقد تم اختيار ميدان سليمان باشا لالقاء القنبلة يوم ١٤ ديسمبر ، ولكن رئيس الوزراء لم يحضر ، وفى اليوم التالى ذهب عريان وجلس بأحد المقاعد بحديقة قهوة ريش ، ومعه قنبلتان ومسدس أخفاهما فى جيوب الجاكتة تحت المعطف ، بينما جلس محمد حفنى الطالب بكلية الطب على مقعد رخامى يحيط بتمثال سليمان باشا ليعطى الاشارة بالوقوف حتى لايثير الشبهة ، ومن الطريف أن مخبرا سريا كان يجلس بجواره فى ذلك الوقت ، ومرت سيارة رئيس الوزارة وأعطيت الاشارة ، فألقى عريان القنبلتين عليها(٤٦) . وكانت الخطة أن يلقى عريان القنبلة الأولى فالثانية على سيارة يوسف وهبه عند مرورها ، ثم يقتل نفسه بالمسدس اذا وجد نفسه سيقع فى أيدى الجنود ، وبعد أن ألقى عريان القنبلتين وانفجارهما ، اخرج المسدس ليضع حدا لحياته ، ولكن الجنود أسرعوا بتجريده من السلاح(٤٧) . ونقل عريان الى مكتب رئيس الوزراء وكان مضطربا وبجواره يحيى باشا ابراهيم وزير المعارف ، ومحمود فخرى محافظ القاهرة ، وقال له رئيس الوزراء « ليه ياشاطر بتعمل كده » ؟ فرد

عريان « أنت خرجت على اجماع الأمة لأن البطريرك طلب منك عدم تأليف الوزارة ، وجاءك وفد من الأقباط وطلب منك أن ترفض تأليف الوزارة فرفضت مقابلته ، وأرسلت لك برقيات من جميع الشعب ألا تؤلف الوزارة ، وأنا أرسلت لك برقية باسم كلية الطب ولكنك تحديت كل هؤلاء وألفت الوزارة ! » وسأله وهبه باشا «لو كنت أنا مت ·· ألم يكن غيرى سيؤلف الوزارة ؟ » أجاب عريان « كنا نقتله كما حاولنا قتلك ! »(٤٨) ·

ونتيجة لهذا الحادث فقد فتشت منازل بعض طلبة الطب ، وبلغ عدد المقبوض عليهم ٤٥ طالبا(٤٩) ·

وأمام المحكمة العسكرية التى حوكم أمامها عريان سعد ، أكد المدعى العام نية القتل عند عريان قائلا « ان مجرد استعمال آلة قاتلة فى الشروع فى القتل يكفى للاستدلال على نية القتل » وان « الرجل الذى يتجول وهو يحمل أسلحة خطيرة ، يجب أن يعد قاصدا النتائج الطبيعية لأعماله » · ونفى عريان عن نفسه نية القتل وأنه كان يقصد الارهاب لابعاده عن الوزارة ، لأنها تألفت ضد رغبة الأمة وهو ماأشار اليه محامى الجانى(٥٠) · وكان من أثر هذه المحاولة أن أعرض الكثيرون عن قبول الوزارة ، فصدر قانون يمنح لمن يتولى الوزارة لقب صاحب المعالى ومعاش ١٥٠٠ جنيه فى السنة ، وبالتالى وجد من لم يرهبه هؤلاء الشبان الطائشون فى مقابل هذا الكسب المادى(٥١) ، وحكم على عريان بعشر سنوات مع الشغل وأفرج عنه ١٩٢٤(٥٢) ·

والأمر الذى لاريب فيه أن عريان سعد ، لايستطيع أن يتولى هذه العملية بمفرده كما أصر فىأقواله،فهىتحتاج الىتنظيموتخطيط ومعلومات ·· وغير ذلك من الأمور التى لايستوعبها الفرد ، فلم يدل بأية اشارة على زملائه وتحمل بمفرده المسئولية وآثارها ·

وللسبب ذاته وقع اعتداء على نسيم باشا بواسطة ابراهيم حسن سعود ، وكان موظفا بالصحة ونفذ فيه حكم الاعدام فى ٨ يوليو ١٩٢٠ ـ ومن الطريف أنه كان يدرس الحقوق ليلا(٥٣) ٠

الاعتداء على وزراء الاشغال :

أرسل سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى فى ٢١ ديسمبر ١٩١٩ رسالة جاء فيها « بلغنا أن الانجليز يسعون للحصول على موافقة الوزراء المصريين على مشروعات للرى فى السودان مخالفة للمصلحة ، نرجو تبصير الوزراء بعواقب هذه المشروعات ، وافادتنا عن تفصيلات ذلك »(٥٤) ٠

وفى ١٥ يناير ١٩٢٠ قابل اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال، يوسف وهبه رئيس الوزارة وأطلعه على تهديد وصله مضمونه « احذر من الموافقة على مشروعات الرى الانجليزية والا الموت » وهى بتوقيع اليد السوداء ، وشددت الحراسة على الوزير(٥٥) ، ورغم ذلك القى أحد الشبان قنبلة على اسماعيل سرى فى ٢٨ يناير ١٩٢٠ ، وهو فى طريقه الى الوزارة ، ولكن القنبلة سقطت بعيدا عن السيارة التى أصيب بشظية بسيطة فى المؤخرة ، ولم يعرف الجانى وكانت مكافأة الاستدلال عليه ٥٠٠ جنيه(٥٦) ، واستقال اسماعيل سرى وسبب الاستقالة بأسباب صحية ، وكان موضوع تخزين المياه فى السودان عاملا أساسيا فيها ، وتولى الوزارة محمد شفيق باشا الى جانب عمله كوزير للزراعة(٥٧) ٠ ويكتب بذلك عبد الرحمن فهمى لسعد زغلول فى ٢٨ يناير ١٩٢٠ ٠ و ٣٠ يناير عن القاء القنبلة على الوزير ، والمكافأة المرصودة للارشاد عن الجانى واستقالة الوزير ورفض الوزراء تولى المنصب وقبول محمد شفيق باشا وزير الزراعة منصب وزير الاشغال علاوة على منصبه وفى

يوم ٢٢ فبراير أى بعد توليه المنصب بسبعة عشر يوماً تعرض لعملية اغتيال(٥٨) .

وكان بطل هذه المحاولة الأخيرة الطالب عبد القادر شحاتة الذى جنده الطالب عبد الحى كيره ، واختير لمحاولة اغتيال محمد شفيق الذى قبل منصب وزير الأشغال ، وعاين عبد القادر الموقع الذى درسه الجهاز وحدد موقع الضرب وموقع الهرب ، وخلع ملابسه وترك الأسلحة فى خرابة بحارة مؤدية لشارع النزهة ليتسلمها أحد أعضاء الجهاز لاخفائها ، وكانت خطة التنفيذ أن يسبق عربة الوزير أحد الموتوسيكلات لأحد أعضاء الجهاز المكلف باعطاء الاشارة بالقاء جريدة أمام عبد القادر كرمز لقدوم سيارة الوزير ، وارتدى عبد القادر زى الطباخ وبات ليلة ١٩ فبراير عند الطالب حسن الشنتناوى ... ولكنه لم ينجح الا فى المحاولة الثالثة ففى يوم الأحد ارتدى عبد القادر ملابس عمال العنابر ، ومرت عليه العربة الفاخرة وقدمت اليه القنبلة ومسدسان فى علبة كبيرة وجاء الموتوسيكل وأعطى الاشارة واستعد للتنفيذ(٥٩) ، وألقى بالقنبلة ولكنها كانت خارج نطاق قذفها ، ورآه الوزير ومحمود سرى بك سكرتير رئيس الوزراء وهو يعدو فتبعه السائق ، وركب عبد القادر العربة التى كان ينتظره فيها الطالب عباس حلمى ، ولكن المطاردين لحقوا بهم فهربا داخل مدرسة للبنات الاسرائيليات ، ولكن أمكن ضبطهما(٦٠) . ولقد أصدرت ادارة المطبوعات بلاغا رسميا عن الحادثة ، واشار الى القبض على المتهمين وتعرف الشهود عليهما(٦١) وقد اعترف عبد القادر بأنه ألقى القنبلة(٦٢) ، وأرجع السبب فى ذلك لأنه قبل منصب وزير الأشغال بعد استقالة اسماعيل سرى ورفض أى مصرى تولى هذا المنصب(٦٣) .

وأمام المحكمة حاول المحامى أن يبين أن قصد عبد القادر

شحاتة هو التخويف وليس القتل(٦٤) ، وتحدث عبد القادر أمـام المحكمة مؤكدا قول محاميه(٦٥) ، ولقد أصدرت المحكمة العسكرية الحكم على هذين الطالبين ولم يتجاوزا العشرين ـ بالاعدام ، ثم خفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة(٦٦) .

ولقد أثرت هذه المحاولة لاغتيال محمد شفيق ، والتى كان سببها الخوف من قبول مشروعات رى السودان ، فى صعوبة تمثيل مصر فى اللجنة التى تبحث هذه المشروعات ، فيرسل عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول فى ١٧ مارس ١٩٢٠ بأن شفيق باشا استدعى محمود فايد بك ، ليكون عضـــوا فى هذه اللجنة فرفض . فتكرر العرض عليه من رئيس الوزراء فرفض ، ومن السلطان فأجاب محمود فايد بأنه لابد من الحصول على موافقة الوفد ولجنته المركزية ، وجاء محمود للجنة الوفد التى أفهمته أن المشاريع بدىء فى تنفيذها فعلا على النهرين الأبيض والأزرق وهو دليل على أن عمل اللجنة صورى، كما أنه سيكون لمصر صوت واحد أمام أربعة أصوات انجليزية ، وبالتالى لافائدة من انضمام أحد المصريين للجنة لئلا يقام الدليل فيما بعد ، أن العمل المذكور قد تقرر بحضور ممثل لمصر ، على ذلك اعتذر محمود عن قبول المأمورية(٦٧) .

ونجا أيضا حسين درويش وزير الأوقاف حيث ألقيت عليـه قنبلة فى ٨ مايو ١٩٢٠ ، وانفجرت القنبلة ولـم تصبه بسوء ولكنها أصابت السائق وكان هذا الوزير من أشد الوزراء تفانيا فى خدمة السلطان والسراى(٦٨) ، ويتضح من البلاغ الرسمى أن مرتكبـى هذا الحادث من طلبة الأزهر ، فجاء فيه « .. ان السائق رأى حين حدوث الانفجار ، رجلا فى زى يماثل زى طلاب الأزهر وكان منحنيا الى الأمام على مقربة من السيارة ، بعد ذلك اتصل بالبوليس بأن طالبا أزهريا راقد فى منزله وبه اصابة ، فتبين أنه أصيب أصـــابة

شديدة فى رأسه وفى يده اليمنى ، وقبل موته قال أنه أتفق له أن كان على قرب حين القـــاء القنبلـــة فاصـــابه الانفجـــار ، بما أصابه ...»(٦٩) • ويؤكد شفيق منصور أن هذا الطالب هو الجانى ولقد تقررت هذه العملية بمنزل الصوفانى وحضرها أحمد ماهــر والصوفانى وعبد الرحمن الرافعى وشفيق منصور • وقد قام بها أحمد توفيق الذى كان تابعا لعبد الحى كيره ، وسلمه ماهر القنابل عن طريق كيره ، وقد أصيب احمد توفيق فى رأسه وتوفى على الأثر بعد ذهابه الى منزله(٧٠) •

وفى هذه الفترة التى تبدأ من ١٩١٠ الى ١٩٢٥ كانت تستخدم القنابل أو المفرقعات التى تصنع محليا ، وكان التدريب غالبا فى صحراء حلوان حيث أمكن لرسل باشا من العثور على هيكل عظمى، وذلك بعد وصول معلومات عن حالة انفجار احدى هذه المفرقعات المحلية الصنع ، وأودت بحياة المدرب منذ حوالى ست سنين(٧١) •

وكان امداد الجهاز السرى بالقنابل يشارك فيه الطلبة بالدرجة الأولى ، فيتولى عبد الحى كيره الاشتراك فى صنع القنابل ، التى القيت على يوسف وهبه باشا ، اسماعيل سرى وزير الاشغال ، محمد شفيق وزير الاشغال ، حسين درويش وتوفيق نسيم ، ويذكر حسنى الشنتناوى الطالب بالالهامية وعضو الجهاز فى مذكراته، أن عبدالحى كيره كان يمد خليته بالســـلاح كما كان حلقة الوصل بين خليـــة العمال والجهاز ويمدها بالسلاح ، والتى كان يمثلها الحاج أحمد جاد الله وكذلك فى مذكرات محمد يوسف يؤكد أن عبد الحى ماكان يخرج فى مظاهرات الطلبة « وكان أساتذة مدرسة الطب الانجليز يتصورون أن هذا الطالب المجتهد مكـــب على الدراســـة ولايؤمن بالوطنية ، بينما كان هو فى الواقع يبقى فى الكلية ليصنع هو وزميله محمد حلمى الجيار القنابل التى يستعملها الجهاز السرى فى ثورة

١٩١٩ .. » ، وذلك الى جانب ماكان يقوم به من جمع المعلومات اللازمة لعمليات الاغتيال وكان كما يقول . يحيى حقى وكان موظفا بقنصليةمصر باستانبول « بعبعا عند الانجليز يجيد الهرب ، هرب من ليبيا ثم الى استانبول حيث لقى حتفه بها سنة ١٩٣٠ عندما عثر على جثته مقتولا بطعنة خنجر »(٧٢) .

وكان لهذا الجهاز هيئة رئيسية أو مجلس أعلى ، مؤلف من عبد اللطيف الصوفانى مصطفى حمدى ، أحمد ماهر ، محمود فهمى النقراشى ، محمد شرارة ، عبد الرحمن الرافعى ، شفيق منصور(٧٣) ولهذه الهيئة فروع وبعض أصول رئيسية . فلكل عضو له أن يتصل بشخص واحد ليكون فرعا له ، ولكل شخص كفرع أن يكون اثنين كخلية والاثنان يتصلان بشخص واحد الذى يتصل باثنين ، وهكذا بذلك التدرج وشرط السرية المتناهية فى معرفة الأصول فليس للواحد الموجود فى فرع أن يعرف أحدا من الأصول الا اذا صرحت الجمعية له بذلك أو وافق العضو المتصل به لمصلحة ذات أهمية(٧٤) .

وكان عبد الرحمن فهمى على رأس هذا الجهاز حتى قبض عليه فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٠ وخلفه أحمد ماهر ، وبعد خروج عبد الرحمن فهمى من السجن فى عهد وزارة سعد زغلول الأولى ، اختلف مع سعد واعتزل السياسة مؤقتا(٧٥) .

وبنظرة فاحصة للجهاز السرى ، نجد أن للطلبة دورا ودورا أساسيا بدليل قيامهم بتنفيذ معظم العمليات وأخطرها منذ ١٩١٩ ، بل وأكثر من ذلك كانوا أعمدة أساسية فى التنظيم ، فلم يكونوا فقط فى المستوى القاعدى التنفيذى بل فى مستوى تحريك وتنظيم لمجموعات الطلبة بعد مستوى الهيئة العليا للتنظيم ، وسبق أن أشير الى ماكان عبد الحي كيره مسئولا عنه . وأضف الى ذلك ما كان يقوم به طالب

الطب محمد حفني كما جاء في مذكراته ، فهو على اتصال مستمر بالهيئة العليا وهو مايشير الى أهمية موقعه في التنظيم ، بل ان الدور الأول لمنزله كان مخزنا للمسدسات والقنابل التى استلمها من حسن كامل الشيشيني ، كما كان يتسلم أموال تمويل الجهاز من عبد اللطيف الصوفاني . .. وكان يعطيني المبالغ للتحركات وكان مجموع المبالغ التى أخذتهامنه ١٥ جنيها مرة وعشرة جنيهات مرة أخرى ، وكنا تلاميذ لانستطيع أن ندفع هذه المبالغ من مصروفاتنا الشخصية » كما كان يقوم ويشارك بتدريب أعضاء الجهاز على القاء القنابل(٧٦) .

بل وأكثر من ذلك فالتجنيد وهو عصب الحياة لأى تنظيم سرى، ومن أخطر مهامه كان مسئولاً عنه ويشارك فيه الطلبة ، وهذه المهمة الخطيرة يختار الجهاز السرى لها الطالب سيد محمد باشا (بمدرسة المعلمين) ، الذى أخذ فى تكوين الخلايا ، فعن المعلمين العليا سيد ومحمود عوضين طه ، وعن الجامعة الأهلية يوسف العبد وحسن الهلالى ، وصار هو ويوسف العبد يكونان خلية الاتصال بمندوبـــى الأرياف لتوصيل المنشورات وبيانات سعد زغلول ، وأستأجروا حجرة ببركة الفيل لطبع الجريدة السرية ، وتكونت لجان الطلبة الســرية من أسوان للقاهرة في كل مدينة ، وصارت هناك شبكة تحتية تنقل المعلومات والمنشورات فى زمن قصير ، ويوازيها لجان علنية للقيام بالأعمال الظاهرة(٧٧) .

ويبدو من ذلك أن موقع سيد فى الجهاز كان كبيرا ، فهو يشير أيضا إلى أنه اتفق مع الحاج أحمد جاد الله على أن يتولى العمال قسم الكفار أى الانجليز ، ويتولى الطلبة الخونة من المصريين . .. « ولتفقنا على هذه القسمة وسلمنا الحاج أحمد جاد الله مسدسين !

وكان لايمر أسبوع الا ويقتل الجهاز السرى للعمال ثلاثة من الجنود ! واختار العمال لهذه العملية منطقة الدراسة والحوض المرصود، (٧٨) ٠

ويبدو من ذلك أن الشباب ومنهم الطلبة كانوا عصب هذه الجمعيات السرية ، وشكلوا العنصر الحيوى للتنظيم ، وكان نشاط هذه العناصر الشابة على المستوى القاعدى للجمعيات بقيادة الوفد عاملا في تصاعد الحركة(٧٩) ، فلقد كان هناك تناسق فى الثورة بين العمل العلنى والعمل السرى يدعم كل منهما الآخر في سبيل تحريك القضية المصرية ، وكانت الظروف التى عاشتها مصر تحت وطأة الاحتلال صعبة ، فقد وضحت النوايا البريطانية فى ابقاء الاحتلال وعدم الاستجابة للمطالب المصرية فى الاستقلال التام ، واعتراف المجتمع الدولى بفرساى بالحماية البريطانية على مصر ، الى جانب المحاولات المختلفة لاجهاض الثورة من الداخل كالتواطؤ أو الخيانة ٠٠ كلها ظروف توجب العمل السرى والتنسيق بينهما أمر أوجب ، وهو ماكان فى ثورة ١٩١٩ ، والطلبة وهم الوتر الحساس للأمة تأثروا بهذه الظروف فانخرطوا فى العمل السرى ، ولاشك أنهم كانوا مدفوعين فى هذا الاتجاه بحب وطنهم معتقدين أنهم بذلك يؤدون واجبا وطنيا فاعتقدوا أنهم بقتل الانجليز يوجدون نوعا من الضغط على بريطانيا لتتساهل فى التسليم بالمطالب المصرية(٨٠) ٠

والى جانب هذا الجهاز السرى للوفد وجدت جمعيات سرية تألفت فى أقل من عام منذ اندلاع الثورة ، وليس هناك مايدل على خضوع هذه الجمعيات كلها لاشراف الوفد،وكان بعضها يتلقى العون من عبد الرحمن فهمى(٨١) ، وهذه الجمعيات هى :

١٠ ـ جمعية اليد السوداء ٠٠ يرأسها عبد الحليم البيلبسى

المحامى ، وأبو شادى بك ، مصطفى القاياتى ، ومحمود أبو العينين وعدد من الطلبة ، وغرضها اثارة الرأى العام واتلاف الأشياء التى يكلف تخريبها الحكومة الأموال ، فضلا عن جمع الأموال للحركة(٨٢) وكانت هذه الجمعية ترسل خطابات التهديد الى السياسيين الرجعيين ولقد وصل وهبه باشا خطاب تهديد بالحبر الأحمر وعليه المدفع وكلمة الفدائيين ورمز اليد السوداء(٨٣) ، ويذكر حافظ رمضان أنه عندما أغلقت المدارس عاد الى منزله « فوجدت أخى الأكبر مجتمعا ببعض زملائه من طلاب التعليمين المتوسط والعالى وأمامهم ورقة مطبوعة فيها نداء للساسة المنحرفين ، أن يعتدلوا أو يكون جزاؤهم الموت وقد عنون هذا النداء باسم « جمعية اليد السوداء » وبجانب هذا العنوان صورة تحمل مسدسا »(٨٤) · وكان سلاح المنشورات من أهم الأسلحة بعد غياب الصحافة وفى ظل الرقابة الصارمة ، وتكونت فرقة من الطلبة لاصدار هذه المنشورات من أبناء كبار الساسة والموظفين ، وكانت تضع المنشورات فى مخادع الآباء ، وحين تخاذل بعض الساسة أصدر الشباب منشورا يهددهم « بالموت جزاء التردد والتخاذل باسم اليد السوداء »(٨٥) ·

ولقد صدرت أحكام ضد مواطنين لتعاونهم مع جمعية اليد السوداء وهم فى معظمهم من الطلبة مثل الحكم على محمد أمين رأفت بالسجن سبع سنوات بتهمة حصوله على أموال لجمعية اليد السوداء فى السكة الحديد يوم ٣٠ مارس ، وعلى أحمد مصطفى حنفى بالأشغال الشاقة خمس سنوات بنفس التهمة وعدله القائد العام الى الاشغال الشاقة ٣ سنوات ، كما حكم على عبد الحميد حسن بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة وخفض الى عشر لطلبه مالا لجمعية اليد السوداء وضبط سلاح معه ، وفى المنيا حكم على جاد بباب بالأشغال

الشاقة المؤبدة وعدلت الى ١٥ سنة لأنه القى خطابات مهيجة وأذاع منشورات لجمعية اليد السوداء وحرض على مهاجمة الجنود البريطانيين فى أبى قرقاص(٨٦) ، وهذه الاحكام تشير الى حقيقتين ، الأولى : أن جزاء التعاون مع اليد السوداء كان شديدا ، وهو بالدرجة الأولى يدل على نشاط هذه الجمعية المنظم ضد الانجليز ·

الثانية : ان هذه الجمعية ليس مجالها القاهرة فقط ، بل امتد الى المدن المختلفة للقطر · وكان توزيع المنشورات السرية عموما فنا برع فيه الطلبة وأجادوه حتى حيروا السلطة العسكرية وعيونها المبثوثة فى البلاد ، فكان من أولئك الذى يتنكر فى زى متسول خرق الثياب ، وينطلق حاملا على ظهره خرجا لايحوى غير اكسرات يابسة من الخبز ، ويتوكأ على عصا عارى الرأس حافى القدمين متجها صوب الضواحى القريبة لبث الدعوة وتوزيع المنشورات على أهلها(٨٧) ·

ولما ضيقت السلطات على طابعى المنشورات ، أرسل أحد الطلبة لمدير المطبوعات منشورا وطنيا ملتهبا مشفوعا بمذكرة بخط يده يهديه فيه سلاما معطرا بالقنابل فقبض عليه وقام آخر بطبع منشورات باسم جماعة الانتقام ، وكان شيخا معمما وقبض عليه بالشبه ، فقام زملاؤه بلبس العمائم وعسكروا فى المحافظة ، يتلون الأوراد والأذكار ورفضوا الخروج الا بعد الافراج عن شيخ طريقتهم وأمام اصرارهم أفرجت عنه السلطات(٨٨) · ويذكر اللنبى فى تقريره الذى أرسله الى ايرل كيرزون فى ٢٠ ابريل ١٩١٩ أن اجتماعا حدث بالأزهر فى اليوم المذكور ، وخطب فيه أحد أعضاء جمعية « اليد السوداء » قائلا « ان الجمعية قد أدهشها ان تعلم أن هناك بين الموظفين من يريدون العودة الى عملهم ، وقال إن أى رجل يعود

الى عمله سواء كان عاملا بسيطا أو مسئولا كبيرا ـ سيعتبر خائنا وسيكون مصيره القتل »(٨٩) ·

٢ ـ **لجنة الدفاع الوطنى** ·· ومعظـم أعضـائها من اليد السوداء ، وهدفها تهييج الرأى العام ضد الحكومة وتحريض الشعب على ارتكاب الجرائم ضد السلطة العسكرية(٩٠) ·

٣ ـ **اللجنة المستعجلة** ··· وهدفها اثارة الرأى العام وتتلقى المساعدة المالية من عبد الرحمن الرافعى ورئيسـها حسن نافـع وابراهيم عبد الهادى(٩١) ، وتتكون اللجنة من عدد يتراوح بين ١٠ ، ١٢ عضوا وكلهم من الطلبة ، وقد تكونت لبطء العمـل فى لجنـة المدارس العليا التى كانت تمتد مناقشاتها عند وضع منشور ، لمدى قانونية هذه الكلمة أو ذاك · وكان من مؤلفيها محمد على جمال الدين ابراهيم الوصيف ، أحمد فريد خليفة ، عبد الحليم عابدين ، كامل عبد الشهيد ولكلهم من طلبة الحقوق وكان تأليف هذه اللجنة فى محل شاى صغير ، وكانت ذات نشاط كبير اذ فى بعض الأيام تصدر أحيانا ثلاثة منشورات ، فيعرض صاحب المنشور فكرته على زملائه وبعد موافقتهم يصدر المنشور ، وتولى عملية الطبع حسن سلامة ، أحمد فريد خليفة ·

والمصدر المالى لهذه اللجنة من الأموال الخاصة للأعضـاء ، وتبرعات من بعض الرجال المنتمين للوفد مثل د· نجيب اسكندر ، والى جانب ما يتبرع به من أمواله الخاصة كان يجمع التبرعات من موظفى معامل وزارة الصحة ومن سيد عبد الحميد سليمان طبيب العيون ، وقتذاك وحسين بك هلال وهو عضـو اللجنة المركزيـة للوفد ·

ولم يكن لها لائحة بل تكونت من مجموعة متفاهمة ، ومعظمهم

من كلية الحقوق وتولى فؤاد الأسيوطى الموظف بالبريد مهمة توزيع منشورات اللجنة فى المديريات • أما عن علاقتها بعبد الرحمن فهمى فكان له علاقة ببعض أفرادها •

ومن أشد المنشورات التى أصدرتها اللجنة منشورها للسلطان(٩٢) فقد لاحظ الطلبة ممالأة السلطان فؤاد للسلطات البريطانية فوجهوا اليه منشورا باسم اللجنة المستعجلة يقولون فيه :

« أين السلطان ؟ أفى السماء ينتقى من النجوم حليا وجواهر لزوجته العذراء ؟ (يقصد الملكة نازلى) أم فى الأرض السابعة ينتقى من سواد الطين مايسود به عيش المصريين التعساء ؟ أم فى قصر البستان يحيى الليالى الساهرة ويأكل اللحم الطرى ويعاقر بنات الحان وينادم الفتيات والفتيان ؟ أم فى قصر عابدين يحيى وفود الزوار ، حيث غرفات الاستقبال والتدخين ورجال المعية الأفاكين المخرفين •• ياعجبا ! أعراس تقام والأمة فى مأتم ومناحات •• »

وبعد أن يتعرض المنشور لحق الأمة فى عزله يقول « •••ان كان الأمر كذلك فهل فاته أن عروش القلوب قد خلعته من زمن ، واذا كان الانجليز قد وسوسوا اليه فهل نسى أن الأمة هى التى تنقده المرتب الباهظ ، وهى التى تصرف على هاته الولائم والمناعم ؟ ثم أما يكون له خير وأبقى ان يتشبث بمصر بمقدار ماينتفع منها ومن عرق أبنائها لاسيما وأن فى امكانيا عزله فى أى وقت ومتى آن الآوان •• »(٩٣)

وهذا المنشور بالغ فى الثورية فيحدد معسكر الثورة بأنه الشعب أو الأمة ومعسكر الثورة المضادة بأنه الانجليز والسراى ورجال المعية الأفاكين •

٤ ـ المصرى الحر ـ وهى جمعية تستـــتمد ماليتها من عبد الرحمن فهمى ، وكانت تصدر جريدة بهذا الاسم ، ومن الطبيعى أن يكون لها مطبعة سرية ويتلهف الناس على نشراتها(٩٤) ، وأعضاؤها من الطلبة ويقول الرافعى « وكان للطلبة جريدة سرية باسم (المصرى الحر) » ونظرا لاقبال الناس عليها أصدر الجنرال بلفن أمرا فى يونيو ١٩١٩ بعقاب كل شخص « يطبع أو يجدد أو ييسر أو يذيع أو يوزع أى نشرة أو صورة فوتوغرافية أو غير فوتوغرافية أو رمز أو أى شىء من هذا القبيل ، أو يحاول القيـــام بأى عمل من تلك الأعمال بقصد الاخلال بالنظام ، أو اثارة الشعور ضد نظام الحكومة الشـرعى يرتكب جريمـــة ضد الأحكـــام العرفية ·· » وكذلك من يحوزها(٩٥) · ولقد نشرت جريدة الغازيت فى ٢ أكتوبر ١٩١٩ حديثا حول « المصرى الحر » التى يحررها طلبة المدارس العالية بالقاهرة ويتولون توزيعها مجانا ، وقالت انه صدر منها حتى الآن خمسة أعداد وأشارت الى احدى مقالاتها عن استقلال مصر وفيه يتعرض المقال لثورة مارس وابريل ونتيجتها فى أن « العالم علم يقينا أن المصريين أمة تأبى الحكم الأجنبى وأنها ساعية فى سبيل استقلالها التام بكل وسيلة ممكنة ويعبر الوفد المصرى عن رأى الأمة المصرية وقد ضاعفت أعمال انجلترا الأخيرة مجهودات الوفد فى أوربا · ونحن نرفض كل مفاوضة فى شىء غير الاستقلال التام ، ونرفض مفاوضة اللجنة التى سترسلها انجلترا الى مصر فى شهر أكتوبر اذ كل علاقة بها تقلل من شأن حقوقنا »(٩٦) ·

ولاشك أن هناك حرصا كاملا فى تســـجيل كل مايمت بهذه الجريدة « المصرى الحر » والدافع لذلك من وجهة نظرى أن هذه الأوراق مدثورة ومصيرها الزوال ، وتسجيلها فى أى بحث هو خدمة للتاريخ الوطنى ، ولقد عثرت على العدد التاسع للمصـــرى

الحر مسجلاً بالكامل فى رسالة دكتوراه ويؤكد صاحب الرسالة أنه وجد هذا العدد عند الدكتور موسى عـــلام ، ولعله العـــدد الوحيد الموجود بمصـــر ٠٠ ومن هنا كان حرصـى على تسـجيله فى هذا البحث ٠

وتقع هذه النشرة فى ثمانى صفحات من حجـــم النشـــرات الخاصة التى تصدرها الهيئات والعنوان « المصرى الحر » وتحتها كلمة « لسان حال الطلبة » وتحتها عبارة « جريدة وطنية تعمل لنيل الاستقلال التام بكل الوسائل» ٠ على اليمين من أعلى عبارة لمصطفى كامل «لامعنى للحياة مع اليأس ولامعنى لليأس مع الحياة» ويقابلها من الجهة اليسرى الآية الكريمة «واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا» ٠ وفى الصفحة الأولى كان نداء الرئيس سعد زغلول الى الأمة وجاء فيه «يحاول الأقوياء بجميع الوسائل ان يأخذوا منكم رضاء بحمايتهم، ليزدادوا قوة ويزيدوكم ضعفا فلا تنخدعوا اذا خدعوكم ولاتخافوا اذا هددوكم واثبتوا على التمسك بحقكم فى الاستقلال التام ، فهو أمضى سلاح فى أيديكم وأقوى حجة لكم فان لم تفعلوا ، وليس فى قـوة ايمانكم الوطنى مايجعل احتمالا لذلك ــ خذلتم نصراءكم وأهنتـم شهداءكم وحقرتم ماضيكم وأنكرتم حاضركم ومددتم للرق أعناقكم وأحنيتم للذل ظهوركم وأذللتم بأمتكم ذلا لايرفع منه عزه وان تفعلوا ـ كما هو أكبر ظنى فى عظيم اخلاصكم وتمام اتحادكم وقوة وطنيتكم ـ فقد استبقيتم لأنفسكم قوة الحق ، وأعددتم لنصرتكم قوة العـدل فلا تذلوا ولو قهرتم ولاتخسروا ولو ظلمتم ، ولابد من يوم يعلو فيه حقكم على باطل غيركم ، وينتصر فيه عدل الله على ظلم خصومكم وتتحقق باذن الآله القادر آمالى وآمالكم فى الاستقلال التام » وكان تاريخ هذا النداء فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ أثناء تواجد لجنة ملنر فى

مصر . وفى نفس الصفحة تحية لمحمد فريد الذى توفى بالخارج والمقال يقول :

« ان من واجب الطلبة أن يقوموا بتأبين فريد بك خير قيام ، وهم الذين عرفوا فريدا فعرفوا فيه صدق العزيمة والاخلاص والنزاهة وانكار الذات وعلمهم فريد معنى التضحية ولقنهم دروس الوفاء ، نعم من واجب الطلبة أن يذكروا فريدا ، وهو الذى عاش من أجل مصر ومات فى سبيل مصر ، مات فريد ولكنه مات هادىء البال مثلوج الصدر ، لانه رأى أمته قد هبت من رقدتها ، فوكلت وفدها للدفاع عن قضيتها فما كان أسرعه (رحمه الله) فى مديد المساعدة الى وفدنا المحبوب ، فذلل كل عقبة وأخرس كل لسان .

نم يافريد هادئا مطمئنا فقد أصبح كل مصرى فريدا فى دفاعه ونضاله ، نم يافريد فقد أثمر غرسك ، وعما قريب يطيب جناه فنقطف ثمره .. نم يافريد ومدوفدنا المحبوب بروحك فجزاك الله عن أمتك وعن الانسانية وعن العدالة خيرا .. ولئن قل مانقش لك فى السطور فلقد كثر مانقش لك على القلوب » .

والمقالة الثالثة موجهة للسلطان فؤاد وتتميز بالصراحة والوضوح بشكل لايقل عن منشور اللجنة المستعجلة السابق بيانه لذات السلطان . ثورية وهو تقريبا نفس المضمون ، وكان الأمراء قد أصدروا بيانهم معبرين عن تضامنهم مع الثوار ، ومازال فؤاد فى معسكر الثورة المضادة مع الاستعمار ، ويكتب اليه الطلبة فى هذه الصحيفة مقالا موجها اليه بعنوان « لم يبق الا أنت » وجاء فيه :

« ألم يأتك أيها السلطان نبأ ذلك البلاغ الذى أصدره أصحاب السمو الأمراء ؟

ألم يأتك نبأ ذلك البلاغ الذى أثبت أن الأمة للأمراء وأن الأمراء للامة ؟ ، أو لم تعلم كيف قابلت الأمة ذلك البلاغ ، وكيف كان الأمراء يحملون على الأعناق ، وكيف ملئت الصحف بالثناء عليهم والشكر لهم ؟ أما علمت ياصاحب العظمة أن الملك انما يشاد على أعناق الأمة وأن قوة الشعب فوق كل قوة ؟ ولا بارك الله فى ملك يحذر رعيته ويخاف أمته ·

ان الملاك اذا ماخلصوا سلموا ، وكل قلب لهم يغنى عن الحرس الآن ياعظمة السلطان ولم يبق الا أنت بمعزل عن أمتك ، لأن حاشيتك تموه عليك ولأن بطانتك بطانة سوء فاعلم أن ملكك لايقوم الا على أسنة الانجليز ورماحهم ، ولكنه يكون بدماء المصريين وأرواحهم ، وأننا نربأ بمن يجرى فى عروقه دم الأسرة العلوية أن يقف موقفك الحالى ، موقف الذل والصغار ، موقفا يأبى أن يقفه أحقر عامل فى أصغر مصنع فأفق من غفلتك وعد الى رشدك ، وأعلم أن الأمة لاينقصها مثلك فهى فى غنى عنك ولكنك فى أشد الحاجة اليها ·· والسلام » · وتضمن العدد كلمة الى الكتاب ذوى الثقافات الأجنبية ، وأصحاب اللغات الأوروبية بالكتابة فى الصحف الغربية للرد ودحض مفتريات الانجليز ، ونص الكلمة « أسوق اليكم يا أرباب الاقلام كلمتى ، يامن تقرأون كل يوم المجلات والجرائد الأجنبية وتتحدثون بعباراتها من غير أن يتصدى أحدكم للرد على مفترياتها بلغاتها ، هاهى الجرائد الانجليزية تشوه كل يوم جمال القضية المصرية ، وتنقل عن المصريين أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان ، وتمسخ الحوادث وتلبس المصريين كل يوم ألوانا مختلفة من الثياب ، فتارة تمثلهم بالوحوش المفترسة وأخرى يعزون حركتهم الى الغلاء ، ومرة يرمونهم الاعتداء على الأجانب ، الأمور التى برهنت الحوادث على كذبها ·

لم نر بين المصريين وفيهم من يجيد اللغات الأجنبية من يتصدى لدحض مفتريات الصحف الانجليزية ، نعم قرأنا كثيرا فى جرائدنا فشكرا لتلك الأقلام التى لم تبخل بما تعرف ، وقد ضنوا بأقلامهم فى الأوقات التى نحن فى أشد الحاجة الى نفثاتها • ألم يدعنا الطلاب المصريون فى انجلترا الى الأخذ بناصـــرهم فى انشـاء صـــحيفة بالانكليزية يفرغون فيها جهدهم فى افهام الشعب الانجليزى حقيقة المصريين التى يجهلها ، ومنها الرد على كل أفاك يفترى علينا • فما لكم لاتكتبون وقد نزل جماعة من الصحفيين الأجانب الى بلادنا ليقفوا بأنفسهم على الحقائق ؟ ألا فلتتقوا الله فى بلادكم ولتشحذوا من أقلامكم ، وأوسعوا تلك الترهات والأباطيل تفنيدا حتى نفهمهم حقيقة الأمر ليأخذوا عنا أخبارا صحيحة غير مشـــوهة • اكتبوا باللغات الأجنبية فيكم ألا فليكن كل منكم أمين بك يوسف فى كتاباته وأعماله ولتملأوا صحفكم بمصر ولتبعثوا بمقالاتكم الى صحائف الغرب لتدرأوا عنا سهامهم ، فانهم يحاربوننا فى كل مكـــان بكل الوسائل ، فهيا اعملوا على تكذيبهم ودافعوا عن الحـــق وأزهقوا الباطل ان الباطل كان زهوقا » •

ويتضمن « المصرى الحر» مقالا طويلا عن أحد الخونة « زكريا نامق » يؤكد فيه أن عيون الثورة ترقبه ، ويعدد فيه أعماله الخائنة للقضية المصرية وأنه وأمثاله من الخونة لن يوقفوا المسيرة وتقول المقالة :

« الى المراوغ الكبير من خان أمه مصر وعق أباه النيل ، بـل الى يد التفريق التى ماكان أولاها أن تقطع ، وسلاح الباطل الذى ماكان أولاه ان يفل ويغمد الى زكريا نامق ، بل وكل جبان ذى وجهين يظن أن الوطن المفدى يباع بيع السلع أى زكريا •• صـــبرنا على دسائسك دهرا ، ومانحن باللائى يغمضون العين على قذى وتحملنا

مصابك ، ومانحن بالذين يبيتون على ضيم علك ترجع عن غيك أو تقف عند حدك ، ولكن أبى الله الا أن تسعى لحتفك بظلفك .

أى زكريا بينما كانت المجازر البشرية ومعاول الخراب تعمل فى قرى مصر الهادئة دون رحمة ولاشــفقة ، وبينما كانت الجنود الانكليزية البربرية تفسر لنا مدنية القرن العشـرين ، بما أتته من ضروب الوحشية تهتك الأعراض وتهلك الحرث والنسل وسياســة السلطة الغشومة تعيد بيننا تمثيل رواية دنشواى بأبشع مما كانت ـ رأيناك ـ وسط هذا المشهد الرهيب ـ تقيم الولائم لضباط الانجليز وتمد اليهم يدك الخسيسة لتصافح أيديهم المخضبة بدماء شهداء الحرية ، فقيل اذ ذاك كرم تعوده المصرى ولم يدر القوم أنك أردت أن تبنى مجدك بالنفاق والمداهنة . لعبت أيها الأفاك الأثيم دورك المشهور فى مسألة نادى بنى سويف ، وسعيت بلا كلل لانضـــمام الانجليز اليه بالرغم من أنه قائم للوطنيين فحسب . فنسب ذلك الى التسامح سجية المصرى ، وفات القوم يومئذ أنك تمهد الطريق للجنة ملنر الاستعمارية ، وتريد القضاء على كل مجهود وطنى لمقاطعتها بأنشاء صورة مصغرة لنادى الأعيان ، ولكن حمدا لله خاب فألــك وطاش سهمك لأن الله أراد أن يحمى الوطن من شرور المفسدين الذين اذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون .

قمت فى الحفلة التى أقامها قائد قوات المديرية ، تخطب فى الناس ضاربا على نغمة يعلم الله ويشهد التاريخ والناس أنها السموم القاتلة يعلوها طلاء المكر والخداع والتلاعب بالألفاظ ، فقال الناس لحسن ظنهم بك كياسة اكتسبها وحسن سياســة بل بعد نظر قل أن يجاريه فيه وطنى ، ثم طفت على عمد البلاد بنفسك تريد تنفيذ مارسم لك الانجليز من خطط الاستعمار والتفريق تحت ستار التواضــع

وحسن التفاهم ، فحسبوك تخطب ود مواطنيك وتدبر الأمر لصالح بلادك خفية ٠

مضيت يازكريا فى عملك تتلوى كالحية ٠٠ اطمأن الأهالى للين جانبك ورحنا نحن الشبيبة نرقبك عن بعد نخشى نفثات سمومك حتى كشف الله حقيقة أمرك وظهر للأمة جميعها سوء طويتك ، وماكنت تحفر لها من هوة سحيقة ، وما الله بغافل عما يفعل الظالمون،فكانت خاتمة روايتك ذلك الفعل الذى تجلت فيه خيانة الأوطان ، يوم قمت فى أعصب الأوقات وأحرج المواقف تمد يدك الأثيمة تبايع المغتصب على بيع مصرنا العزيزة ، وتحرك كلمتك لا لنصرة القضية المصرية بل بالخروج على الأمة ، والاستخفاف بقوة الرأى العام ؟ ٠٠ مرحى ٠٠ مرحى ٠٠ أيها المضلل الكبير اخطب ود الانجليز ماشئت وانفث سمومك بعد اليوم ما استطعت،فلقد عرفنا مقدار لين جانبك وأصبحنا على بينة من اخلاصك ووطنيتك ، فلم تعد تغرينا طلاقة اللسان أو تخدعنا زخارف الأقوال ، ولعمرى لو بلغ فكك الأعلى عنان السماء والأسفل مواطىء النعال من الأرض ، فلن تفلح فى التغرير بالرأى العام ولن تزحزحه قيد أنملة عن التمسك بمطلبه السامى « الاستقلال التام » ٠ وأنا لنربأ بأنفسنا أن نجاريك فى سخافاتك ٠٠٠ الأمة عامة وأهالى مديريتك خاصة عن أن تقع مرة أخرى فى شرك فخاخك ، أى زكريا ان مصر التى انجبت فى الشدة أبطالا عرفوا جمال التضحية ، فأردوا الخونة أمثالك ٠ لم تعد شبلا من أشبالها يخمد أنفاسك ، ويمنع ميكروباتك من أن تعكر جو مصر الصافى أو تنجس أديمها الطاهر ٠

ألا فليتجرع الخونة ماء النيل سما زعافا يفرى جوفهم ، ويطعموا خيرات مصر زقوما يفتت أحشائهم،ويتنسموا هواءها العليل

تودى بحياتهم بل ألا فلينظروا يوما لاينفعهم فيه افك ولابهتان يوم تزلزل الارض بما عليها يوم ينتقم من كل خائن دساس ، ذلك يوم الفصل ولايظلم ربك أحدا ولكن الناس كانوا أنفسهم يظلمون ٠

أما أنتم يا أهل بنى سويف ٠٠ فلاحيها وأغنياءها صغارها وكبارها ٠ انبذوا زكريا نبذ النواة ، وأطرحوه كما تطرحون الحذاء الخرق فقد أنفضح أمره وكشف الحق عن مؤامراته التى كان يدبرها فى طى الخفاء للايقاع بمصر التى أطعمته من جوع وأمنته من خوف يامن انبتموه بالأمس ليكون خير معوان لكم فكان شر سهم مصوب الى صدر أمته ، ولكن أبى الله الا أن يرد فى صدر راميه ، لاتخشوا فى الحق لومة لائم ، فلاتنادوا به بعد اليوم نائبا وقد خرج عليكم وقت الشدة ولتأخذوا من أمثال عمد بيا الأماجد المتفانين فى الاخلاص للوطن المفدى ، واصبروا وصابروا وسيروا الى ما تأملون بحكمة وشجاعة لاترهبكم فى سبيل الذود عن مصر تلك السلاسل والأغلال ولايحولنكم عن مبدئكم الأسمى الوعيد ولا التهديد فنعيش أحرارا أو نموت كراما » ٠

أما المقالة الأخيرة فى هذه الصحيفة الثورية فهى الى أغنياء مصر تحذرهم من تلاعب المستعمر من ابتلاعها ، أو استغلال سوء أحوالها للسيطرة عليها ، وتؤكد أن أساس الاستقلال السياسى الاستقلال الاقتصادى وهذه نظرة تقدمية فى ذلك الوقت ٠٠ والمقال غير كامل ولايوجد سوى مقدمته أو مطلعه ونصها ، « من المسائل الجوهرية فى استقلال الأمة أن تتمتع باستقلالها المالى ، فتتصرف فى شئونها العامة والخاصة بكل حرية ، ولقد كانت الديون العظيمة التى أثقلت كاهل الأمة المصرية فى عهد اسماعيل سببا فى الرقابة الدولية على أموال الحكومة بحجة ضمان سداد تلك الديون — والأمة العاملة على استقلالها استقلالا تاما ٠

أشترك فى السعى لنيله جميع طبقاتها من أمير وحقير وغنى وفقير ، يجب أن تشترك فى العمل الجدى لصيانة ذلك الاستقلال من الأعراض المادية التى طالما كان اهمال النظر فيها سببا فى ضياع ذلك الاستقلال الأمة العاملة بهذا الجد وهذا النشاط والتى يحمل أبناؤهـــا هذه النفوس الأبية النشيطة المضحية،والتى يتآزر جميعأفرادهافىالوقوف فى وجه كل عامل على اغتصـــاب حريتها الغـــالية يجب أن يكون اغنياؤها أكثر حذرا وحرصا ، وتنبها الى الوسائل التى يصطنعها المحتل للاطاحة باستقلالنا » ٠

وآخر ماتضمنته هذه الصحيفة تعليقا على افتتاح مدرسة ليلية لتعليم العمال وكان بعنوان علموهم جاء فيه « سرنا وسر كل مصرى ماقرأناه من انشاء مدرسة ليلية مجانية لتعليم العمال والصناع ، وزاد من سرورنا أن بعض الطلبة قد تبرع بتعليم أولئك العمال ، واننا نشجع صاحب المشروع ونمدح كل معضد له وبمثل ذلك ترقى الأمم »(٩٧) ٠

٥ ـ الشعلة ويرأسها مرقس حنا بك ونجيب باشا غالى ٠

٦ ـ المدارس العليا وأغلبية الأعضـــاء من الطلبة ، وقــد ضبطت ورقة مسطر فيها قانون هذه الجمعية وهو يتضمن ان العمل سرى ، وأن عمل الأعضاء اصدار المنشورات والحث على الاضراب والسعى فى الاطلاع على أسرار الحكومة ، وتهديد الخونة وان الجمعية مستمرة حتى خروج آخر جندى بريطانى من مصر ـ وكان الطلبة يدونون كشوفا بأسماء التجار الانجليز لمقاطعتهم ٠

٧ ـ جمعية مجلس العشرة

٨ ـ جمعية الخمسين(٩٨) ٠

أما جمعية الانتقام أو قضية الانتقام فالاهتمام بها راجع الى عدد الطلبة الكبير الذى شمله قرار الاتهام وهو يشير الى دور الطلبة فى التنظيمات السرية بل ان بعضها كان وقفا عليهم وأكد الكثير عدم وجود جمعية بهذا الاسم لعدة أمور :

أولا : ظروف القضية :

لقد كانت السلطات البريطانية تهدف من هذه المحاكمة القبض على العناصر الأكثر نشاطا فى الحركة الثورية ، وتقضى عليهم بمحاكمة عسكرية ومن جهة ثانية التاثير فى سير المفاوضات بين سعد وملنر ، وفى نفسية الشعب ، ازاء هذه المفاوضات وأثناء مناقشته للمشروع . فلقد بدأت مفاوضات سعد وملنر فى مايو ١٩٢٠ ، واستمرت واستخيرت الأمة فى المشروع فى سبتمبر ، وقد قبض على عبد الرحمن فهمى فى مايو واستمرت المحاكمة حتى ٦ أكتوبر ، ولكانت المحاكمة على أشدها عند مناقشة الأمة للمشروع ، وهذا التوافق الزمنى من الصعب الاعتقاد بأنه جاء وليد الصدفة بل العكس هو أمر مدبر لحمل جمهرة الرأى العام للتساهل فى قبول مشروع ملنر تخلصا من الاحتلال ومحاكماته العسكرية وأحكامه العرفية(٩٩) . ويؤكد ذلك أحمد شفيق اذ يقول بأن اللبنى صمم على محاكمة عبد الرحمن فهمى ومن معه رغم عدم كفاية الأدلة ، « لرغبة السياسة البريطانية ارهاب المصريين لتكشف لهم عن شدة بأسها »(١٠٠) .

لكما يحدد محمد كامل سليم وهو من القريبين لسعد زغلول أهداف هذه القضية فى أمور عدة : ــ

١ ــ حمل الرئيس سعد على التساهل وعدم التشدد فى

معارضة اقترحات ملنر ، باعتبار أن هذه المقترحات خير من العذاب الشامل للاستعمار ٠

٢ ــ ارهاب العناصر الثورية فى مصر بالقبض على زعماء الطلبة والعمال واعتقال كل من يتوسم فيه الانجليز نشاطا أو استعداد للعمل ضدهم واستئناف الثورة فى حالة فشل المفاوضات ٠

٣ ــ التأثير فى نفسية الشعب المصرى وروحه المعنوية العالية وحمله على قبول مشروع ملنر فهو أحسن من جبروت السلطات العسكرية وطغيان نظام محاكمها العسكرية ٠

٤ ــ افهام الوفد بلندن أن الانجليز هم المسيطرون على مصر، يفعلون بها وبأبنائها مايشاءون ، وافهام الشعب والوفد أنهم لايكترثون بهم ولايعبأون بغضبهم أو رضاهم ، وأنهم لايقيمون وزنا لمفاوضة الوفد أو موافقته أو رفضه فيما يخص هذه المفاوضات وأن المصريين وزعمائهم أهون عليهم مما يتصورون بهدف التأثير على الأمة والوفد(١٠١) ٠

الجانب الثانى ٠٠ التلفيقات وشهادة الشهود

فى مقابلة مع عبد الحليم عابدين أحد المتهمين فى القضية والطالب وقتذاك يؤكد أنه لم يكن هناك جماعة بهذا الاسم « الانتقام » وانها قضية أوجدها الانجليز لكل من له نشاط سياسى وأوجدوا هذا الشكل لتقديمه للمحاكمة(١٠٢) ٠ لكما أن توفيق صليب أحد المتهمين أيضا والطالب آنذاك يؤكد تلفيق هذه القضية فى ذكرياته والتى نشرت ١٩٣٦ فيقول « واختار الملفقون هذا الاسم وكانوا على صواب فى اختياره ، لأن القضية كانت بحق قضية انتقام ، ولكنه كان انتقاما من المقبوض عليهم ، وان اراد الملفقون أن يكون المقبوض عليهم

مأخوذين بتهمة الانتقام »(١٠٣) ، وهو مايوافق عليه عبد الرحمن فهمى فى مذكراته • وبلا شك أن عبد الرحمن فهمى وتوفيق صليب قد كتبا مذكراتهما بعد القضية وظروفها وكان فى امكانهما لو كان فى الأمر حقيقة لذكراها فى هذه المذكرات أو يشيرا اليها من بعيد أو قريب وهو ماينطبق أيضا على عبد الحليم عابدين فى روايته •

وفى الجلسة الخامسة والثلاثين فى ١٦ أغسطس ١٩٢٠ ينفى عبد الرحمن فهمى وجود هذه الجمعية ويؤكد عبد الرحمن عدم وجود صلة بينه وعبد الظاهر السمالوطى شاهد الملك فى القضية ، وأنه لم يره الا مرة واحدة ، وعن شهادته قال « هو كاذب فى كل ماقال »(١٠٤) •

وملاحظة جديرة بالاهتمام فان عدد المتهمين فى هذه القضية ٢٩ متهما ، لم يعترف واحد منهم بوجود الجمعية أو يقول كلمة واحدة ضد عبد الرحمن فهمى باعتباره قائد التنظيم سبيلا له للخلاص ، وهو ما ركز عليه دفاع عبد الرحمن فهمى المستر متشل فى الجلسة الثامنة والثلاثين فى ٢٢ سبتمبر ١٩٢٠(١٠٥) •

واعتماد القضية على شاهد واحد هو عبد الظاهر السمالوطى، ليس عامل قوة ويقول عنه محمد كامل سليم « انه جاسوس مأجور »(١٠٦) ، ويدحض توفيق صليب شهادة عبد الظاهر السمالوطى بأنه يعمل فى البوليس السياسى « والشغل فى البوليس السياسى وشاهد الملك لايجتمعان »(١٠٧) •

وخوفا من تلفيق القضية ضد عبد الرحمن فهمى أرسل بعد القبض عليه بأسبوع يطلب اعلانه بالتهمة المزعومة ، واجراء التفتيش فى غرف منزله المقفلة بحضوره(١٠٨) •

ويذكر عبد الرحمن فهمى أن هذه القضية رتبت فى منزل

الشريعى باشا ، ومطبعة جريدة الوطن بحضور كثير من المسئولين أمثال المستر شور نبلور مدير ادارة الأمن العام ، والبمباشى أبلت رئيس القسم السياسى واليوزباشى سليم زكى · ويشير الى سبب النفور بينه وبين الشريعى هو أن الأخير ذو عائلة كبيرة بسمالوط ، وكان عمدة البلدة فى الوقت الذى كان فيه عبد الرحمن مأمورا لهذا المركز . وكان يعامله كغيره من العمد خلافا لما تعودت عليه مثل هذه العائلات ممن سبقوه · وتدور الأيام ويصبح عبد الرحمن فهمى سكرتيرا للجنة الوفد المركزية ، وسعى الشريعى بايعاز من السلطة الانجليزية لتكوين الحزب الحر المستقل، ليتحدث باسم المصريين مع لجنة ملنر ولقد بذل عبد الرحمن فهمى الجهد فى سبيل القضاء على هذا الحزب ونادى الأعيان الذى قام على انقاضه · كل هذه الأمـــور دفعت بالشريعى لكى ينتقم من سكرتير الوفد ومن بعض الشبان الذيـــن ساعدوه فى القضاء على حزبه ونادى الأعيان ، فضلا عما عرف عن الشريعى من ميل الى السوء ومداهنة الحكام وتملقه لذوى السلطان «ويمكننا ان نعتبر بحق أن الشريعى باشا هو عماد هذا الاتهام فى هذه القضية ، فتقرير عبد الظاهر الذى قدمه للبوليس كتب بمنزله بحضور مدير الأمن العام ، ورئيس القسم السياسى كما أن الشريعى باشا هو الذى حمل التقرير وقدمه الى وزارة الداخلية ، والشريعى باشا أيضا هو الذى سعى سعيا حثيثا لدى المتهمين محمد لطفـــى المسلمى وحسنى الشنتناوى ليحملهما على أن يكونا شاهدى ملك ، ويقررا أمام المحكمة مايقره عبد الظاهر السمالوطى ، وهذا يظهر واضحا من أقوال بعض المتهمين وأقاربهم أمام المحكمة ·· »(١٠٩)·

ويحدد عبد الرحمن فهمى تلفيقات البوليس فى هذه القضية على النحو التالى : « أن عبد الظاهر السمالوطى ظل ببلدته حتى ٢٩ مايو ، وغادرها الى القاهرة بناء على تلغراف من وكيل الشريعى باشا ــ وقرر السمالوطى ذلك أمام المحكمة »

« فى المدة بين ٢٩ مايو حتى ٢ يونيو ١٩٢٠ وهو تاريخ تقديم تقرير عبد الظاهر الى الداخلية ، أعد أثناءها التقرير بحضور المستر هور نبلور ، والبمباشى أبلت . والثابت فى زيارة هذين الأخيرين لمنزل الشريعى باشا عدة مرات عديدة فى الأيام الثلاثة .

• استهلال عبد الظاهر تقريره للسلطات بقوله « انى أقدم هذا التقرير الى السلطات العسكرية بصفتى شاهد ملك » وهى كلمة لم يعرفها المصريون من قبل وهو مايؤكد املاء التقرير عليه ؛

• ان شهادة السمالوطى غير صالحة لكونه يعمل فى البوليس السرى .

• اجتماع بعض الشهود بمنزل البمباشى ابلت رئيس القسم السياسى (البوليس السرى) بحضور اليوزباشى سليم زكى وجندى بك ابراهيم صاحب جريدة الوطن كما جاء فى أقوال اسماعيل منيب شاهد الاثبات بالجلسة السادسة عشر .

• تردد بعض الشهود على البمباشى أبلت ، ووجود مكاتبات بينه وبينهم واعطائه بعضهم نقودا أكثر من مرة مثل اسماعيل منيب وعبد الظاهر السمالوطى ، كما يظهر من مناقشة الدفاع لاسماعيل منيب بالجلسة السادسة عشرة ومناقشة الدفاع لرسل بك بالجلسة الخامسة والسبعين .

• اختلاط ضباط البوليس السياسى بالشهود والتأثير عليهم ، وهو أمر واضح فى كثير من استجواب شهود الاثبات فى جلسات عديدة .

• حجز شهود الاثبات ببلوك الخفر بمحافظة مصر ، واختلاط ضباط القسم السياسى بهم بين آونة وأخرى ، ويتضح ذلك من مناقشة

الدفاع لسليم زكى بالجلسة الثالثة والعشـــرين ، وحتى لايغيروا شهاداتهم ٠

٠ الورقة المقدمة من بعض شهود الاثبات بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٢٠ ، بطلب المكافاة التى وعدوا بها للقيام بالشهادة التى طلبت منهم ومن هؤلاء عبد الظاهر ٠

٠ اثبات الدفاع صحة توقيع عبد الظاهر على الورقة السابقة رغم انكاره(١١٠) ٠

يضاف الى ذلك تراجع شهود الاثبات فى شـــهاداتهم كعزت عبد الله الطالب بالأزهر الذى أشار أن شهادته الأولى كانت بضغط من سليم زكى(١١١) ٠

ولقد صدرت أحكام هذه القضية متراوحة بين الاعدام والبراءة لمنير جرجس عبد الشهيد وثلاثة آخرين وكان الاعدام لعبد الرحمن فهمى والطلبة محمد لطفى المسلمى وعلى هنداوى ثم خفف الى السجن واختلفت مدد السجن بالنسبة لبقية المتهمين(١١٢) ٠

ومهما كان الأمر فمما لاجدال فيه ، أنه كان لهذه الجمعيات تاثير كبير فى مجرى الثورة ، فقد بسطت ســيطرتها على الحياة السياسية وهددت كبار الموظفين والوزراء وغيرهم ، ولم تكن أعمالها مقصورة على العمل السرى فقد كان أعضاؤها الموهوبون منهـــم يسهمون فى الخطـابة التى كانت تســـتثير الشـــعب فى وجـــه الاحتلال(١١٣) ٠ وظلت هكذا عنصرا قويا من عناصر الحركة الوطنية حتى كانت كارثة مقتل السردار فى نوفمبر ١٩٢٤.فانطفأ هذا اللون من الوان النضال الوطني في مصر لوقت طويل(١١٤)

محاولة اغتيال محمد بدر الدين

لم تتوقف العمليات بالقبض على عبد الرحمن فهمي ومن معه في قضية الانتقام فما زال أحمد ماهر والنقراشي وغيرهم أحرارا ٠

ففي ٥ يناير ١٩٢٢ كانت محاولة اغتيال محمد بدر الدين مراقب الجنايات بادارة الأمن العام باطلاق الرصاص ، وأصيب اصابة غير قاتلة(١١٥) ٠ وقام بالتنفيذ محمود النحاس الطالب بالمدرسة الالهامية وقتذاك ، والذى أشار فى مذكراته بأنه كان فى خلية عبد الحى كيره ، الذى ذكر لهم ضرورة التخلص من محمد بدر الدين لأنه أكبر الموظفين الذين يعتمد عليهم الانجليز فى الداخلية لقمع الثورة ، وساعد محمود النحاس ، محمود حنفى لاعطائه اشارة الضرب ، وكانت الخطة فى أن يقوم محمود حنفى بمراقبة خروجه من مسكنه واعطاء الاشارة عند خروجه بالتظاهر بالانحناء لربط الحذاء ٠ ولم تنجح محاولتى يوم ٣ ، ٤ ديسمبر ولكن تم اطلاق النار عليه فى ٥ يناير ١٩٢٢ ، وفر محمود النحاس ولم يجد الانجليز شاهدا واحدا على الرغم أن شارع الدواوين مقر الحادثة ، كان مزدحما بالمارة وأعلنت السلطة البريطانية عن مكافأة ٥٠٠ جنيه لمن يتقدم بمعلومات دون جدوى(١١٦) ٠

الاعتداء على ثروت باشا

بعد استقالة عدلى وضع ثروت شروطا لتولى الوزارة ولقد انتقدها الوفد لأنها لم تشر الى جلاء بريطانيا ، وأخذ الوفد فى هذه الأثناء على توسيع نشاطه ومضاعفة حركته(١١٧) ويذكر محمود النحاس الطالب بالالهامية ما أخبره به عبد الحى كيره من مفاوضات ثروت واللنبي حول شروط الوزارة من اعلان بريطانيا استقلال مصر

واعطائها نفس الحقوق التى كانت لها ، ولهذا قررت قيادة الجهاز اغتياله وكلف محمود حنفى للقيام بهذه العملية(١١٨) قبل تأليفه الوزارة وحدد للتنفيذ ٢٦ يناير ١٩٢٢ ، ولكن اكتشفت المحاولة وقبض على المتآمرين والمسدسات والقنابل التى اعتزموا استخدامها فى منزل بجنينة ياميش بحى السيدة زينب ، وأتهم فى هذه المؤامرة محمد حسن سعد عامل بمكتب الوفد ومحمود حنفى سامى طالب ، على رحمى طالب ، عبد الحكيم محمود طالب ، عبد الحليم غنيم ، عبد الحى كيره ، محمد حسن فرغل ، وحوكموا فى شهر مارس سنة ١٩٢٢ أمام محكمة عسكرية بريطانية قضت بحبس محمود حنفى ثلاث سنوات مع الشغل ، وحبس كل من على رحمى ، ومحمد حسن سعد سنتين مع الشغل(١١٩) • وقد قرر هذه العملية عبد اللطيف بك وماهر وعبد الرحمن الرافعى وشفيق منصور ووافق عليها النقراشى وانتدب ماهر عبد الحى كيره لهذا الغرض ، واختار تبعا لذلك الأشخاص اللازمين للعملية وأبلغ عنهم فرغلى وهرب عبد الحى كيره بعد ذلك(١٢٠) •

وقد أصدرت محافظة العاصمة بلاغا رسميا بهذه المحاولة ، وقد جاء فيه « ظل بوليس القاهرة بضعة أيام بناء على ماتلقاه من المعلومات يراقب جماعة من الطلبة كانت تتخذ التدابير للاعتداء على حياة معالى عبد الخالق ثروت باشا •• »(١٢١) •

هوامش الفصل الثالث

(١) عبد العزيز رفاعى : ثورة ١٩١٩ ص ١٤١ .

(٢) الطليعة مارس ١٩٦٩ .

(٣) عبد العزيز رفاعى : المرجع السابق ص ١٤١ .

(٤) الطليعة مارس ١٩٦٩ .

(٥) محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٢٠٢ .

(٦) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ص ١٦٠ .

(٧) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ٢ ط ١ ص ٦١ .

(٨) عبد العزيز رفاعى : الكفاح الشعبى فى مصر الحديثة ص ٩٨ .

(٩) Berque Jacques., op. cit., P. 233.

(١٠) مصطفى أمين : الكتاب الممنوع جـ ١ ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٧٧ .

(١١) Russell., op. cit., P. 115.

(١٢) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦١ ، ١٦٢ ؛

(١٣) محمد أنيس : المرجع السابق ص ٢٠٩ ، ، ٢١٣ .

(١٤) نفس المرجع ص ١٠٥ ، ٢٠٨ .

(١٥) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٢ .

(١٦) نفس المرجع ص ١٦٢ .

(١٧) احمد شفيق : الحوليات ــ تمهيد جـ ١ ، ص ٧١٣ .

(١٨) محمد أنيس : المرجع السابق ص ٥١ ، عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٣ .

(١٩) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٣ .

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢١) مصطفى أمين : المرجع السابق ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢٢) نفس المرجع : مذكرات محمد خليفة ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢٣) وادى النيل ٢٤ ديسمبر ١٩١٩ .

(٢٤) مصطفى أمين : المرجع السابق ص ١٥٢ ــ ١٥٤ .

(٢٥) محمد شكرى الكرداوى : خمسة وخمسون شهرا فى مخبأ ص ٤ .

(٢٦) مصطفى أمين : المرجع السابق مذكرات سيد على محمد ص ١٤٠ .

(٢٧) نفس المرجع ص ١٤٤ .

(٢٨) محمد شكرى الكرداوى : المرجع السابق ص ف .

(٢٩) نفس المرجع ص ض ــ ق .

(٣٠) مصطفى أمين : المرجع السابق مذكرات سيد على محمد ص ١٤٧ ــ ١٤٨ .

(٣١) الأهالى ٢٤ ديسمبر ١٩١٩ .

(٣٢) محمد شكرى الكرداوى : المرجع السابق ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣٣) الأهالى ٢٥ فبراير ١٩٢٠ .

(٣٤) محمد شكرى الكرداوى : المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣٥) وادى النيل ٢٦ فبراير ١٩٢٠ ، الكرداوى : المرجع السابق ص ٥٧ .

(٣٦) أحمد شفيق : الحوليات ــ تمهيد جـ ١ ، ص ٥٣٥ .

(٣٧) وادى النيل ٢٧ فبراير ١٩٢٠ ، الكرداوى : المرجع السابق ص ٥٨ .

(٣٨) الكرداوى : المرجع السابق ص ١٨٤ ــ ١٨٨ .

(٣٩) Zayid M., op. cit., P 90.

(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٦٩ ، سيد قنديل : ثورة ١٩١٩ ص ٥١ .

(٤١) مصطفى أمين : المرجع السابق رسالة عريان ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤٢) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ص ٤٣٤ .

(٤٣) سيد قنديل : المرجع السابق ص ٥٢ .

(٤٤) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٩٣ .

(٤٥) قضية السردار : مذكرات شفيق منصور عن الجمعيات السرية ص ١٥ .

(٤٦) مصطفى أمين : المرجع السابق رسالة عريان ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٤٧) حسين مؤنس : دراسات فى ثورة ١٩١٩ ، القاهرة دار المعارف ١٩٧٦ ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٤٨) مصطفى أمين : المرجع السابق رسالة عريان ص ١٣٥ .

(٤٩) النظام ١٧ ديسمبر ١٩١٩ .

(٥٠) الافكار ١٨ يناير ١٩٢٠ .

(٥١) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ص ٩٣ .

(٥٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ١٤٤ .

(٥٣) وادى النيل ١٥ يونيو ١٩٢٠ .

(٥٤) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٥٥) مصطفى أمين : المرجع السابق ص ١٦٠ .

(٥٦) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٨٤ .

(٥٧) Chirol V., op. cit. PP. 286,287.

(٥٨) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٥٩) مصطفى أمين : المرجع السابق : مذكرات عبد القادر شحاته ص ١٦٦ - ١٧١ .

(٦٠) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ، ص ٦٦٥ .

(٦١) الأهالى ٢٣ فبراير ١٩٢٠ .

(٦٢) عبد الرحمن فهمى : المذكرات محفظة ٢ ملف ٦ ص ٨٧٩ .

(٦٣) مصطفى أمين : المرجع السابق : مذكرات عبد القادر شحاته ص ١٧٢ .

(٦٤) وادى النيل ٢٥ مايو ١٩٢٠ .

(٦٥) الأهالى ٢٥ مايو ١٩٢٠ .

(٦٦) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ١٤٩ .

(٦٧) مصطفى أمين : المرجع السابق ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٦٨) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٦٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ٦٨٩ ، ٦٩٠ .

(٧٠) قضية السردار : مذكرة شفيق منصور ص ١٦ .

(٧١) Russell., op. cit., P. 217.

(٧٢) مصطفى امين : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٧٥ - ١٧٧ ، ٣٦٣ ، ٣٧١ .

(٧٣) عبد العزيز رفاعى : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ص ١٤٤ .

(٧٤) قضية السردار : مذكرة شفيق منصور ص ١٢ ، ١٣ عبد العزيز رفاعى : المرجع السابق ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٧٥) عبد العزيز رفاعى : المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٧٦) مصطفى امين : المرجع السابق جـ ١ مذكرات محمد حنفى ص ١٧٥ - ١٧٧ .

(٧٧) نفس المرجع : مذكرات سيد باشا ص ١٩٧ - ٢١٢ .

(٧٨) نفس المرجع ص ١٩٧ - ٢١٢ مذكرات سيد باشا .

(٧٩) Quraishi Z., op. cit., P. 78.

(٨٠) أحمد فريد على : العلاقات المصرية البريطانية رسالة دكتوراه ص ٤٠٦ .

(٨١) عبد العزيز رفاعى : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، ص ١٤٥ .

(٨٢) سعيد اسماعيل على : المجتمع المصرى فى عهد الاحتلال ص ٦٥٠ .

(٨٣) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٨٤) حافظ رمضان : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر ص ١٥٧ .

(٨٥) المصور ٧ مارس ١٩٦٩ .

(٨٦) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٥٢ ، ٥٤ .

(٨٧) عباس حافظ : مصطفى النحاس ص ٢٢٠ .

(٨٨) المصـور ٧ مارس ١٩٦٩ ؛

(٨٩) الأهرام : ٥٠ عاما ص ٣٢٧ ٠

(٩٠) عبد العزيز رفاعى : المرجع السابق ص ١٤٥ – ١٤٦ ، سعيد اسماعيل على : المرجع السابق ص ٦٥١ ، عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٩ ٠

(٩١) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٩ ٠

(٩٢) لقاء مع عبد الحليم عابدين ١٩٧٦/٦/٢٣ ٠

(٩٣) المصـور ٧ مارس ١٩٦٩ ٠

(٩٤) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٩ ٠

(٩٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجـع السـابق ص ٣٠ ، الأهـالى ٢٣ يونيو ١٩١٩ ٠

(٩٦) النظـام ٣ أكتوبر ١٩١٩ ٠

(٩٧) عبد الصبور مرزوق : أدب ثورة ١٩١٩ رسـالة دكتوراه جامعة القاهرة ص ٣٦٥ – ٣٧٢ ٠

(٩٨) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٧٠ ٠

(٩٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٥٦ ٠

(١٠٠) أحمد شفيق : المرجع السابق تمهيد جـ ١ ، ص ٧١٨ ٠

(١٠١)- محمد كامل سليم : صراع سعد فى أوربا ، كتاب اليوم القاهرة ١٩٧٥ ص ٣١ ، ٣٢ ٠

(١٠٢) مقابلة مع عبد الحليم عابدين ٢٣ يونيو ١٩٧٦ ٠

(١٠٣) روزاليوسف ٦ يناير ١٩٣٦ ٠

(١٠٤) عبد الرحمن فهمى : المذكرات المحفظة ٥ ملف ٣٥ ص ٣٧٣٤ ، ٣٧٤٠ ، ٣٧٤٢ ٠

(١٠٥) نفس المصدر : المحفظة ٦ ملف ٤١ ص ٤٤٣٩ .

(١٠٦) محمد كامل سليم : صراع سعد فى أوربا ص ٣١ .

(١٠٧) روزاليوسف ١٢ يناير ١٩٣٦ ذكريات توفيق صليب .

(١٠٨) عبد الرحمن فهمى : الذكرات المحفظة ٥ الملف ٣٥ ص ٣٧٢٣ .

(١٠٩) نفس المصدر : محفظة ٦ ملف ٤٢ ص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(١١٠) نفس المصدر : محفظة ٦ ملف ٤٣ ص ٦ — ١٠ .

(١١١) نفس المصدر : محفظة ٥ ملف ٣٥ ص ٣٦٣٣ .

(١١٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٥٦ ، ٥٧ .

(١١٣) عبد العزيز رفاعى : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، ص ١٤٧ .

(١١٤) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٧٥ .

(١١٥) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ١ طبعة ٣ ص ٣٣ .

(١١٦) مصطفى أمين : المرجع السابق ج ١ ص ١٨٠ — ١٨٣ .

(١١٧) Quraishi Z., op. cit., P. 71.

(١١٨) مصطفى أمين : المرجع السابق ص ١٨٤ .

(١١٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٥٢ ، النظام ٩ مارس ١٩٢٢ .

(١٢٠) قضية السردار : تقرير شفيق منصور ص ١٦ .

(١٢١) احمد شفيق : الحوليات تمهيد ج ٢ ص ٧٠٦ — ٧٠٨ ، مصر ٢٩ يناير ١٩٢٢ .

الفصـــل الرابــع

الطلبة المصريون فى الخارج ١٩١٩ ــ ١٩٢٤

- الدعوة للقضية المصرية
- مع الوفد المصرى بباريس
- لجنة مشروع ملنــر
- الخلاف بين سعد والطلبة
- ســعد وعــدلى
- نفي سعد زغلول الى سيشيل
- شروط ثروت لتأليف الوزارة
- تصريح ٢٨ فبراير

سبق الاشارة الى تكوين جمعيات الطلبة بالخارج وتأسيسها فى بلدان أوربا المختلفة من هؤلاء الذين يتلقون تعليمهم هناك ، وعن علاقة الحزب الوطنى القوية بهذه الجمعيات ، على اعتبار الدور الكبير الذى بذله فى تكوينها ، حتى كانوا يستشيرون مباشرة الزعيم محمد فريد فى كثير من الأمور ، وسنتناول هذا الفصل موقف ودور هؤلاء الطلبة من القضايا والأحداث القومية فى هذه الفترة التاريخية .

أولا : الدعوة للقضية المصرية :

١ ـ قبل وصول الوفد الى باريس

من الطبيعى أن يقل أو ينعدم دور هذه الجمعيات أثناء الحرب ، وبمجرد انتهائها يدرك المصريون فى فرنسا وانجلترا دورهم الخطير ـ رغم معاملتهم القاسية والرقابة الشديدة لهم فى فترة الحرب ـ ازاء القضية المصرية(١) . فلقد كان غرض تكوين الجمعيات ـ لاسيما فى باريس ولندن ـ هو تنوير الرأى العام الانكليزى والفرنسى بخصوص القضية المصرية ونفى مايقال أو ينشر كذبا مستعملين فى ذلك طرق الدفاع بالنشر فى الجرائد ، وطبع المنشورات وتوزيعها

على أعضاء مجالس النواب وقناصل الدول ومحررى الصحف والجمعيات المشهورة ، أو بارسال مندوبين من الأعضاء الى جميع الأحزاب في لندن وباريس وبهذه الكيفية ابتدأ الناس يدركون شيئا عن حقيقة المسألة المصرية التى كان معظمهم يجهلها تماما(٢) . وكان هؤلاء الشبان يقتصدون من نفقاتهم ويوفرون حتى من طعامهم لخدمة بلادهم(٣) . وهنا أشير الى حقيقة قبل التعرض لها تفصيليا ، وهى أن كثيرا من أفراد هذه الجمعيات تأثروا بالافكار اليسارية ، كأفكار حسين نامق فى جامعة اكسفورد التى تأثرت بأفكار حزب العمال البريطانى ، وكذلك الطلبة فى البلدان الأخرى تأثروا بأفكار الأحزاب الاشتراكية ، كعصام ناصف ، عبد الفتاح القاضى وغيرهم بالمانيا ، بل ان جمعية باريس تأثرت بالتيار اليسارى بفرنسا ... الخ(٤) .

وبدأت جمعية الطلبة ببريطانيا باستئناف نشاطها عند انتهاء الحرب ، وجمعوا أموالا بلغت مئات قليلة ، أرسلوا قسما منها لجمعية باريس ، باعتبارها مركزا للحركة بجوار مؤتمر الصلح ، واستعانوا بالكثير ممن يعطفون على الأمانى المصرية ، مثل ولفرد سكاون بلنت ، والمستر روبرتسن عضو البرلمان ، واستخدموا أقلاما كبيرة فى عالم الكتابة ، وكتبوا عدة كراسات ونشرات عن المسألة المصرية وطبعوا منها الألوف ووزعوها فى كل مكان(٥) .

وفى أوائل يناير ١٩١٩ أرسل الطلبة المصريون بانجلترا الى مؤتمر الصلح عريضة ، أشاروا فيها الى تصريحات دول الحلفاء ، خصوصا بريطانيا وأمريكا ، والتى تشير الى أنهم لم يخوضوا غمار الحرب ، الا لصيانة المصالح للأمم الضعيفة وتحريرها من استعمار الأقوياء ، وأنهم لذلك وبالنيابة عن كل المصريين ببريطانيا العظمى ، يطلبون أن ينظر المؤتمر فى القضية المصرية . وأخذوا يذكرون حق مصر فى الاستقلال باعتبارها كانت تابعة للدولة العثمانية ، وبالتالى

يطالبون بتقرير المبادىء التى ستطبق عليها على مصر ، وأن الحماية البريطانية على مصر باطلة قانونا ، الا اذا تأكـد حق الفتـــح وهو ماترفضه دول الحلفاء ومن بينهم بريطانيا ، وتؤكد بدله حق تقرير المصير ، وان مصر تعدت المرحلة التى تحتاج فيها للوصاية الأجنبية، وأصبحت قادرة على حكـم نفســـها و « باســـم الحرية والمبادىء الديمقراطية نرفع صوتنا هذا للدول العظمى،وعلى الأخص لبريطانيا وأمريكا مؤملين بقلوب ملؤها الثقة الوطيدة أن تساعدنا على تحقيق غرضنا المنشود من زمن طويل ، وهو تحرير بلادنـــا تحريرا تاما واستقلالها استقلالا مكفولا بضمانة الدول ، كما سيكون الحال فى شعوب أوربا الضعيفة ، وذلك تطبيقا لمبادىء الحق التى رســـمها الرئيس ولسن ونادى بها الجميع »(٦) ٠

أما جمعية باريس فقد بدأ النشاط بها ، اثنان من الطلاب هما عبده جودة وخليفة بوبلى ، وكان ذلك فى قهوة سورس الواقعة بشارع سان ميشيل ، اذ اقترح الأول على الثانى أن يرسلا خطابا الى الرئيس الأمريكى ولسن ، يبسطان فيه الأمانى المصرية ، وكان ذلك فى ١٨ ديسمبر ١٩١٨ ولقد توسط فى توصيل هذا الخطاب الى ولسن النائب الاشتراكى موتيه ، الذى دعاهما لمقابلته فى مجلس النواب وناقشهما فى مركز مصر السياسى ، حتى اقتنع بعدالة القضية ، وقبل أن يتحدث مع الكولونيل هاوس فى الأمر ، وأن يرفع خطابهما لولسن ٠ وكان لهذا النجاح المبدئى أثر فى تشجيع زملائهم، صبرى الخولى ، محمد سعيد ، الدكتور محمود والى ، وطراف وعباس وهبى ، والدكتور شافعى فى مشاركتهم فى التوقيـــع على الخطاب ، وقرروا تكوين جمعية مصرية تسعى للحصول على استقلال مصر ٠ ونظرا لأن أثر الحرب مازال قائما ، فلم يكن الوقت مناسبا للدعاية ضد انجلترا مباشرة ، بل جعلوا غايتهم فى البداية تفهيـم

الدوائر الفرنسية مسألة تغيير المحاكم المختلطة واستئصال اللغة الفرنسية من مصر(٧) • ولم يكن الأمر سهلا ، فقد لقى بعضهم بعض المضايقات البوليسية ، ولكنهم رأوا أن الوقت لايسمح بالتردد ، فأقدموا وسجلوا جمعيتهم وجعلوا لها هدفا يتمثل فى زيادة الرابطة الودية بين مصر وفرنسا ، واطلاع الرأى العام في فرنسا ومؤتمر الصلح علي حقائق القضية المصرية(٨) •

وحاولت الجمعية أن تجد لها نصيرا فى باريس ، فلم تجد سوى اليسار الفرنسي ولقد كان التقاء هذه المجموعة باليسار الفرنسي ، أمرا طبيعيا فكل من عبده جودة وخليفة بوبلى وهما من مؤسسى الجمعية ، كانا منذ ١٩١٨ عضوين فى الحزب الاشتراكى الفرنسى • وكان مجال الجمعية فى الخطابة أو فى عرض القضية فى اجتماعات الحزب الاشتراكى الفرنسى ، خصوصا جناحه اليسارى وعلى صفحات الومنتيه ، وفى خطب مارسيل كاشان أحد قادة الحزب كان التأييد المتزايد للقضية المصرية(٩) • والى جانب جريدة الومنتيه نشرت الجمعية آراءها فى صحف أخرى ، مثل ليرا ، البوبولير والباترى والفيفارو ، الفكتور ، الفرتيه ، الجوررنال ، اللبرتيه •• الخ كما استخدموا شركة راديو لنشر أخبارهم أحيانا ، وساعدهم على ذلك خيرالله افندى وهو سورى كان يشتغل فى الطان ، ثم تركها وعمل بشركة راديو(١٠) • كما تردد أعضاء الجمعية على المجتمعات المختلفة والمحافل الماسونية ، يدعون فيها لاستقلال مصر منها محافل العلم والضمير ، ومحفل أورشليم الايقوسى ، ومحفل الجمهورية ، وبعض أعضاء مجلس الشيوخ والنواب والمحفل المختلط للحق البشرى وكذلك الاجتماعات الاشتراكية المختلفة(١١) •

ولقد نشرت جريدة لير L'Heure ، الكتاب الذى أرسلته الجمعية الى الرئيس ولسن ، ووصلت بعض اعداد منها الى مصر ،

فعرف الوفد من ذلك أن بباريس جمعية مصرية تدافع عن القضية ، فأرسل لهم سعد بعض الأوراق مع مصريين التقيا بأعضاء الجمعية بقهوة سورس ، وهى مركز تجمع الطلبة المصريين ، وهو ماشجعهم على الاستمرار فى جهادهم ، وطبعت الجمعية منها ١٠٠ نسخة نظرا لماليتها ووزعوها على الساسة والصحافة ، ولتحاشى عملية الرقابة فى نشر كراستهم عن القضية المصرية جعلوها خاصة ولايجوز نشرها ؛ وأرسلوا منها لمؤتمر الصلح ، وكان لهذا صداه فى الصحف الكبيرة كجريدة الطان وجريدة التيمس(١٢) ٠

ومما قامت به الجمعية كذلك ، أنها قدمت احتجاجات على عدم تمثيل مصر فى مؤتمر الصلح ، الى الأعضاء ومجلس النواب والساسة والصحافة وأثاروا حملة كبيرة فى مجلة أوربا الجديدة L'Europe Nouvelle التى كان يديرها فان كوستر(١٣) ٠

وعندما وصلت أخبار مصر الى باريس ، أخذت الجمعية تنشر الاحتجاجات بشركات الراديو كبارى تلجرام ، كما احتجت على اعتقال سعد ، وأرسلت احتجاجها الى جميع رؤساء الأحزاب ، والجمعيات السياسية ورؤساء الوزارات السابقة ومؤتمر الصلح وساسة البلاد الأخرى ٠

وبينما كان مارسل كاشان ـ زعيم الحزب الاشتراكى ورئيس تحرير الأومانتيه ـ يلقى محاضرة فى صالة الجمعيات العلمية على الطلبة الاشتراكيين وتعرض للقضية المصرية ، طلب من الجمعية انتداب أحد أعضائها ليشرح للطلبة أبعاد القضية المصرية وتم ذلك ، وتأثر السامعون بما سمعوه وصاحوا « لتحيا مصر » ، وانصرفوا وهم ينشدون نشيد العمال الدولى ، كما طلب المسيو كاشبان من الجمعية بأن ترسل عضوين أو ثلاثة ، يتولى تقديمهم لبعض رجال

وفد الصلح الأمريكى المقربين للرئيس الأمريكى والكولونيل هاوس ، فعهدت الجمعية الى الدكتور شافعى وعبده جودة بهذه المهمة ، وكان ذلك بداية الجهود المصرية لدى الدوائر السياسية الأمريكية ، كما أن أعضاء الجمعية سعوا لتوثيق صلتهم بالأمريكيين،وكان يفد عليهم كل يوم ضابطان أو ثلاثة من الضباط الأمريكيين الملحقين بالوفد الأمريكى ، لأخذ بيانات عن القضية المصرية(١٤) . كما طلبت الجمعية مقابلة الرئيس ولسن واعتذر سكرتيره لسفر الرئيس لبلاده ، وتأخر دعوة الجمعية مما تعذر تحقيقها(١٥) . كما قام أحد أعضاء الجمعية بناء على دعوة الاستاذ كدركوس المحامى سكرتير شعبة حزب حقوق الانسان ، بالقاء محاضرة على مندوبى اتحاد السين . وفى نفس الوقت كان فريق اليسار فى حزب حقوق الانسان ، يفكر فى تأليف حزب مستقل يسمى حزب الحقوق الانسانية ، يعمل لمبدأ حماية حقوق الشعوب وحماية ومساعدة الشعوب المستعبدة ، وقد قبل الاستاذ باركسيو الذى كان يضطلع بالدور الاساسى فى تكوين هذا الحزب ، أن يكون أول اجتماع له مناقشة القضية المصرية ، وقبلت جمعية باريس ذلك ، ووضع تنظيم الاجتماع برئاسة كاشان ، ولكن اطلاق سراح سعد جعل الجمعية تفضل عقد الاجتماع بحضور سعد زغلول(١٦) .

٢ ـ مع الوفد المصرى بباريس :

وعندما سمح للوفد بالسفر الى باريس ووصوله اليها ، كانت الجمعية تتكون من ٢٨ عضوا ، ولها لجنة تنفيذية كانت مؤلفة من الدكتور شافعى سكرتيرا وخليفة بوبلى مساعدا له ومحمد سعيد أمينا للصندوق والدكتور والى وطراف مستشارين ، ولجنة لنشر الدعوة والاهتمام بالكتابة بالصحف وغير ذلك ، وتتألف من والى وشافعى ومن عضوين احتياطيين هما عباس وهبى وانطون فرج ، ويتولى

رئاسة الجلسات الدكتور والى لأنه أكبر الأعضاء سنا ، ولقد ضمت الجمعية الى عضويتها محمود أبو الفتح المرافق للوفد بباريس(١٧) .

وأحسنت الجمعية استقبال الوفد ، وأقامت حفل شاى لدى وصوله باريس فى ١٩ ابريل ١٩١٩ ، تكلم فيها الدكتور والى ورئيس الوفد بالنيابة عن زملائه ، كما تكلم أحد أعضاء الجمعية عن تاريخها وأرادت الجمعية أن تخلد هذا الحادث العظيم ، وهو وصول وفد موكل عن الأمة لخدمة مصر الى باريس ، فى ميدالية قام بصنعها مختار النقاش وأحد أعضائها لتقدم لرئيس الوفد ، وصمم مختار الميدالية فصور باريس بحسناء فرنسية يدها فى يد حسناء تمثل مصر بملابس مصرية ، وتشير باليد الأخرى دليلا على الترحيب وهى باسمه ، وبالميدالية برج ايفل وكتب على يمين الصورة ، باريس ترحب بالوفد المصرى بالعربية والفرنسية وفى أسفل الصورة باللغتين كذلك كتبت عبارة « مقدمة من جمعية باريس المصرية الى الوفد المصرى »(١٨) .

وعندما نظم الوفد صفوفه بباريس وكون ثلاث لجان للمالية ، وللنشر وللحفلات ، استعان ببعض الأجانب والطلبة المصريين لمعاونته فى أعمال الطبع والنشر(١٩) ، كما تطوع الطلبة المصريون بعد وصول الوفد لأداء مايكلفون به(٢٠) .

وعندما يعترف بالحماية البريطانية على مصر من قبل الرئيس ولسن ومؤتمر الصلح ، تحتج الجمعية عليهما فى ٢٤ أبريل ، ٩ مايو ١٩١٩ وجاء فى الاحتجاج الأخير بأن هذا الاعتراف هو حكم بالاعدام على الشعب المصرى ، ولايمكن أن يمر هذا العمل الاستبدادى دون أن يثير نفور الشعب واحتجاجه الشديد ، أمام الضمير الانسانى . وتضمن الاحتجاج ما أدته مصر اثناء الحرب . وجاء فى ختامه « فباسم هذا الشعب الذى أخمدت صوته قوة

الأسلحة بغير شفقة ، نحتج أمام الانسانية جمعاء على الاعتراف بالحماية الانكليزية على مصر »(٢١) . كما ارسلت برقية احتجاج الى رئيس مؤتمر العمال الانكليزى الذى عقد فى ساوثبورت فى ٢٧ يونيو ١٩١٩ ، والذى حضره مندوبون لعمال الدول الأخرى ، كما أرسلت صورا لها الى هندرسن ، رامزى ماكدونالد ، وذودول الزعيم الفرنسى ، برانتنج السويدى ، دارجونى الايطالى وغيرهم من زعماء الوفود العمالية ، وجاء فيها « تحتج الجمعية المصرية أشد الاحتجاج لدى مؤتمركم على المصير الذى هيأه مؤتمر الصلح لبلادها . بالموافقة على بقاء الحماية مما يناقض مبادىء حزبكم الأساسية ، ونذكركم بأن الواجب يقضى عليكم بمقاومة الاعتداء الذى سيحل بحرية الشعب المصرى »(٢٢) .

وتتوالى احتجاجات الجمعية على الاعتراف بالحماية : لدى مؤتمر الصلح محملة اياه العواقب الوخيمة التى تنشأ نتيجة هذا الظلم ، والى الحزب الاشتراكى الايطالى وغيره(٢٣) .

سبق الاشارة الى علاقة جمعية باريس بحزب حقوق الانسان وتأجيل الاجتماع الخاص بشرح القضية المصرية عند وصول الوفد ـ ليتسنى حضوره هذا الاجتماع والذى عقد يوم ٢٠ مايو بالقاعة الكبرى بدار الجمعيات العلمية ، برئاسة النائب كاشان زعيم الاشتراكيين بفرنسا ، ومعه المسيو بولا برولا وكيل جمعية الأدباء المعروفة ، وهو كاتب كبير والمحامى باركسيو ، وأيد الجميع القضية المصرية ، وشرح خليفة بوبلى عن الجمعية وويصا واصف المحامى أحداث مارس وابريل ١٩١٩ ، وختم الاجتماع بكلمة كاشان « اذا كنتم قد طرقتم أبواب الاستعماريين فاقفلوها فى وجوهكم ، فان الشعب الفرنسوى يفتح لكم أبوابه فاطرقوها » . واستمرت الجمعية فى بذل المساعى لدى الحزب حتى يضع القضية ضمن برنامجه(٢٤) .

وأقامت الجمعية المصرية وليمة لنفر من زعماء أحزاب اليسار ورجال الصحافة ، وخطب فيها رابوبور الاشتراكى المتطرف ، وهو أحد الـ ٢٤ الذين انتخبهم الحزب الاشتراكى الفرنسى ، لفحص معاهدة الصلح وكتابة تقرير عنها(٢٥) • كما استغلت تواجد الوفود المختلفة بباريس ، فأقامت وليمة للصحافة الايطالية فى ٤ يونيو ١٩١٩ تكلم فيها المسيو فتولوفترورى ، مدير سياسة الجورنال ديتاليا نيابة عن المدعوين مؤكدا عطف الشعب الايطالى على الأمم الناهضة،وشكر سعد زغلول الصحفيين الايطاليين لاهتمامهم بالقضية المصرية ، وانتهت المأدبة بالهتاف بحياة مصر وايطاليا(٢٦) •

وتواصل الجمعية عملية النشر عن المسألة المصرية ، وطبعت آلاف النشرات ووزعتهـا على أعضـاء مجلس النواب والشـيوخ وأعضاء مؤتمر الصلح والوزراء والساسة والصحفيين ، كما أصدرت النشرة المسماه « مصر » وهى نصف شهرية وتضمن العددين الأول والثانى ، مقالات لمن يعطفون على القضية المصـرية من الأجانب وبينهم روسى ، كتب عن مصر وروسيا ، والمسيو خير الله الذى كان يحرر فى الطان(٢٧) ، وجاء فى العددين التاسع والعاشر صـورة لمحمد فريد ، ومن مات فى سبيل الوطن ، واحتجـاج الوفد على أحداث الاسكندرية فى نوفمبر ، وكذلك احتجاجات الجمعيات المصرية بلوزان • واتسعت صفحاتها للاقلام الحرة من بين الاجانب،الذين تعددت مقالاتهم فيها كمقال مسيو مارسل هوتان المحرر السياسى لصحيفة « ايكودى دى بارى » الموجهة الى مسيو كليما نصو رئيس وزراء فرنسا، حيث ضمن المقالة عبارة لكليمانصو وهى أنه سيذهب الى مصر للسياحة ويتمنى ألا يموت قبل أن يرى الاهرام ، كما أشار الى الضغط الانجليزى على مصر ، كما نشرت المجلة خطاب سعد الى التيمس بالثناء على بعض ما أورده مستر لكرون فى مقاله

عن مصر من الحقائق ، ومقتطفات من الصحف الموالية لمصر وتنتهى المجلة بصورة تمثل مصر تكافح وتناضل أسدا ، وتحتها عبارة « مصر تكافح فى سبيل استقلالها حتى الممات »(٢٨) ٠

ونتيجة للجهود التى بذلتها مع حزب حقوق الانسان ، تحدد يوم ٥ ديسمبر لتستمع لجنة الحزب المركزية لأقوال الوفد بصفة رسمية، وحضر الاجتماع أحمد لطفى السيد ، مصطفى النحاس عن أعضاء الوفد وخليفة بوبلى عن الجمعية ، ودار الحوار حول القضية المصرية ، وتكرر الاجتماع فى ١١ ديسمبر وختم بارسال رسالة السلام الى الشعب المصرى ، وتدور حول رجائهم فى أن ينال الشعب المصرى أمانيه الشرعية فى ظل السلام ، وأنهم « مقتنعون بأن الشعب الانجليزى الذى حارب معنا فى سبيل الحق ، سيتبع مبدأه التاريخى ويعمل على اجراء العدالة طبقا لتقاليده الدائمة »(٢٩) ٠

وتدعو الجمعية بباريس الى عقد مؤتمر للجمعيات المصرية بأوربا ، بهدف تنسيق وتوحيد الجهود ، ووجهت الدعوة للجمعيات بفرنسا ، انجلترا وسويسرا ، وعقد المؤتمر فى ٢٧ ديسمبر ١٩١٩ ٠ وتحملت الجمعية مسئولية الاعداد للمؤتمر ، ونظمت لجانا لهذا الشأن تتناول كل مسئولية محددة ٠

وافتتح المؤتمر الدكتور والى رئيس جمعية باريس ، مشيرا الى هدف المؤتمر ، وهو توحيد خطة العمل لنشر الدعوة بأنجح الوسائل وأقومها ، وتحدث عن نشاط الجمعية بباريس قبل الحركة التى قامت بمصر ، كما أشار الى المساعدات الأدبية التى قدمتها للوفد بباريس ، وعزم الجمعية فى متابعة جهودها ٠ كما تكلم رئيس جمعية لندن وعدد نشاط جمعيته ٠

وقدمت خلال المؤتمر عدة اقتراحات ، منها ماهو خاص بمقاطعة

البضائع الأنجليزية وانتهى المؤتمر فى هذا الشأن بابداء رغبته فى أن تحل البضائع المصرية محل البضائع الانجليزية ، وكذلك الاقتراح الخاص بمسألة السودان ويبدو أن المسألة لم تكن قد درست بعد • فاقترح حمد الباسل تأليف لجنة لدراسة الموضوع ، وقد تضمنت قرارات المؤتمر مايتعلق بالدعاية فى مختلف البلدان . وتسهيل التعاون بين الجمعيات وترجمة النشرات والمذكرات المصرية الى اللغات الأجنبية المختلفة ، وانشاء مجلة مصرية بلندن ، والاتفاق مع جريدة انجليزية لنشر ردود المصريين على مايظهر فى الصحف الأنجليزية عن مصر ، وانشاء مركز بباريس لتوزيع أخبار مصر وارسالها الى بقية العواصم الأوروبية وغيرها ، وتحملت جمعية باريس بناء على قرار المؤتمر مسئولية تنفيذ ومتابعة القرارت(٣٠) •

كما ينتهز الطلبة فرصة انعقاد أى مؤتمر دولى ويحتجون اليه • فبمناسبة انعقاد مؤتمر لندن ، تبرق جمعية باريس باحتجاجها ــ الى لويد جورج والمسيو بريان ووفد حكومة الأستانة والوفد الايطالى ــ على اعلان الحماية البريطانية على مصر ، واعتبار هذه الحماية غير شرعية ، وأن مايقرر بدون موافقة الشعب المصرى عديم القيمة وغير شرعى ، وأنها مصممة على الوقوف بجانب الشعب المصرى للمطالبة باستقلال مصر والسودان استقلالا تاما ، والذى دفعت مصر ثمنه غاليا بدماء أبنائها فى ميادين الحرب(٣١) •

ويستغل الطلبة بباريس أية وسيلة للدعاية للقضية المصرية ، حتى رقاع الدعوة لم تخل من الدعاية لمصر ، فمن بين هذه الدعوات دعوة لاجتماع من أربع صفحات ، الأولى نقش عليها الأهرامات وأبو الهول ومسلتان ، وعلى الأرض نساء وأطفال وقتلى وامرأة بملابس مصر وقد انشب فيها أسد مخالبه من اليمين ، كما هاجمها رجل

متوحش من اليسار وتدفع كليهما بيديها وكتب أعلاها « ستجاهد مصر فى سبيل استقلالها حتى الموت »(٣٢) ٠

واذا كان هناك شبه تركيز على الجمعية المصرية بباريس ، فلأنها مركز الحركة ، ولكن لايعنى هذا عدم تحرك الطلبة المصريين فى العواصم الأوروبية الأخرى ، فالطلبة فى لندن كانوا يعاونون زملاءهم والوفد بباريس فطبعوا آلاف الرســـائل وقابلوا النواب واستعانوا بالكتاب ، حتى ضاقت بهم الحكومة الانجليزية وهاجمتهم الشرطة وصادروا الأوراق ، وظنوا بذلك أنهم قضوا عليهم ، ولكن الطلاب قد احتاطوا للأمر وأعادوا طبع الأوراق مما كان مدخراعندهم فى مكان أمين(٣٣) ، وهى التى أثارت بجهودها المناقشة حول مصر فى مجلس العموم والتى بدأها درجوودين فى ١٥ مايو ١٩١٩ وهى ما أدى الى اضطهادها كما سبق ٠ وأحس الوفد نتيجة جلسة مجلس العموم هذه بنشاط الجمعية ، فأرسل لها مع مندوبها الذى كان فى باريس مبلغا من المال لمساعدتها فى مزاولة نشاطها واستمرار جهودها وكان أعضاؤها ينفقون من أموالهم لدرجة بيعهم كتبهم فى ســـبيل الانفاق على القضية المصرية(٣٤) ٠

كما قام الطلبة أيضـــا بمظاهرة فى انجلترا فى منتصـــف شهر ديسمبر ١٩١٩ ، فى أهم شوارع لندن ، واشترك فيها وفود تمثل الطلبة المصريين فى جامعات منشستر وبرمنجهام وليفربول وجلاسكو وغيرها ٠ وكان اجتماعهم قبل المظاهرة فى ساحة كبرى فى اوتيل امبريال حيث الخطب الحماسية ، وقد نظم المظاهرة قرياقص ميخائيل الصحفى وهو أحد الطلبة الذين يدرسون الفلسفة بجامعة لندن ، ثم خرج الطلبة الى ميدان عمومى وأمامهم راية مرسوما عليها الهلال ومكتوب عليها المجتمع المصرى فى بريطانيا العظمى بالانجليزية كما رفعوا راية مكتوب عليها « مصر تنادى الديمقراطية البريطانية أن

تمنع اطلاق الرصاص على السكان العزل » ، وأخيرا بعد المرور فى أهم شوارع لندن وصلت الى هايدبارك حيث أرتجل قرياقوص خطابا فى المجتمعين ، شرح لهم الهدف من مظاهراتهم ، وقال انه لولا ثقتنا العظمى فى أنسانية الشعب البريطانى لما كان خروجهم ، وأنه لو عرف الشعب الأنجليزى حقيقة مايحصل فى مصر لطلب من حكومته أن تقدم حسابا عن الفظائع التى تحصل بها ، وكان العلم الذى يحملونه أسودا عليه كتابة حمراء كالدم · ثم توجه وفد منهم الى ادارات الجرايد لتنويرها عن الحالة فى مصر ، وبالتالى نشرت هذه الصحف بعضا عنها(٣٥) ·

وترسل الجمعيات المصرية فى مدن انجلترا المختلفة مندوبين عنها لمؤتمر الطلبة الدولى باستكلندة ، وبلغ عددهم ثمانية مندوبين بين أعضاء المؤتمر الذين يمثلون سبعا وثلاثين مملكة وخطب مندوب جمعية منشستر خطبة عن القضية المصرية نشرتها الصحف الأوروبية بايجاز(٣٦) ·

ويرسل الطلبة المصريون بسويسرا الى الوفد ، بعد اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية على مصر بأن انجلترا قد سمحت للوفد بالسفر ، بعد أن اتفقت مع الدول على الشكل الذى تريده للقضية المصرية ، وهو أمر يجعل مهمتهم صعبة ولكن الثقة ببعد نظرهم وبعدهم عن اليأس سيحقق لهم النجاح ، وأخبروا الوفد بما يقومون به من تنوير للرأى العام الأوروبى بالنسبة للمسألة المصرية ويرجونه أن يلاحظ « أن احساس جميع البلاد المحايدة معنا وأن الأحزاب الحرة فى البلاد المحالفة لانكلترا كلها تؤيد المطالب المصرية ، (باستثناء انجلترا فانهم الى ماقبل الثورة فى مصر لم يكونوا يقولون باستقلال مصر ولكن باعطائها نظام الدومنيون) وهذه الأمم المحايدة والأحزاب الحرة ، وان لم يكن لها اليوم فى الأمر شىء فقد تكون كلمتها غدا

الفاصلة فلنصبر ٠٠ »(٣٧) ، ويحدد هذا الكتاب القوى العالمية التى يمكن أن تساند القضية المصرية ٠

وتصدر الجمعية المصرية بأمريكا بيانا ضمنته ماقامت به من نشاط ، فعندما كان الوفد بباريس نظم الطلبة أنفسهم للعمل على نشر القضية المصرية بين الأمريكيين ، وأخذوا يطوفون العواصم والأمصار فى تلك الأقاليم النائية بنفس متوثبة ليحملوا الأمريكيين على الاعتراف بأهلية المصريين للاستقلال والحرية ٠

ففى نيويورك قام هؤلاء الشباب بطبع تقرير عن المسألة المصرية ووزعوا منه أربعة آلاف رسالة ، وتضمنت ماضى مصر وحقائق القضية المصرية مؤيدة بالحجج والبراهين ، وذلك لايقاف رجال السياسة والشعب معا على المطالب المصرية ، ليعترفوا بأحقية المصريين بقسط من الأنظمة الحديثة ، كما حضر المصريون مؤتمر الشعوب المهضومة الحق بفندق « ماك الين » وفى تلك الجلسة وقفت الآنسة فكتوريا سكرتيرة المؤتمر وقالت « ان بقاء مصر فى حوزة انكلترا أمر لايصح السكوت عليه ، خصوصا أن مصر بلد له تاريخ مجيد وحضارة هى مبعث المدنية الغربية التى نشهدها اليوم ، وليس من العدالة والحق أن تتحكم انكلترا فى نفوس تلك الأمة اليقظة ، ولى الشرف أن أقدم اليكم المستر ثروت المصرى ليتكلم عن بلاده ٠٠ » ٠ وهو محمد على ثروت رئيس الجمعية المصرية بأمريكا، وتكلم المصريون والايرلنديون والامريكيون والهنود والكوريون عن القضية المصرية ٠

وفى الاسبوع الذى يليه عقد اجتماع فى مسرح تيمس سكوير ، حضره الطلبة المصريون وألقى رئيس الجمعية المصرية كلمة وسط أربعة آلاف فى مقدمتهم القاضى هيوز والنائب جورج توريس وأوين

توماس والشاعر الهندى تاجورا ، وغيرهم من العظماء والنواب كما حضر ايضا نائب المستردى فاليرا الزعيم الايرلندى ، ومستر « ماكسوينى » وقدمت أربع صحف كبرى بنيويورك ملخصا لكلمة رئيس الجمعية المصرية · كما تطوعت السيدة الين اوجراوى الكاتبة الامريكية بكتابة فصل خاص عن مصر فى صحيفة « نيويورك كول » كان له فى عالم السياسة دور لكبير ، وعلم الناس بوجودهم ودعاهم « الكثيرون من رجال الصحافة لحفلات عديدة فى الاندية لالقاء المحاضرات عن مصر ·· » وكانوا يلبون هذه الدعوات غير تاركين أية فرصة لرفع صوت مصر عاليا فى تلك البقاع ·

وتنتقل المجموعة الى واشنطون وفى اجتماع سياسى كبير بمسرح بلاسكو ألقيت لكلمة عن مصر امام رئيس جامعة جورج تاون والنائب ولسن وجمع غفير من كبار الساسة وزعماء مجلس الشيوخ وعلماء القانون الدولى ، وتضمنت الكلمة المطـــالبة بالعطف على المصريين كشعب حى يقظ ، كما أصدرت الجمعية المصرية بأمريكا صحيفة باسم مصر المستقلة أشارت اليها جميع الصحف(٣٨) ·

لجنة ومشروع ملنر :

وهو موقف يمتد من لجنة ملنر الى مشروع الاتفاق نتيجة لمفاوضات سعد / ملنر والذى عرض على الشعب لابداء الرأى ، ويمكن ان نذكر ان الطلبة المصريين بالخارج فى موقفهم من لجنـــة ملنر وتفنيد مهمتها كأسلوب استعمارى ورفضهم مشروع الاتفـــاق كانوا متأثرين بعاملين :

الأول ـ الفكر الأكثـــر تقدما الموجود بأوربا واحتكاكهـــم بالتيارات اليسارية الموجودة ، وهو أمر جعل بالتالى نظرتهم أكثر تقدما من نظرة زملائهم داخل مصر بالنسبة لمشروع الاتفاق ·

الثانى ـ التأثر بمبادىء الحزب الوطنى « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » والرافض لمشروع الاتفاق ٠

ففى خطاب مفتوح ترسل جمعية باريس الى اللـــورد ملنر ، وتنشره مجلتها « مصر » فى عددها السادس تشير الى كنه هذه اللجنة ، وأخذت تعدد للورد ملنر الوعود السابقة ، ككلمات هنرى كامبـل بنرمان فى ١٨ أكتوبر ١٨٩٤ التى أكـــدت ان احتــلال بريطانيا لمصر هو احتلال مؤقت وقول تشمبرلين فى ١٩ ديسمبر ١٨٩٢ « لن أضيع وقتى فى تكذيب مايعزى الى الحكومة من انها تريد بسط حماية دائمة على مصر فاننا نهيىء لأعقابنا حسرات مـــرة بايجاد ايرلندا جديدة فى الشرق فمتى أعيد النظام انسحبنا وكل مانريده هو أن نضـــمن لمصـــر النظام والرخاء والاســتقلال » وأشـــارت أن المصـــريين هدفهـــم الاســـتقلال ، وكان على ملنر أن يوفر الجهد ويتجه الى باريس ، ويطلب من مؤتمر الصلح سماع سعد والوفد ليبسطوا القضية المصرية(٣٩) ٠ وتؤكد جمعية لندن هذا الاتجاه وأن المصريين ليس لديهم مايقولونه لبعثة اللورد ملنر ، ولايدل وجود قوة انجليزية بمصر على رضاء المصريين ، ولكنه يدل على قوة انكلترا الحربية التى تعمل بواسطتها فى بسط السيادة الانجليزية(٤٠) ٠

والى جانب مخاطبة الرأى العام الأوروبى عن هذه البعثة ٠٠ يتجه الطلبة الى مخاطبة المصريين أنفسهم يحذروهم من الانخداع بالبعثة ، ويدعوهم للتماسك والوحدة فتحذر ، جمعية لندن المصريين من ذلك الرجل الاستعمارى و « حقيقة اغراضه وأغراض حكومته من الذهاب الى مصر فحذار أيتها الأمة الكريمة من الوقوع فى شراك الردى ٠٠ » ٠ وتحبذ الجمعية عدم مقابلة اللجنة ومقاطعتها وتطلب منهم الصمود فى هذا الاتجاه ، أما من يحاول مقابلة اللجنة فتطلب منهم أن يتقوا الله فى أوطانهم وتخاطبهم بأسم الأعيان قائلة « وتدبروا

ياأصحاب السعادة والعزة وذوى المال والنفوذ ، وكونوا على يقين من أن من يقدم على القيام بأى عمل من شأنه مقابلة ممثل العظمة والبطش اللورد ملنر ـ ماهو الا كالطفل اللاعب بالنار لايلبث أن يصلاها وماحوله من ثمين المتاع وحقيره .. »(٤١) . كما تنشر مقالا بالديلى هيرالد ، تؤكد فيه أن المصريين لن ينخدعوا وأنهم رافضون لأى شكل كاذب للاستقلال(٤٢) .

وتوجه أيضا جمعية باريس بيانا الى الأمة المصرية حـــول ماأثاره اللورد ملنر باستعداده للمفاوضة مع من يريد وبدون شرط ، وتحذر الجمعية من هذا الخداع فمهمة اللورد كما أعلنتها الخارجية البريطانية ، هى المفاوضة تحت دائرة الحمـــاية فاذا قال أنه يقبل المفاوضة فى الاستقلال التام ، فان مايقرره لايسرى على الحكومة الانجليزية لأن تصرفات الوكيل تكون باطلة قانونا اذا خرجت عن السلطة التى خولها اياه الأصل ، والأمر يحتاج الى بلاغ رسمى من نفس الهيئة التى حددت مهمة اللورد ، فان أعلن رسميا رفع الحماية والأحكام العرفية وقبول مفاوضة المصريين فى الاستقلال التام ، فان الجمعية رغم ذلك تخشى أن تكون الضمانات التى تتفق مصر عليها مع انجلترا وحدها لحفظ مصالحها ، متعارضة مع مصلحة سائر الدول ، ولذا يتحتم أن تكون مفاوضة المصريين مع هيئة دولية ، وان أكد اللورد أن مهمته توثيق العلاقة مع مصر ، فعلى أبناء مصر أن يردوا بأنهم لم ينسوا الـ ٦٣ وعدا الرسمية التى أعلنها الساسة الأنجليز أمثال دوفر ، سيمون ، ويلك ، دربى ، غلاد ستون ، سلسبرى وغيرهم وما الوعود الجديدة الا مناورة وتحذر الجمعية من التساهل والاهمال فى هذه الأمور سواء بالعمل أو القول الأمر الذى « يعد خيانة عظمى للشهداء» و «خيانة أفظع لسائر الشعوب المتضامنة معنا فى هدم معالم الظلم واقامة صروح العدل » ولذلك « فالجمعية

المصرية بباريس تطالب كل المصريين ، بأن يتماسكوا كتلة واحدة كيلا يدعوا مجالا للبسطاء منا ، للوقوع فى هذا الشرك والانخداع بتلك المناورات »(٤٣) • وفى هذا البيان السابق الى جانب تحذير المصريين ودعوتهم للتماسك ، فانه يشير الى قضية هـــامة ، بأن التساهل ليس خيانة للشعب المصرى فقط ، بل لقضية الشـــعوب المتضامنة ضد هذا الظلم ، مؤكدا بذلك وحـدة القضـــية ضـــد الاستعمار •

وتقاطع اللجنة فى مصر وللطلبة الدور الاساســـى فى تلك المقاطعة كما سبق الاشارة وتتطور الأحداث ويصل الوفد الى لندن لمفاوضة ملنر فى ٥ يونيو ١٩٢٠ ، حيث يستقبل بمحطة فيكتوريا استقبالا حماسيا بواسطة جمهور الطلبة المصـــريين(٤٤) • وكان هتافهم لمصر المستقلة ولزغلول باشا والوفد ، وسار موكب كبير من الطلبة المصريين فى السيارات وراء مركبات رجال الوفد ، وكانت الأعلام مرفوعة على السيارات،وبلغت الحماسة درجة كبيرة(٤٥) •

وحذرت جمعية أبو الهول بجنيف فى بيانها للأمة بعد سفر سعد الى لندن من الوقوع فى براثن الوشاة الذين ينشـــرون كثيرا من الاشاعات ، وأن على الأمة أن تتكاتف وأن كل خروج على الوفد هو مايضعف أمل كل مصرى ومصرية ، وأن قوة الأمة يستمد منها الوفد قوته ، فعليها أن تعتمد على نفسها وتقوى أملها لتعمل صابرة متضامنة(٤٦) •

مشروع الاتفاق :

وتجرى المفاوضات بين سعد وملنر ، وتسفر عن مشروع اتفاق يعرضه الوفد بواسطة مندوبين عنه على الأمة المصرية ، التي تقبله

بتحفظات ولكن موقف الطلبة المصريين بالخارج هو رفض المشروع كلية ٠

وكان هذا الموقف موضع نقاش فى الصحافة المصرية ، واختلفت حوله الآراء بين مؤيد ومعارض ٠٠٠ فتعلق جريدة مصر على مقالين كتبهما مصريان بالخارج ضد المشروع معلنة الاتهام بوجود مخطط واحد ، ويد محركة لهؤلاء المعارضين بالخارج ، ثم تركز الجريدة على القيمة العملية لهذه المعارضة التى تخلوا من الآراء النافعة للأمة ، وأن الرفض هو لمجـــرد الرفض وتؤكد ذلك بقولها « الحياة حركة مادامت الأمة حية لاتستطيع الوقوف ولاتقبل التقهقر لأنها تتقدم الى الأمام ، فاما أن يرسموا للأمة خطة عملية أمامية أو يدعوها وشأنها تسير على سنن العمران الى الأمام»(٤٧)

بينما تقف الأهالى مؤيدة موقف الطلبة بالخارج ازاء المشروع ولاترجع رفض الطلبة الى تأثير الأحزاب المصرية فهو لايصل الى أوربا ، وأن هذا الرفض لاسيما من الطلبة بانجلترا راجع لاحتكاكهم برجال الحرية ، ويعيشون فى جو أصلح من جو مصر ، وأن هؤلاء الطلبة هم الذين كانوا يرحبون بالوفد ، وهم الذين أحسنوا استقباله عند وصوله لندن ، وهم الآن الرافضون لمشروع ملنر ، ويقابلون الوفد بفتور لسبب واحد هو أنهم يدركون أن المشروع تنظيم للحماية «ولايمكن أن يكون الطلبة المصريون مخطئين فى نظرهم » « لأن الجرايد الانجليزية نفسها توافقهم عليه ، فجريدة النيرايست التى يعرف الخاصة أن بعض الموظفين فى وزارة الخارجية البريطانية يلوحون اليها ببعض ماتكتبه ، بل وقد يكتبون فيها أنفسهم ، تقول فى عددها الصادر فى ٧ أكتوبر ـ أن مشروع ملنر قسم من الحكم الذاتي ـ فهو اذن ليس استقلالا ، واجمالا فان المصريين المقيمين

بانجلترا يرون أن المشروع حماية وأن مصر لم تقم بحركتها الوطنية لهذا الغرض(٤٨) ٠

كما تفسح الجريدة صفحاتها لسكرتير جمعية لندن أمين بقطر وسكرتير مؤتمر الجمعيـــات بباريس ، للرد على المتحـــاملين على قرارات المؤتمر ، وأنهم أى أعضاء المؤتمر لم يدرسوا المشروع ، فيؤكد العكس وأن الدراسة كانت تامة ، وأن سعدا صرح لمراســل اللانتيرن الباريسية ، بأن الحماية تعد قاعدة المشروع ، ويعقب على مقالات تهاجم المعارضين للمشروع بجريدة الأخبار ومصر بتوقيع ك ٠ ب ، بأنه لن يرد عليها لأنها سباب فضلا عن عدم ذكر اسم الكاتب ، ويطلب من الأمة أن تقارن بين هذا القول وقول سعد من أن المشروع قاعدته الحماية ، ويعتب على جريدة مصر لافساح صفحاتها لمثل ذلك مع التأكيد بأن المشروع بأكمله هو روح الحماية(٤٩) ٠

وهذا الموقف للجمعيات أو للطلبة المصريين فى أوربا ، لم يكن على هوى الوفد الذى كان قد مد يد المساعدة لجمعية باريس ، فدفع كدفعة أولى ٨٫٠٠٠ فرنك تتلوها دفعات ، ولكن بعد مؤتمر الجمعيات الذى رفض المشروع لكونه تنظيما للحماية ، رفض الاستمرار فى هذه المساعدة لأن أموال الوفد مجموعة لغرض معين لايجوز أن يتعداه(٥٠) ٠

ويتمثل ماقام به الطلبة ازاء المشروع فى أمرين :

الأول : هو توجيه أنظار المصريين والرأى العام الأوروبي الى خطورة المشروع ٠

الثانى : وهو مكمل للأول وهو تقديم تفنيدات وشروح ونقد للمشروع ، بصورة كاملة الى حد كبير ٠

وتميزت الحركة فى هذه الناحية بالشمول ، فليس الأمر قاصرا على جمعيتى لندن وباريس مع الاحتفاظ بقيادتهما للحركة ، بل شمل الأمر جمعيات أخرى أما فى صورة فردية أو فى شكل مؤتمرات عقدت لهذا الغرض ، فمثلا جمعية ليفربول الى جانب استهجانها للاقتراحات التى وردت فى الاتفاقية التى نشرتها جريدة التيمس ، تستحث الأمة بالوقوف بثبات بجانب حقها وهو الاستقلال التام(٥١) ٠

كما اجتمعت الجمعية المصرية بلوزان فى ٢٨ سبتمبر ١٩٢٠ لمناقشة المشروع بعد اطلاعها على شروطه التى نشرها الوفد ، واعتبرته ناقضا لاستقلال مصر والسودان ، وأن من يوقعه سيكون سبة لجميع المصريين ، وأن الحل الذى يقترحه الوفد لايمكن قبوله لمنافاته مطالب الشعب المصرى(٥٢) ٠

ومن الطبيعى أن يحاول الطلبة المصريون وهم يعيشون فى أوروبا – الى جانب دعوة المصريين الى رفض المشروع – اقناع الرأى العام الأوروبى بالمناورة البريطانية ، وذلك بنشر الأحاديث المختلفة بالصحف الأجنبية كالحديث الذى أجراه د ٠ محمد والى رئيس جمعية باريس لصحيفة سالوبوبوليك ، أكد فيه عدم قبوله للتحفظات التى لاتمس فى شىء جوهر مشروع ملنر ، وأنه يعتبر اتفاقية ١٨٩٩ الخاصة بالسودان باطلة ، وأن انجلترا قادرة بجعل سلطة المستشارين الى حد واسع النطاق ، ويرفض أساسيات المشروع وحق بريطانيا فى أن يكون لها قوة حربية بمصر ، وبربط السياسة الخارجية لمصر بالمصالح البريطانية(٥٣) ٠ وتدرس جمعية الطلبة المصريين بلندن المشروع وتنتهى بمذكرة تتعرض بعمق له ، فترى أن اعتراف انجلترا باستقلال مصر ، لم

ينص فيه على الغاء معاهدة فرساى التى تعترف بحماية بريطانيا لمصر ، ووضع مصر تحت سيادتها ، فان مصر لايمكن أن تكـون مستقلة ، الا اذا وافقت نفس الدول التى اعترفت سابقا بالحماية ، فشروط معاهدة فرساى الخاصة بمصر يجب أن تلغى بواسطة الدول الموقعين عليها ، والا فعلى المصريين أن يدركوا أن هذا الذى يدعونه استقلالا ، مقدم اليهم كمنحة وليس حق ، ولن تعتبره الدول الأخرى وربما كان ذلك من جهة انجلترا أيضا ٠

كما وضع المشروع التمثيل الخارجى لمصر وفق خطة مرسومة لايتعداها ولايتعارض مع مصالح بريطانيا ، وهذا معناه أن سياسة مصر الخارجية تملى عليها بواسطة بريطانيا ، وان انجلترا أرادت بهذا المشروع أن يعترف المصريون لها بالمركز الممتاز فى بلادهم ٠ وتتعرض المذكرة لما تقدمه مصر لبريطانيا أثناء الحرب ، وتثير فى هذا الصدد معنى الحرب هل هى كما جاءت فى القانون الدولى بين دولتين مستقلتين ، أو يشمل معناها الحروب الداخلية التى تحـدث فى الامبراطورية ، وهو أمر يترتب عليه مقت كل مصرى من قبل أهالى الشرق الأوسط اذا قبلت مصر أن تتبع انجلترا فى سياستها ازاء هذه الشعوب ٠

وتثير المذكرة مسألة تواجد القوات البريطانية والتى لولاها ما أصبح المستشارون البريطانيون قياصـرة صـغارا والتهمت السودان ، وتتساءل ماذا ستجنى مصر من النظام الحكومى المرتقب مادامت على قناة السويس قوة حامية ، وفى القاهرة مندوب سام واثنين من كبار الموظفين يدير أحدهما الديون الخارجية والآخر القوانين الخاصة بالأجانب ، وعلى رأس كل هؤلاء اتفاقية دائمة ، وخط محدود للسياسة التى تتبع فى العلاقات الخارجية ؟

وبالنسبة لمصالح الأجانب فهم مبعثرون هنا وهناك ، ومصالحهم مرتبطة فلا يمكن فرض ضريبة بدون أن تنالهم ، ولارسوم جمركية بدون أن تمسهم ، بل لابد أن كل تشريع تدخل فيه مصالح الأجانب حتما ، وبالتالى فان المندوب السامى ستكون لديه قوة المعارضة فى أغلب القوانين التشريعية بمصر ، وأنه خير لمصر أن تبقى الامتيازات الأجنبية كما هى ٠

وتتعرض المذكرة للموظفين البريطانيين فلبريطانيا موظف كبير يتولى ادارة الدين العمومى ، وتثير موضوع مساءلته فأمـــام من سيكون هذا الموظف مسئولا ؟ ومتى تنتهى خدمته ؟ هل عند وفاء مصر لديونها ؟ أم هل ستعتبره بريطانيا من أعمدة الاستقلال ؟ واذا كانت مهمته قاصرة على سداد الدين فلماذا لايطلقون عليه قومسيير الدين العمومى ؟ ان هذا الفرق ليس فرقا فى المسميات بل هو فرق جوهرى ، يتعارض مع معنى الاستقلال وستكون مهمة هذا المستشار أوسع من ادارة الدين العمومى ٠ والموظف القضائى بمقتضى هذا المشروع هو موظف فى الحكومة البريطانية لا الحكومة المصـــرية وستكون علاقته مباشرة مع القومسيير العالى الذى له السلطة أيضا على التشريع الخاص بالأجانب ، وربما يمط فى وظيفته الى أن يصبح ذا مركز خطير ، ومن المحتمل أن يتداخل فى مسألة الأمن العام ، التى هى بالطبع جوهر الادارة الداخلية فى البلاد « فاذا راعينا السلطة التى ستخول الى هذين الموظفين الكبيرين نرى أنه من المتناقض أن نقول ان مصر ستدير دفة أمورها بنفسها بمقتضى مشروع الحكم الجديد ، هذا مالم يصبح هذان الموظفان مسئولين أمام السلطتين التشريعية والتنفيذية فى مصر لاأمام الحكومة الانجليزية ٠٠ » ٠

ونظرا لأن بريطانيا ستحل محل الـدول الأجنبيـة بالنســـبة للامتيازات،فالمحاكم المختلطة ستتحول الى محاكم انجليزية،ولاشأن

للحكومة المصرية فى ذلك والموظفون الأنجليز فى المصالح المصرية ، فان خضوعهم لسلطة رؤسائهم المصريين أمر طبيعى ولكن الخوف من أن هؤلاء الموظفين يميلون الى المساعدة والتقرب من القومسيير العالى وتابعيه وهو ميل يقل أو يزداد بنسبة قوة أو ضعف الحكومة المصرية ، على أن ماتظهره الحكومة المصرية من الضعف أو القوة يتوقف كثيرا على أسلوب المندوب السامى فى تنفيذ سلطته مع تعضيد جيشه له ٠

وطبقا لهذا المشروع يمكن لأى معتمد سياسى بريطانى ، أن يعيق أعمال السلطتين التشريعية والتنفيذية فى مصر ، وان المعتمدين السياسيين البريطانيين « من طراز اللورد كرومر أو اللورد كتشنر يمكنهم بغير خرق القانون أن يحشدوا تحت أيديهم قوة كبيرة ، ومهما يكن الغرض من استعمال هذه القوة للخير أو الشر فان هذا لايؤثر على الواقع بأنها قوة تستعمل فى تحديد الاستقلال المصـــرى أو تقليصه ٠٠ » ومهما نص التشريع الحالى بالنسبة للموظفين على أنهم فى خدمة الحكومة المصرية ، فان المندوب السامى قادر على جعلهم وكلاء سياسيين له ٠

ومن الطبيعى أيضا أن يوافق البرلمان الانجليزى على المشروع، بل لايستبعد فى أن يطالب بمزيد من الضمانات ، أى أن استقلال مصر بذلك سيبقى معلقا على رغبات البرلمان ، فى حين أن فرض الحماية على مصر فى عام ١٩١٤ كان اجراء من قبيل الحكومة ، وهو أمر يجعل من الممكن ومن الطبيعى رفع هذه الحماية بمقتضى اعلان مشابه بالذى أعلن ١٩١٤ ، دون أخذ رأى البرلمان الانجليزى الذى سيصبح بناء على عرض المشروع عليه ، مرجعا لكل تعد أو خطأ يحدث فى تأويل شروط الاتفاق أو المخالفة ، وهو مايجعل استقلال مصر مهددا بأخطار من قبل شروط الاتفاق أو المخالفة ،

وهو مايجعل استقلال مصر مهددا بأخطار من قبل البرلمان الانجليزى الذى هو أحد طرفى عقد الاتفاقية .

وتستمر المذكرة فى تحليل الاتفاقية فتشير الى أن اعتراف الدول باستقلال مصر ، يجعل مصر فى موقف أفضل ولكن الاستقلال المعلق على شروط كثيرة كهذا المشروع ، لايجعل الاستقلال تاما حتى ولو اعترفت به الدول ، فلابد أن يطـــالب المصـــريون ويلحوا فى استقلالهم كاملا غير مشروط . أما السودان فان المسـألة حياة أو موت ، ويجب بحث مسألة السودان قبل بحث مسألة مصر ، فالسودان امتداد طبيعى لمصر ، فالشعب المصرى لن يجد مجالا يسمح لـــه بالتقدم والرقى الا فى ربوع السودان الغير مزدحمة بالسكان .

وترى المذكرة أنه لايوجد نص واحد صالح فى هذه الاتفاقية ، فاذا قبلها المصريون فانهم بذلك يوافقون على انشاء حماية دائمة ، وان الجزاء الوحيد الذى سيناله المصريون فى مقابل توقيـــع هذه الاتفاقية السوداء ، التى تجعلهم محميين بحماية انجليزية ، وأسرى محالفة لا أجل لها ، ويفقدون الاقليم الذى تأتيهم منه المياه — هو لفظ الاستقلال(٥٤) .

وينعقد مؤتمر الجمعيات بباريس لمناقشة التقارير التى وضعتها الجمعيات المختلفة حول مشروع ملنر ، ولقد ضم المؤتمر أعضاء جمعيـة باريس ومندوبى جمعيـــات ليون ، مونبليـــه ، انجلترا ، اسكتلنده ، ايرلنده ، برلين (عن جمعية النيل الحرة وجمعية تحرير مصر) ، سويسرا ، ايطاليا ، والجمعية الخارجية التى تكونت من المصريين المقيمين بباريس فى فترة انعقاد المؤتمر من ٢٠ الى ٢٤ سبتمبر . وتولى رئاسة المؤتمر رئيس جمعية باريس ووكالة احد مندوبى جمعية ليون ، وسكرتارية احد مندوبـــى جمعية انجلترا ،

وعضوية أكثر من ٨٠ مصريا · وكان المؤتمر بناء على دعوة الجمعية المصرية بباريس ·

وانتدب المؤتمر فى خاتمة جلساته ، لجنة تمثل جميع الجمعيات لمقابلة رئيس الوفد وتمت المقابلة ، وسجلت ضمن أعمال المؤتمر . كما ندب المؤتمر المهندس الزراعى الحسينى عبد الجليل ، ليحمل الى مصر قرارات المؤتمر ونشره بالصحف المصرية ، واجراء أحاديث بالنيابة عن المؤتمر ، وترجمت أعمال المؤتمر للفرنسية وتقرر طبع صور منها لتوزيعها الى جميع الدوائر السياسية ، الى جانب صور منها بالعربية لتوزيعها أيضا ، وانتهى المؤتمر فى مناقشاته الى رفض المشروع(٥٥) ·

ولقد تضمن تقرير المؤتمر النقاط المختلفة التى تناولها المشروع ، وسنتعرض لها بايجاز شديد :

١ ـ الامتيازات الأجنبية ·· يقضى المشروع ببقائها وانتقالها جميعا فى يد بريطانيا ، « فمصر تعطى لبريطانيا العظمى حق التدخل بواسطة ممثليها فى مصر لايقاف تنفيذ أى قانون يكون ماسا بحقوق الأجانب المشروعة ، أو مخالفا للمتبع فى البلاد المتمدينة ، وان وجدت الحكومة المصرية حق التدخل هذا قد استعمل فى أى حالة مخصوصة بدون وجه حق ، فلها رفع الأمر لعصبة الأمم »(٥٦) ، ورأى المؤتمر أنه يجب انقاص المصالح البريطانية فى مصر ، وأن نقل الامتيازات الخاصة بالدول الأجنبية لبريطانيا ، مقو لمركزها ومزيد لاحتكاك مصالحها بمصالح المصريين،ومهيىء لأسباب ينتحلها الأنجليز للتداخل فى امورهم ، وقد يقول قائل ان نقل الامتيازات الى انجلترا يسهل المفاوضة معها بدلا من ١٤ دولة ، ولكن نفوذ انجلترا سيزيد ١٤ مرة عما هو عليه الآن ، فاذا كان ولابد بقاء الامتيازات فلتبق كما هى عليه ·

٢ ـ المادة الثالثة وهى الخاصة باعطاء بريطانيا القوات العسكرية ، واستعمال الموانى والمطارات وطرق المواصلات فى حالة الحرب ، حتى لو لم تمس سلامة الأراضى المصرية ، وهذا أمر عجيب أن تشترك مصر فى حرب • حتى لو لم تهدد فيها مصالح البلاد وسلامتها • فلا شك « أن فى ذلك تقييدا لسياستنا وخططنا كلما كانت الحرب ، حيث نضطر حينئذ بمقتضى هذه المعاهدة ، للدخول فى الحرب بجانبها ومدها بكل مساعدة فى طاقتنا ، ومعـــاداة كل أعدائها ، غير ناظرين الى مصالح مصر الخاصـــة ، فمركزها فى المستقبل اذن سيكون أقل حرية فى التصرف من مركزها التالى •

٣ ـ بخصوص عدم عقد أى معاهدات تناقض مصالح بريطانيا أو توجد عراقيل أمامها ، فحدود تلك المصالح البريطانية ، لايخلوا منها شبر فى العالم ، وليست انجلترا باضعف من أن لاتجد مصلحة لها مست ، أو صعوبة وجدت كلما تحركت مصر ، مهما كانت قلة هذه الحركة ، ولن تجرؤ أى دولة من الدول على التعاقد مع مصر فى أى أمر ، مهما كان بسيطا حتى تحصل على الموافقة المسبقة وهو باب يفتح مجالا للضغط والمساومة البريطانية •

٤ ـ ابقاء قوات بريطانية بمصر•فوجود هذه القوة منافى للاستقلال كما أنه لم يحدد لهذه القوة ، مركزا ولاعددا ولاموعدا بل ترك الأمر وليس سهوا ، وذلك لحفظ مواصـلاتها الامبراطورية فماذا يقصد بهذه المواصلات الامبراطورية ، أهو طريق الهند ، ولو كان الأمر كذلك فلماذا لم تذكر ذلك صراحة ، ولم لاتعين القنـاة بصفتها طريقا للهند ، وهو أمر بالتالى يؤدى الى تحديد موقع هذه القوات العسكرية ، ولكن الغرض من المواصلات الامبراطورية ، انما هو المعنى الشامل أى المواصلات مع الهند من جهة ، والكاب وسائر المستعمرات الافريقية من جهة أخرى ، الأولى عن طريق قناة السويس

والثانية عن طريق السكة الحديدية من القاهرة للكاب ، أى أن القوة الحربية ستشرف على قناة السويس من أجل الهند ، وبقية مصر من أجل الكاب ، ولاقيمة لما ذكره المشروع من أن هذه القوة ليس لها صفة الاحتلال ، « فاننا نذكر ماكان من التأثير لوجود أربعة آلاف عسكرى ليست لهم أى صفة شرعية من بدء الاحتلال الى الآن ، كاضطرار الحكومة المصرية على امضاء اتفاقية السودان ، وتنفيذ القوانين الاستثنائية ، وايجاد الحماية عملا والاحكام العرفية ... الخ »(٥٧) .

٥ ـ المستشار المالى والموظف القضائى .

لم يحدد المشروع وظيفة كل منهما ، بالاضافة بكونهما تحت تصرف الحكومة المصرية اذا أرادت استشارتهما ، وهو أمر يدل على سعة مهمتها فالمستشار المالى لم يسم مراقبا للدين مثلا ، ولم تحدد مدة وظيفته بسداد الدين . والموظف القضائى له حق الاتصال بالوزير ، وباستطاعته بما له من حق ابطال تنفيذ القانون ، أن يشل القوانين المصرية بحجة تعارضها مع حقوق الأجانب ، سيما وأنه لايكاد يوجد فى مصر شىء لايحتك بحقوق الأجانب .

٦ ـ وجاء فى البند الخامس من نفس المادة شرط يكسب انجلترا حق التداخل فى سن القوانين وتطبيقها ، بحجة المحافظة على حقوق الأجانب ، ويترك لها الأمر فى اختيار الظروف والاحوال التى تتداخل فيها ، ولم ينص على حدود معينة لهذا التداخل ، حفاظا على ما أطلقوا عليه مصالح الأجانب .

٧ ـ سريان المعاهدة يتوقف على قبول الدول الأجنبية للشرط القاضى بقفل محاكمها القنصلية ، وهذا أمر غريب أن يكون سريان

المعاهدة بين مصر وبريطانيا متوقف على الدول الأجنبية ، وهذا مبدأ سياسى جديد وبدعة هى الأولى من نوعها ٠

٨ ـ معاملة قناصـــل الدول الأجنبية بنفس معـــاملتهم فى انجلترا ، وهو مايفهم منه ضمنا أن مصر جزء من الامبراطورية ، (البند الثالث المادة السابعة) كما جاء فى البند الرابع من نفس المعاهدة ، أن تتعهد مصر بتطبيق المعاهدات بين انجلترا والدول الأجنبية التى تقفل محاكمها القنصلية فى مصر ، وتشـــمل هذه المعاهدات ماكان منها ذات صبغة سياسية ، أى الزام مصر بتنفيذ معاهدات انجلترا مع غيرها وهذه بدعة ثانية ٠

٩ ـ جاء فى المادة التاسعة شرط يقضى باصدار دكريتو يسوغ ماوقع بمقتضى القانون العسكرى ، ويكفى هذا غبنا باننا نتطوع لاعطاء صيغة قانونية للتدابير الاستثنائية التى عمل بها ٠

١٠ ـ جاء فى المادة الحادية عشر بأنه سيبلغ نص المعاهدة للدول ، بدلا من الغاء الحماية ، وهو أمل المصريين ومحو آثارها من معاهدات فرساى ، سان ريمو وغيرها ٠

١١ ـ عدم النص صراحة على ما لمصر من حقوق ، وهو أمر يضعف الأمل فى التمتع بالمزايا التى أشار اليها محبذو المشروع ، فكل مافى صالح مصر ليس واضحا انما هو بين السطور ، ولاقيمة لما بين السطور فى المعاهدات خصـوصـــا اذا كانت الكفتان غير متكافئتين ، وكان المطلوب النص بوضوح لما لمصر كما هو واضح بالنسبة لما عليها ٠

١٢ ـ إهمال السودان وعدم عرضه على بساط البحث ، وكأن المسألة المصرية منفصلة عن المسألة السودانية ٠

١٣ ــ توقيع المعاهداة يربط مصر ولايربط انجلترا بشىء ، لأن مصر هى االطرف الضعيف فلا يمكنها أن تجعل من المعاهدة قصاصة ورق كما يزعم البعض ٠

١٤ ــ أنه لم ينص على أن تكون محكمة لاهاى أو غيرها حكما عندما يقع أى خلاف بين مصر والانجليز ، ولايجب أن يفوتنا أن النتيجة ستكون فى جانب الطرف الأقوى ٠

وبالتالى كان رفض المؤتمر للمشروع بالاجماع(٥٨) ٠

وبوجه عام هى تحليلات تدل على عمق فى الفهم ، ووضوح فى الرؤيا وفكر متقدم ، واضح أمامه تماما الأفكار والمناورات الاستعمارية والقوى المتعاونة مع الاستعمار ، ولقد نشرت هذه التحليلات فى الصحافة المصرية وكان أثرها ضعيفا فالغالبية من الشعب أمى ، فضلا عن تيار محبذى المشروع الجارف رغم وجود أقلام معارضة للمشروع ، ونشرت جمعية لندن الحديث الذى أجرته مع سعد زغلول حول المشروع ولعلها أرادت مخاطبة الشعب المصرى على وتر الزعامة المقدسة ، التى تعترف بأن المشروع حماية بالثلث ٠٠ ولقد قابل سعد مندوبين من الجمعية وهم على اسماعيل القصبى زيدان ، وعبد القادر المصرى ، عبد الرحمن فكرى يوم الأحد ٢٤ أكتوبر ١٩٢٠ ــ بعد الانتهاء من عملية استشارة الأمة ٠

ولقد بدأ فكرى النقاش بأن المصريين بلندن متشائمون فتساءل سعد عن السبب ، فأجاب بأنهم فى لندن درسوا المشروع ، وسألوا الكثير من رجال القانون ، وكلهم أجمعوا على أن المشروع هو اصلاح تحت الحماية ، وساق الأدلة على ذلك بناء على طلب سعد ولخصها فى النقاط التالية :

١ ــ أن المشروع يؤكد الحماية ٠

٢ ــ ان استقلال المشروع هو نفس الاستقلال الذى نصت عليه الحماية ٠

٣ ــ ان ما أعطى لمصر هو هبة وليس حقا ولم تعترف به الدول بخلاف ماأخذته مصر من تركيا في تسوية ١٨٤٠ كان باعتراف الدول ٠

٤ ــ نقل الامتيازات الأجنبية للدول لبريطانيا باعتبار انها الدولة الحامية ٠

٥ ــ ان المركز الاستثنائى الذى تطلبه لمعتمدها هو اقرار للحماية ٠

٦ ــ ان تقييد السياسة الخارجية هى شرط أساسى لتأييد الحماية ٠

٧ ــ وجود الجيش البريطانى والعلاقة اثناء الحرب ٠٠ الخ

وقال سعد « اذا كنتم تعلمون كل هذا فلماذا لم تسمعوا البلد رأيكم مع علمى وعلمكم بأن المشروع حماية بالثلث » ٠

وقال فكرى « ألا تظن يامعالى الباشا أن التحفظات التى طلبتها البلد هى أمانى ، وأنها لو قبلت مع بقاء جوهر المشروع الذى قبلته الأمة فانه يخلق حماية ١٩٢٠ » ٠ فرد الباشا متحمسا « أنا لا أقبل الا الاستقلال ٠٠ وانى لا أنقاد الا لضميرى »(٥٩) ٠

وترسل جمعية لندن خطابا من رئيسها عبد الرءوف رشدى تشكر فيه سعدا لموقفه فى الدفاع عن الحق واستقلال مصر والسودان وهو خطاب على قدر كبير من الأهمية اذ تعرض للمشروع الذى يطوق

مصر بالحماية القانونية ، ولموقف المندوبين فى تحبيذهم للمشـــروع عند عرضه على الأمة ، وختموا رسالتهم بقولهم « فويل للخارج عليكم وعلى مبدئكم وهو المطالبة باستقلال مصر والسودان ٠٠ »(٦٠)

الخلاف بين سعد الطلبة :

ولقد حدث خلاف بين سعد زغلول من ناحية ، والطلبة بأوربا لاسيما فى باريس من ناحية أخرى ٠

وربما يرجع ذلك الى علاقة الجمعيات بالحزب الوطنى وتبنى أفكاره ، حتى بعد القيام بالثورة وزعامة سعد لها ٠ وهى حملة تمتد جذورها الى عشر سنوات سابقة منذ تأسست بتشجيع وتعضيد الحزب الوطنى ومحمد فريد فمجد الدين ناصف الذى كان سكرتيرا لجمعية باريس يرسل خطابا لمحمد فريد مؤرخا فى ١٩ أغسطس ١٩١٩ يحكى له تفاصيل الأحداث ليس لمجرد العلم ــ بل يتضمن حركة للجمعية بمعرفة محمد فريد ومشورته ، فلقد جاء فى الخطاب « ٠٠ فاما عن المطبوعات فسأعطى للجمعية المصرية لتنشر فى مجلتها مالم ينشر بعد وتبقى الأصول فى مكتبة الجمعية ، وسأرسل بعض الأوراق الى مصر لترجمتها ونشرها بالطريقة التى اعرفها ، وقد أرسلت بعضها فعلا مع مسافر الى انجلتـــرا للجمعية التى هناك ولمدام درأى هرست ، وبذلك يتم نشرها على الملأ وسنفعل ذلك فى كل مايصلنا منكم من المطبوعات ٠٠ » ويستمر فى الخطاب ويحدثه عن أخبار مستر فولك وغير ذلك من الأخبار من سفر بعض أعضاء الوفد، وأن الباقين « هـــم ســعد (معالى الرئيس) !!! ولطفى الســـيد وعبد العزيز فهمى وحمد الباسل والمكباتى ومحمد محمود (الدكتور) ولو سافر الى امريكا سأحاول السفر معه على حسابى ، أيضا كما هى العادة والجمعية تشتغل بخير ٠٠ »(٦١) ٠ وهذا الخطاب يؤكد استمرارية العمل بالجمعية بتوجيهات محمد فريد ، فضلا عن أن

هذه العلامات التى وضعت بعد عبارة « معالى الرئيس » تدل على وجهة نظر الجمعية ازاء سعد ، أقل مافيها انها غير مرتاحة لكونــه معالى الرئيس ـ فهذه الغالبية الدلالية تنتسب للحزب الوطنى وسعد زغلول يرفض التعاون مع محمد فريد ويرفض أن يردعلى رسالته(٦٢)

ولكن فقد سبق الاشارة الى ترحيب الطلبة بالوفد بباريس . فلقد أقامت الجمعية حفل شاى دعت اليه أعضاء الوفد ، ووقف الكثير خطباء شارحين مافعلته الجمعية خدمة للقضية المصرية ، ومابذلته قبل أن تعرف الأحداث بمصر وزادت حراكتها بعد نفى سعد ، وأنها لم يقف أمامها ضلع الصحافة الفرنسية والكتاب الفرنســيون مع انجلتـــرا من تأدية واجبهـــا ، وطبـــع كراســـات عديدة لتنوير القضـــية المصـــرية ورد ســـعد بكلمـــة عن القضـــية مشيدا بدور الجمعية قائلا « انكم معنا عماد الحركة الوطنية وقــد قمتم تدافعون عن الوطن فى وقت تجهلون فيه أن الشعب المصرى منضم اليكم ، فعلينا نحن الشيوخ وأعضاء الوفد أن نطلعكم على عملنا ، وأن نطلب منكم معاونتنا كى نستطيع باتحادنا وتصميمنا ، أن نحقق أمنية البلاد ، وهى تحرير مصر والسودان وأنا واثق من أننا واصلون لهذه الغاية ·· » كما قال « ·· تعالوا الينا وصرحوا لنا بكل رغباتكم فانا مستعدون لأن نبذل لكم كل المساعدات التى تطلبونها ، وكونوا على ثقة من أننى أنا والوفد لانتخلى عن الجهاد حتى نحصل على بروجرام الاستقلال ، واذا رأيتم غدا أننا حدنا عن هذا الطريق ، فأرجو منكم ألا تخفوا ذلك عنا ، بل افعلوا معنا كما كان الملك الحكيم سليمان يقول (من كان زعيما وجب عليه أن يصغى لشكاوى الذين يتولى زعامتهم اذا رأى هؤلاء انه حاد عن الطريقة المرسومة) ، أننا نريد أن نعطيكم انتم أيها الشباب بلادا حرة تعملون غدا لتحريرها أدبيا وماليا واقتصاديا ·· »(٦٣) فرفع سعد من مكانة الجمعية حتى طلب منها أن تكون رقيبة على الوفد اذا حاد عن

الطريق · وهكذا كانت العلاقة حسنة بين الجمعية بباريس والوفد وكان انتماؤهم للحزب الوطني قائما بل وسابقا على قيام الثورة كما سبق الاشارة وهو ما دعا « الأهالى » تتساءل لماذا هذا الانقلاب؟ هل تغير الطلبة المصريون بين يوم وليلة فصار ذكاؤهـــم غباوة ، وعلمهم جهلا ، وتحمسهم بلادة ، وحبهم للوطن جبنا وخيانة » اللهم انك تعلم أن شيئا من هذا لم يكن ، وأن الطلبة المصريين فى أوربا ، مازالوا على ماعرفناهـــم عليه من الذكاء والفهـــم والغيرة وحب الوطن ·· »(٦٤) ·

فلم يكن الخلاف قائما على أساس حزبى أو نتيجة تبعية حزبية ، انما العامل الأساسى فى الخلاف هو تباين وجهات النظر ازاء قضايا وطنية متعلقة بالمسألة المصرية بين الوفد وبينهم وهم متأثرون فى ذلك بعوامل مختلفة ، كآراء الحـــزب الوطنـــى والفكر الأوروبى واليسارى بصفة خاصة ··· الخ ·

ومن القضايا الخلافية أن الطلبة فى أوربا لاسيما فى باريس ، كان لهم وجهة نظر أن يكون تعـــاون الوفد مع اليســـار الأوروبى والفرنسى بصفة خاصة ، والاستفادة منه فى طرح القضية المصرية والدفاع عنها امام الرأى العـــام الأوروبى ، وهـــم الذين خبروا اتجاهات القوى والتيارات المختلفة فى أوربا بوجه عام وفرنسا بصفة خاصة ، وكان تعاملهم مع اليسار داخل وخارج فرنسا ، ووزعت نشراتهم الى الحزب الاشتراكى الايطالى والى جريدة الديلى هيرالد لسان حال حزب العمال البريطانى(٦٥) · بينما كان سعد يعلن تبرأه من أية شبهة يسارية فلقد أدلى سعد الى جريدة الجازيت فى ١٩ مايو ١٩٢١ بتصريح قال فيه « أدهشنى ماقرأته فى صحيفتكم عن ارتياحى لخطة الديلى هيرالد الاجتماعية ، ولكنى أقول لكم ولقرائكم انى لست ممن يهتمون بالمباحثات فى هذه الشئون الاجتماعية ، وانى لاأجهد

نفسى فى أمر الكومونية أو البلشفية ولا أبحث عن أيهما المناسب لحياتنا الاجتماعية ، اذ ليست عندى أى فكرة عن هذه الوجهة » .

والقضية الخلافية الثانية .. وهى مترتبة على فكرهم واسلوبهم فهم يرفضون المهادنة وأنصاف الحلول ، وبالتالى كان موقفهم الرافض لمشروع ملنر وتحفظات الأمة باعتباره حماية مقنعة كما سبق الاشارة وعلى الرغم مما سبق بيانه من موقف سعد ازاء المشروع سواء فى خطابه الخاص لأعضاء الوفد الموجودين بالقاهرة ، أو فى احاديثه مع جمعية لندن ، وخلاصته أن المشروع حماية مقنعة .. فيبدو أن سلوك هؤلاء الطلبة مع الوفد فى هذا الخصوص ، لم يلق ارتياحا لدى سعد فيقول سعد فى مذكراته عن مؤتمر الجمعيات فى باريس الرافض للمشروع وقراره ايفاد تسعة من أعضائه لمقابلة سعد

« ويلغنى أنه سيحضر منهم تسعة اليوم لمقابلتى ومن بين هؤلاء شبان طائشون ملأ الحمق رؤوسهم ، والطيش عقولهم ومن ورائهم زعانف الحزب الوطنى يغرونهم بالتهوس والتهور والخروج على الوفد ... » وذهب هؤلاء لمقابلة سعد ومن بينهم ثابت رئيس أو سكرتير الجمعية المصرية وعصام الدين ناصف عن جمعية برلين ويقول سعد

« وترددت أول الأمر فى مقابلتهم ولكنى انتهيت بلقائهم فأخذوا يسألون سؤال الرقيب للمراقب أو المفتى للمتهم ويعترضون على الوفد .. » فقال لهم « ان الوفد ليس بحزب ولاوكيل عن فرد أو جماعة ولكنه وكيل الأمة .. ولايعمل الا برأيها ولايعبر الا عن شعورها ولايعبأ بغيرها فان رفضت المشروع رفضناه وان قبلته قبلناه – قالوا نحن رفضناه قلت هذا منكم وان عليكم الا أن تبلغونى ... وفهمت كما فهم غيرى من أنهم لم يفهموا المشروع ولم يدرسوه وأنهم مدفوعون للتشويش من أعضاء الحزب الوطنى والأمير محمد على وقد كان سكرتيره مختار حاضرا ذلك الاجتماع .. »(٦٦) .

واستمرت الجمعية المصرية بباريس فى ممارسة سياسة اللامهادنة ومدت نشاطها الى مصر حيث أسست فرعا لها بالقاهرة وأخذت تجمع التبرعات وتحرض الشعب على المقاومة ورفض أسلوب المهادنة ، ولقد امتنع الوفد عن تمويلها كما سبق · فلجأت الى جماهير الشعب المصرى التى تبرعت لها بسخاء ، وينزعج الوفد من ذلك كله ، ولقد أرسل على ماهر سكرتير سعد الخاص برسالة سرية الى عبد الرحمن فهمى تعبر عن عدم الرضا عن أسلوب الجمعية فيقول فيها « يظهر أن مسألة الجمعية المصرية قد اتسعت أخيرا لعطف البلاد عليهم ، ومساعدتهم بالأموال ، وايجاد لجنة لهم فى مصر ، وظاهر أن مثل هذه التصرفات لاتتفق مع وحدة العمل ووحدة الوجهة ، فانهم مهما كان شعورهم عظيما فانهم يقعون فى الأغلاط كثيرا ، ولايؤمن عليهم من غير اشراف الوفد ولذلك يكون الأولى أن يترك الأمر للوفد ، فهو يقدم لهم مايلزمهم من النقود ، ويشرف على أعمالهم بوجه الاجمال ، ويرشدهم الى الدائرة التى يجب أن يوجهوا فيها مجهوداتهم ، واذا أمكن الغاء لجنتهم فى مصر يكون أكمل وأوفى . وانى منذ وصولى كان همى ضم الجمعية للوفد حتى يعامل أعضاءها كأبنائه ، ويساعدهم بكل مايلزمهم الا أنهم كانوا فى غاية العناد ، وأشدهم عنادا هو مجد الدين ناصف ، فلذلك أرى أنه اذا عاد ليخدم القضية فى مصر يكون أصلح للوفاق هنا ··»(٦٧)

ونبذا لسياسة المهادنة والحرص على القضية المصرية والتحمس الشبابى لها ناقشت الجمعية المصرية بباريس مادار من شائعات حول سعد · فقد نشرت بعض الصحف أقوالا مضمونها « أنه ينتظر أن يتم الاتفاق بين الانكليز وسعد زغلول نظير ترضيات شخصية تسدى لمعاليه ·· » لاسيما أنه لم يكذب الخبر وقتذاك (وان كذبه فيما بعد) كما أنه لم يبادر الى الاحتجاج على بعض المسائل فى الحال ،

بل تأخر في ذلك أياما ،فعمد بعضهم الى ارسال خطابات اليه فيها عبارات شديدة ، كما أرسلوا اليه خطابات كانت ترد اليهم من بعض المصريين في سويسرا وفرنسا وانجلترا ومصر ، ونوقشت مسألة هذه الاشاعات في جمعية باريس فتقرر باجماع الآراء ضد صوتين ارسال خطاب لسعد جاء فيه « أننا قرأنا في الصحف اشـــاعات مخجلة ، فيها أن سعادة زغلول باشا رئيس الوفد المصرى سيقبل بعض منح · ولما كان لم يظهر أى تكذيب في الصحف رغم انتشار الخبر ، فاما أن تكذبه أو تسمح لنا بتكذيبه وسيذهب عضو بعد ٤٨ ساعة لأخذ الرد » · واستاء سعد ولم ترسل الجمعية الرسول بل أرسلت خطابا آخر تطلب الرد ، ولفت نظر سعد الى تكرار ظهور هذه الاشاعات في الصحف ولم تتلق الجمعية ردا(٦٨) · وظل الأمر كذلك حتى حاول على ماهر ازالة هذا الخلاف ، ومما ساعد على ذلك مانشرته جريدة التيمس عن موضوع الخلاف بين الوفد ، فكـــان الصدى لم الشمل وجمع الكلمة ووعد حمد باشا سعد زغلول على حمل الجمعية على الاعتذار ، ولكن الجمعية رفضت واكتفت بارسال لجنة الى سعد لتبليغه أنها لم تقصد اهانته ، ولم يقابلها سعد بل قابلها على ماهر الذى أشار الى كتابة خطاب الى ســعد ، فقبلت الجمعية بعد أن رفضت في بادىء الأمر ، ولكن الخطاب رؤى أنه غير واف وطلب منها تعديله ، وبقى الأمر كذلك حتى عاد محمد محمود باشا من أمريكا وتوسط في الأمر وأزال الخلاف(٦٩) ·

ويضاف الى تباين وجهات النظر بين الوفد الطلبة وأسلوبهم في التعامل معه ورفضهم الاحتواء الوفدى ، أن الجمعية قد نجحت في استقطاب أحد أعضاء الوفد وهو حمد الباســل وضـــمته الى عضويتها ، وقد قام بمعاونة الجمعية ماليا عندما قرر الوفد وقف

مساعداته لها ، مما كان سببا فى وقوع خلاف بين رئيس الوفد وبين ذلك العضو(٧٠) ٠

وابان هذه الأزمة أو الخلاف بين الطلبة والوفد ـ رفض الأخير مدهم بالمساعدات المالية كما لم يودعه طلبة لندن ولم يستقبله كذلك طلبة باريس ، فيقول سعد « ٠٠ ليلة سـافرنا من لوندره حضـر عبد الرؤوف أفندى رئيس الجمعية المصـرية بلوندرة ومعه زميلان وشكرونى على حسن تصرفى ودعوا لى بالصحة والسلامة وعند الانصراف قال واحد منهم أسمر اللون قصير القامة ان الجمعية لانقود عندها ونريد المدد من الوفد ، قلت سينظر ذلك بعد العودة الى باريس ، وكان بلغنى أنهم سيحضرون لوداعنا عند المحطة فلم يحضر منهـم أحـد وكذلك لم يقابلنا أحد من أعضـاء جمعيـة باريس ٠٠»(٧١) ٠

وفى مؤتمر الطلبة المصريين الذين يدرسون فى أوربا ١٩٢١ ، هاجم عصام الدين حفنى ناصف سعدا صائحا،«أنا أسحب الثقةمنك فثار سعد وقال أنا وكيل الأمة ولست وكيل جمعية طلبة »(٧٢) ٠ ولكن سرعان ما تتطور الأحداث ويناصر الطلبة بالخارج سعدا فى صراعه مع المعتدلين ٠

سعد وعدلى :

سبق الاشارة الى الخلاف بين عدلى وسعد ، وكان الاخير فى قمة زعامته الشعبية وكان الصدام حول الشروط التى تقدم بها سعد للاشتراك فى المفاوضات ورفضها عدلى(٧٣) ٠ ولم يكن الطلبة فى الخارج بعيدين عن هذا الصراع ، وكان موقفهم ليس بعيدا عن فلسفة هذا الخلاف ، كخلاف بين المعتدلين والمتطرفين فلم يكن هؤلاء

الطلاب وهم المعروفون بتقدميتهم لتواجدهم فى المجتمع الأوروبى واتصالهم بالعناصر اليسارية فيه مع جانب المعتدلين ٠

وعندما وصل عدلى الى باريس فى ٦ يوليو أقام عدد من الطلاب المصريين مظاهرة عدائية ضده فى المحطة وسط استقبال كبار القوم المصريين له(٧٤) ٠

ويصل عدلى ووفده الى لندن فى ١١ يوليو ١٩٢١ حيث كان استنكار حضوره والمناداة بحياة سعد وسقوطه ، فقد قام بعض الطلبة بمظاهرة صغيرة فى محطة فيكتوريا وكانوا يلوحون برايات حمراء كتب عليها « لا مفاوضة مع عدلى » و « مصر للمصريين » ، ثم مروا بعد ذلك بالفندق حيث يقيم عدلى وهم يلوحون بهذه الرايات منادين بسقوطه(٧٥) ، وكان لايمر بمدينة أو طريق الا وقابله الطلبة المصريون وهم يهتفون لسعد وبسقوطه(٧٦) ٠

وتجتمع الجمعية المصرية فى بريطانيا العظمى بحضور مندوبى فروعها فى ادنبرج ومانشستر ، وشفيلد ، وبرستول ، وبرمنجهام ، واكسفورد ، وكمبردج ليعلنوا احتجاجهم على الوفد الرسمى برئاسة عدلى رئيس الوزارة المصرية ، وثقتهم وتأييدهم لسعد زغلول الزعيم الوطنى الوحيد ، ولقد تعرض ضباط اسكتلانديارد لهم فطلبوا أسماء الحاضرين ، وسألوا عن سبب الاجتماع ، وصرحوا بأنهم يعملون حسب تعليمات وصلت اليهم ، وتحتج الجمعية على هذا الانتهاك أشد الاحتجاج(٧٧) ٠

ونوقش هذا الموضوع بمجلس العموم البريطانى فى ١٩ يوليو،حيث أعلن أن البوليس حضر اجتماعا حضره ٧٠ طالبايمثلون الطلبة المصريون التابعون لسبع جامعات انجليزية ، وكان قصد

الاجتماع الاحتجاج على وفد عدلى · ولقد سلم الطلبة احتجاجا كتابيا للبوليس ، وفســـر عمل البوليس بأنه يرجــع الى معلومات وردت ، تنص على أن أغراض المجتمعين ليس قاصرا على القيام باحتجاج سلمى(٧٨) ·

ومن الملاحظ أن قرارات الجمعيات بخصوص الوفد الرسمى ومفاوضاته كانت بعيدة عن المهاترات والألفاظ البراقة ، انما تعلقت بكنة الوفد الرسمى وأساس التفاوض · فالجمعية المصرية بلوزان اجتمعت قبل وصول الوفد للندن وقررت تأييد أى وفد مصرى يكون برنامج مفاوضاته الغاء الحماية الانجليزية على مصر الغاء حقيقيا والاعتراف باستقلال مصر والسودان استقلالا تاما من انجلترا ومن الدول الموقعة لمعاهدات الصلح ،و انكار كل وفد ليس هذا برنامجه ، وبالتالى فان الجمعية تؤيد الوفد الرسمى برياسة عدلى اذا أصبح برنامجه المبهم فى كثير من نقطه ، أكثر وضوحا وجلاء وكان مطابقا للمبادىء المتقدمة(٧٩) ·

أما جمعيات المانيا « كجمعية النيل الحر المصرية » فترفض مبدأ التفاوض قبل الاستقلال التـــام ، وربما كان ذلك تأثرا بمبدأ الحزب الوطنى « لامفاوضة الا بعد الجلاء » وقد نشرت الجرائد الألمانية مثل جريدة الدوتش الجماين تســايتونغ لحـــزب الشــعب الألمانى رأى هذه الجمعية ، حول الخلاف بين سعد وعدلى فقالت ان رأى الجمعية هو ان « مفاوضات زغلول باشا فى لندرة لم تكن الا محزنة مضحكة هذا ويحق لنا الآن أن نعلن ثانية أن كل شخص يدخل فى أى مفاوضة من هذا القبيل ، مع أى هيئة سياسية رسمية فى لندرة سواء أكان أسم هذا الشخص عدلى أم سعد ، قبل أن تتمتع مصر قبل ذلك بالاستقلال التام ، لايكون قد فعل الا الاضرار بالأمانى المصرية وتثبيت الاحتلال الانجليزى وتطويل أجله »(٨٠) ·

. واتجاه أكثر وضوحا فى تأييد سعد ومعارضة الوفد الرسمى وابرازا لأساسيات التأييد والمعارضة تجد الجمعية المصرية بتولوز الى جانب دعوتهاالى نبذ الخلاف ، فهى تدعو الى تأييد الوفد طالما هو متمسك بحق البلاد خاضعا لارادة الأمة ، « فلا يقبل الدخول فى المفاوضات الرسمية الا بعد الاعتراف باستقلال مصر والسودان استقلالا تاما والغاء الحماية الغاء تاما ودوليا صريحا،ورفع الرقابة عن الصحف رفعا فعليا لاصوريا ، وبعد الغاء الأحكام العرفية ، اذ بتأييدكم له تثبتون للانكليز أن مناوراتهم التى كانوا يقصـــدون بها تفريق كلمة الأمة وفصم عرى اتحادها ، مناورة باطلة مقضى عليها بالفشل الذى لاشك فيه ٠٠ »(٨١) ٠

وتوضح جمعية باريس أساسيات معارضتها للوفد الرسمى فأساس تفاوضه ليس الاستقلال التام لمصر والسودان ، وأنه ليس ممثلا للشعب المصرى ، فضلا عن محاولة الحكومة أن تثبت شرعيتها بأساليب غير مشروعة ، وتطلب من الشعب المصرى التشبث بالمطالبة بالغاء الأحكام العرفية وقانون الصحافة والقوانين الاستثنائية ، وأن أى عمل مهما كان رسميا أو شبه رسمي ، يجب أن يصدق عليه الشعب بطريقة شرعية دستورية فى ظل الحرية التامة ، وجميع من يخالف هذا المسلك يعتبر ضد الشعب(٨٢) ٠

وتذهب جمعية باريس شوطا أبعد فى الاتجاه المعارض للوفد الحكومى بأنها ستنشر صورا شمسية ومستندا ت، عن كيفية حصول الحكومة الممثلة للوفد الرسمى على الثقة(٨٣) ، كما تؤكد الجمعية حول مانشرته جريدة النيويورك هرالد ــ من سفر بعض أعضاء الوفد المنشقين لتأييد عدلى ــ بأن هؤلاء انما يؤيدون وفد الحكومة بصفتهم الشخصية ، وليسوا بصفة ممثلين للأمة ، لأنهم خرجوا عن حدود توكيل الأمة لهم بالمطالبة بالاســتقلال التـــام ، فأصـــبحوا

لايمثلونها ، يضاف الى ذلك انهم انضموا الى هيئة لم تقرها الأمة كلها(٨٤) ٠

وتحتج جمعية لندن على الوفد الرسمى الذى لايمثل الأمـــة والمفاوض على قواعد مشروع ملنر ، وأن الأمة قد أنابت عنهاسعدا، وتطالب بوضـــع حد لأعمـــال الادارة محذرة الأمة من قبول دون الاستقلال التام لمصر والسودان(٨٥) ٠ وهو ماتؤكده جمعية تولوز بل ان جمعية جنيف تستنكر ــ وهو تعبير عن اتجاهها ضد الحكومة ــ مايتعرض له سعد من منع واضطهاد فى زياراته لأسيوط وجرجا وقنا والأقصر ، ليتصل بالشـــعب الراغب فى رؤيته ليتبادل معه العواطف الوطنية ، وان تدخل البوليس ووسائل التحرش هى فى خدمة الأغراض الاستعمارية الانجليزية(٨٦) ٠

ويرسل الوفد مكرم عبيد الى لندن لعرقلة جهود الوفد الرسمى برياسة عدلى ، وينال مكرم كل تأييد ومساعدة من الطلبة بانجلترا ، فلقد أقامت الجمعية المصرية بلندن حفلة تكريم لمكرم حضرها ممثلو الجمعيات فى ماشستر وبرمنجهام واكسفورد وكامبردج وبلغ عـدد الحاضرين ٨٠ مصريا ، وخطب فيهـم مكرم مبينا ميـــول الوزارة الحقيقية ازاء مشروع ملنر ، وأظهر ماتمارسه من ضغط وتحريضات ضد زغلول ، ونادى الجميع بحياة سعد وسقوط الوفد الرسمى ، وحاول أعضاء سكرتارية عدلى مقاطعة الخطيب ، ولكن المجتمعين تمكنوا من اسكاتهم ، وفى اليوم التالى اجتمعت الجمعية ، وقررت الثقة المطلقة لسعد باشـــا ، كما أن جمعيتى مانشستر وبرمنجهام أيدتا مكرم فى خطابه مستنكرين المفاوضات مع عدلى باشا(٨٧) ٠

وبعد أن تعرضت الجمعيات بصفة عامه لعدم شرعية الوفد

الرسمى تتعرض أيضا لمفاوضات عدلى ، ذاتها وحول مضمونها واساسياتها ·

فتصدر الجمعية المصرية بباريس بيانا حول المفاوضة وتتساءل هل يرضى أبناء مصر أن يعيشوا غرباء فى بلادهم ، تحت رحمة الأجنبى ومقدار كرمه فى تفسير مايريده من الضمانات ؟ هل يبيع أبناء مصر كرامة أجدادهم وآبائهم وشرف قومهم ووطنهم وتراث ابنائهم وأحفادهم ، نظير التمتع بقليل من حكم أنفسهم بأنفسهم ، وحتى هذا القليل عرضة للزوال بحجة الضمانات وحفظ مصالح الأجانب ، هل يرضى المصريون بسلخ السودان عنهم وهو مصدر حياتهم نظير الوعد باعطائهم مايكفيهم من المياه ؟ هل يتطوع أبناء مصر بأرواحهم وأموالهم وبطرق مواصلاتهم وموانئهم وغذائهم خدمة للسياسة البريطانية كلما هبت العراق أو الهند لتحرير بلادهما ؟ أو كلما اشتبكت انجلترا فى حرب ؟ هل يرضى المصريون بوضع مالية بلادهم وتشريعاتها وأنظمتها الادارية تحت تصرف المعتمد البريطانى ضمانا لصالح الأجانب ؟ وتنتهى بأن كل ذلك هو مايدعو اليه الاتفاق الحالى مع انجلترا وأن الواجب يقتضى الاعتراف باستقلال مصر أولا ثم تكون المفاوضات بعد ذلك حول الضمانات ، وتدعو الشعب للوقوف كتلة واحدة للمطالبة بحقوقه كاملة وأكدت أنه لامفاوضة ولا اتفاق ولاتحالف ، حتى تجلو الجنود الانجليزية عن الأراضى المصرية والسودانية(٨٨) ·

وترى الجمعية المصرية بانكلترا وايرلندا ، أن الوقت قد حان للأمة لتعمل ضد الخارجين عليها الذين يحاولون ادخال مشروع ملنر على البلاد ، مرتديا رداء الاستقلال التام ، وماهو باستقلال ، فعلى المصريين أن يحذروا من ذلك ، وليعلموا أن المفاوضين الرسميين متساهلون كل التساهل ، وأنهم قد قبلوا اغلب اقتراحات اللورد ملنر

ومن أهمها تقييد السياسة الخارجية بما يجعل مصر داخل دائرة الستر تشرشل المرنة ، وتدعو الطلبة للالتفاف حول سعد ومواصلة العمل «لأن الحركة ان خرجت من أيدى الشبيبة همدت وانقلبت من المطالبة بالاستقلال التام الى المطالبة باستقلال كاذب مشوه ، مثل مشروع ملنر الذى يوطد الحماية ٠٠ » ، وتحذر من الاستماع الى أكاذيب المأجورين « واننا لانشرفهم بذكر اسمائهم فقد ظنوا أن ثقتنا بوكيل الأمة مثل ثقتهم بأنصار الحماية ، فرق والله عظيم ، فاننا نثق بسعد لمبدئه وجهاده الوطنى العظيم ، وهم يثقون أو يدعون الثقة بالوفد الرسمى لاشباع بطونهم وشهواتهم ٠ ٠» وتختم الجمعية بيانها بالاحتجاج على منع سعد من زيارة أقاليم مصر ، وتدبير سفك دماء الأبرياء ، وبحياة الاستقلال التام لمصر والسودان ووكيل الأمة والطلبة والرجال العاملين(٨٩) ٠

وازاء فشل المفاوضات بين الوفد الرسمى والحكومة الانجليزية ، توضح الجمعية المصرية بتولوز فى ١٨ ديسمبر ١٩٢١ معالم الطريق بعد ذلك – فلامفاوضة ولااتفاق قبل اعتراف بريطانيا باستقلال وادى النيل استقلالا حقيقيا ، لاتعكر صفاءه الجنود الانجليزية ولاتشوبه مراقبة أجنبية ، لامفاوضات فى ضمانات قبل الغاء الحماية الغاء دوليا لا اسميا ٠ وتخاطب أبناء النيل بأنها تفضل الحالة الموجودة ، عن الدخول فى مفاوضات لاتصان فيها كرامتها ، فيلكفى « ماتلقيناه من سياسة المفاوضة ولنتعظ بما تعانيه ارلندا الآن من الانقسام نتيجة للدخول فى المفاوضة قبل الاعتراف بأمانيها القومية وحقها المهضوم ٠٠ اننا نطلب رد حقوق اكتسبناها بدماء شبابنا واغتصبتها منا يد القوة ٠٠ » وتدعو الأمة للاتحاد خلف سعد(٩٠) ٠

وعند رحيل عدلى من لندن يتظاهر ضده الطلبة ، وهتفوا بسقوطه وكان عددهم قليلا وطردهم أحد مفتشى البوليس خارج

المحطة(٩١) ـ وربما كانت قلة العدد راجعة الى تنظيم التوديع ، أو الاكتفاء بفشل المفاوضات ـ ولكن الثابت كما سبق أن الطلبةالمصريين كانوا ضد المعتدلين الذين مثلهم عدلـــى على رأس وفد للتفاوض بلندن(٩٢) ٠

نفى سعد زغلول الى سيشيل :

قامت السلطات البريطانية بنفى سعد وصحبه فى ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ الى عدن ومنها الى سيشيل فى مارس ١٩٢٢ وظلوا منفيين بها ، ونقل سعد الى جبل طارق مراعاة لصحته فى ١٨ أغسطس ١٩٢٢(٩٣) ٠

واذا كان نفى سعد زغلول كان له صداه العميق فى داخل القطر فانه لم يكن بالحادث الهين أمام الطلبة المصريين بالخارج ، فهو قائد الثورة ، ولقد خاضوا فى سبيله المعركة ضـــد الحكومة عندما نادوا بسقوط الوفد الرسمى ، وتمثلت حركتهم فى هذه الناحية فى صورة احتجاجات على نفى ســـعد ، ومخاطبة الرأى العـــام المصرى والانجليزى والأوروبى بصفة عامة ، ازاء هذا الحدث وذلك باشكال وأساليب مختلفة ٠

فتبرق جمعيات لندن وايرلندا وروما الى الصحف المصرية بالاحتجاج على أى وزارة تشكل قبل عودة زغلول باشا وصحبه ، والغاء الأحكام العرفية واطلاق سراح المسـجونين الســياسيين ، وسحب اقتراحـــات اللورد كيرزن ومذكـــرة اللورد اللنبى(٩٤) ٠ فالقضية من وجهة نظر هؤلاء الطلبة متكاملة وأن اطلاق سراح سعد جزء من كل وهى نظرة شاملة ، وترسل الجمعية المصرية بمنشستر الى المصريين بأنه حرام عليهم ملذات الحياة وزخرفها وسعد سجين ،

ويطلبون من الطلبة المصريين الصبر ، فهم جنود سعد و « أنا معكم فلتثابروا على سعيكم السلمى ، ولقد أبوا على جهودكم المشروعة ، فمصر تناديكم والفراعنة يرقبونكم والتاريخ يحاسبكم ، والمستقبل بعد الله بأيديكم وهو لكم ٠٠ » (٩٥) ، وتطلب منهم الجمعية المصرية بتولوز التضامن لانقاذ الوطن ، والالتفاف حول بطل الاســـتقلال وزعيم النضهة » الذى أبعدوه عنكم ليخلوا الجو لخصومه وخصومكم فيفرقوا صفوفكم ويهدموا بنيانكم ويقودكم الى الهاوية باسم الوطنية فى سبيل الاستقلال ٠٠ »(٩٦) ٠

ويؤلف أعضاء الجمعية بلندن فى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ مظاهرة بالمركبات ليلفتوا الانظار الى الحالة فى القطر المصرى ، ولقد استقل المتظاهرون ٢٢ مركبة وهم مؤلفون من الطلبة المصريين فى جامعة لندن وجامعات الأقاليم ، ولقد بدأ موكبهم من فندق بيدنور ثم طافوا فى جهة فليت ستريت ، حيث ســــاروا من طريق هـولبورن واكسفورد ستريت الى هايدبارك ، وكانت الأعلام تخفق على عـدة عربات ونقش عليها « مصر للمصريين » نطلب الافراج عن زغلول باشا(٩٧) ٠

وتخاطب الجمعية المصرية بشفيلد الشعب الانجليزى ، مهيبة به أن يستخدم ارادته ، ليضع حدا لهذه المأساة ، التى تمثل الآن فى مصر والتى تكابد الأمة ساعات هوان من أجل نفى سعد ورفاقه ، وليوطدوا أركان العلاقات السلمية على قواعد يقبلها الشعب الذى يقطن مصر العريقة ، وتؤكد أن ماقدمته مصر أثناء الحرب من رجال ومؤن ومواصلات ومستشفيات ، كان لتحطيم المبدأ القائل بأن القوة هى الحق ، وأن النفى والاعتقال والقوة العسكرية لن تخرس ألسنة المصريين فى المطالبة باستقلالهم ولن تثنى مصر عن عزمها(٩٨) ٠

وتتسع دائرة الاحتجاج الى الرأى العام بالعـــالم المتمدين فيطلب منه المصريون بمونبليه المساعدة ويطلبون من ذوى الصــوت المسموع ، أن يؤازروا أصواتهم ، ويتساءلون عن عمل تلك العصبة للأمم هل ستتركهم طويلا تحت ضغط الغاصبين ، وهل ستقيم البرهان على وجودها الفعلى ، وعلى أن المبادىء التى تنشرها وتؤيدها ليست ضربا من الوهم والخيال ؟(٩٩) ٠

شروط ثروت لتاليف الوزارة :

بعد استقالة عدلى خلا مركز الوزارة اكثر من شهرين واحجم المستوزرون عن قبول تاليف الوزارة بعد التبليغ البريطانى فى ٣ ديسمبر ١٩٢١ وما اثارة من سخط الرأى العام ، وفوتح عبد الخالق ثروت فى تولى الوزارة فاشترط لذلك عدة شروط سبق الاشــــارة اليها ٠

ولقد هاجم الوفد هذه الشروط باعتبارها أغفلت الجلاء وهو الأساس للقضية(١٠٠) وباعتبار أن هذه الشروط نوع من المهادنة مع الاحتلال ، وهو مايرفضـــه الطلبة بالخـــارج ، فتتعرض الجمعية المصرية بباريس لهذه الشروط ، وتذكر أن الأهمية الكبرى لبعض هذه الشروط ، مرهونة باوقات تنفيذها ، وتضرب لذلك عدة أمثلة كالشرط التاسع فشتان بين نتيجة هذا الشرط لو نفذ قبل تربعه فى الوزارة ، ونتيجته لو لم ينفذ الا بعد سعيه وهو وزير ، أما الشرط الثالث فان عبارة « بداءة ذى بدء » لاتعنى زمنا محددا ، ترى هل تعنى أن تصبح مصر مستقلة أمام الدول قبل استلامه الوزارة ؟ أم فى عهد وزارته ؟ او يكون ذلك شرط من شروط المعاهدة ؟ كما ورد فى الشرط التاسع كلمة « السعى » فالسعى لايبت فى النتيجة ومصر تريد النتيجة مضمونة لامعلقة ، فضلا عن تعليق الشرط فى قوله ، «اعتمادا

على حسن موقف الأمة » وفي ذلك اعتراف ضمني بأن سوء موقف الأمة ، هو الذي أدي الى النفي والاعتقال وبسط الأحكام العرفية ، « والأمة تربأ بنفسها عن تلك التهمة الشنعاء ، كما أنها قد سبق أن اعلنت اعتبارها النفي والاعتقال سبة واهانة لها ، ولذلك أصرت على أن يكون الغاء الأحكام العسكرية والافراج عن المعتقلين وارجاع المنفيين شرطا من الشروط الأساسية لقبول تأليف الوزارة ، وكذا تصر الجمعية على رفع الرقابة عن الصحف مع الغاء سائر القوانين الاستثنائية . وهذا أقل مايرجى من بريطانيا برهـــانا عمليا على عدولها عن خطتها السابقة ، ثم ان العبارة التى ذكرت بخصوص السودان لاتقنع أماني الأمة التى قالتها وأكدتها ‥ »(١٠١) ·

تصريح ٢٨ فبراير :

تحت الضغط الوطني عاد اللنبي ومعه تصـــريح ٢٨ فبراير لمصر ، ونظرا لأن التصريح يعتبر قبوله قبولا لسياسة المهادنة ، فلقد رفضه الطلبة المصريون بالخارج أيضا ·

فتصدر الجمعية المصرية بتولوز بيانا حول بنود هذا التصريح قالت في مستهله أن الناس قد أعتقدت أن مصر بعد التصـــريح قد استقلت ودخلت في مصاف الدول المستقلة ، رغم ماجـــاء فيه من تحفظات ، وهو مادعا الجمعية الى توضيح ماخفى من سوء نيات السياسة البريطانية الاستعمارية للرأى العـــام ، فعقدت اجتماعا سياسيا في ١٦ مايو ١٩٢٢ دعت اليه المسيو شارل موريس بلليه الذى القى كلمة ، كما القى عبد الحميـد البابا ســكرتير الجمعية المصرية كلمة فند فيها تصـــريح ٢٨ فبراير ، وماحواه من قيود وتحفظات ذهبت بقيمته والعبارات المبهمة التى اختارتها الحكومة

الانجليزية ، مما يدل على عدم استعدادها لتسوية المسألة المصرية تسوية حقيقية ، ونادى البيان بايقاف الأجراءات الاستثنائية ، وعودة سعد زغلول الى مصر وجلاء الانجليز عن وادى النيل من منبعه الى مصبه جلاء كاملا(١٠٢) ٠

وتنشر لجنة الدفاع الوطنى بالمانيا تقريرا عن التصـــريح ، فتوضح اساسيات الاستقلال وتعددها وتلخصها فى أن يكون أمـــر الوادى فى يد ابنائه ، وأن بريطانيا قصدت بالتصريح تثبيت مركزها الفعلى الباطل واضفاء صفة الشرعية عليه ، فلقد « اعترفت انجلترا بالاستقلال ونفته فى آن واحد » ، فلها حق حفظ المواصلات ، وهذا الشرط يجعل جميع مرافق البلاد الحيوية تحت يدها ، وقناة السويس تكون تحت تصرفها ، ولها حق استعمالها وقت الحرب ، وحق حماية الأقلية ، فلها اذن السلطة التامة فى التدخل فى تشـــريع البلاد ، وحفظ حقها فى السودان أى سلخ السودان عن مصر ، وتصرفها فى مياهه كيف شاءت ٠ فاستقلال مصر ماهو الا حماية صريحة ٠٠ ، وان الاستقلال لايتأتى الا بجلاء الأجنبى عن وادى النيل وأن تكون الأنشطة الاقتصادية المختلفة فى أيدى المصريين(١٠٣) ٠

وينعقد مؤتمر الطلبة بناء على دعوة لجنة الدفاع الوطنـــى بالمانيا بالنادى الشرقى ببرلين فى الفترة من ١٨ سبتمبر الى ٢٠ سبتمبر ١٩٢٢ وحضره ممثلو جمعيات فرنسا ، سويسرا ، بلجيكا ، انجلترا ، المانيا ، النمسا ، ايطاليا ٠٠ وبحث المؤتمر الحالة الحاضرة وخصوصا اعلان ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ولقد وافق الحاضرون على ٣٣ بندا أهمها :

١ ـ يقرر المؤتمرون أن المقصود بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ،

هو ضم مصر والسودان وملحقاتهما الى ممتلكات الدولة البريطانية واستعباد المصريين الى الأبد ·

٢ ــ أن من حق الأمة المصرية دون غيرها التفاوض فى الغاء الامتيازات الأجنبية ·

٣ ــ السودان جزء لايتجزأ من مصر ·

٤ ــ يتمسك ويؤكد المؤتمر حيدة قناة السويس بناء على معاهدة ١٨٨٨ ·

٥ ــ ان حياد القناة يستدعى استقلال مصر وحيدتها ·

٦ ــ ليس لانجلترا أى امتياز على الدول الأخرى ، طبقا للمعاهدات الدولية الخاصة بمصر والسودان ·

٧ ــ أن عقد أية معاهدة مع الدولة المحتلة ، من شأنه انتقاص من مصر والسودان وملحقاتهما ، تعتبر لاغية ولاتلتزم بها الأمة المصرية ·

٨ ــ المؤتمر يقرر أن لامفاوضة ولامحالفة ولا اتفاق مع انجلترا ، مادام على أرض النيل عسكرى انجليزى واحد ·

٩ ــ يحتج المؤتمر على استمرار الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية ، واستخدام العنف فى اضطهاد ونفى الوطنيين وخنق حرية الصحف والاجتماع ·

١٠ ــ يلقى المؤتمر تبعة مايحصل بمصر اليوم على الوزارة الحاضرة ويرى وجوب استقالتها ·

١١ ــ دعوة الأمة الى الامتناع عن الاشتراك فى الانتخابات البرلمانية المقبلة ، لأن هذا البرلمان جزء من مشروع ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ·

١٢ ـ المثابرة على العمل لاستقلال مصر والسودان وملحقاتهما استقلالا تاما ٠

١٣ ـ أن يسحب المصريون النقود من المصارف الانجليزية ويضعوها في مصارف مصرية ٠

١٤ ـ لفت نظر الشعب الى نشر التعليم ، ونشر مدارس الشعب بكل الطرق الممكنة ولو فى الجوامع والكنائس والبيوت ، والاكثار من الارساليات الأهلية الى أوربا وأمريكا للتخصص فى المسائل الهامة ٠

١٥ ـ حث الأمة على تاليف النقابات على اختلاف أنواعها وتعميمها ٠

ويوصى المؤتمر الأمة المصرية بأن تتمسك بحقها كاملا ، وتصبر على مايصيبها من الاضطهاد والشدة ، وتعمل بجد وصبر لايعرف الملل حتى تفوز باستقلالها الحقيقى المنشود ٠

١٦ ـ تاليف لجنة سياسية تعمل وفقا لما قرره المؤتمر ، وتسعى بكل مافى جهدها لتنفيذ هذه القرارات ٠

١٧ ـ تكليف رئيس المؤتمر يحى احمد الدرديرى بتبليغ هذه القرارات الى الرأى العام المصرى والغربى ٠

وتشير الأفكار الى أن هناك مزيدا من هذه القرارات ولكن يمنع نشرها الرقابة المفروضة على الصحف(١٠٤) ٠

هوامش الفصل الرابع

(١) وادى النيل ١٩ أغسطس ١٩١٩ .

(٢) نفس المصدر ٢٨ مايو ١٩١٩ .

(٣) نفس المصدر ٢٢ أغسطس ١٩١٩ .

(٤) رفعت السعيد : تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ ١٩٢٥ ، ص ٢١٨ .

(٥) محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد القاهرة ١٩٢١ ص ٣٢ وادى النيل ٢٢ أغسطس ١٩١٩ .

(٦) وادى النيل ٢٢ أغسطس ١٩١٩ .

(٧) محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ص ١٧ .

(٨) وادى النيل ٢٧ أغسطس ١٩١٩ .

(٩) الطليعة مارس ١٩٦٩ ، وادى النيل ١٩ أغسطس ١٩١٩ .

(١٠) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى ، القاهرة ١٩٢٠ ص ٣٠

(١١) محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ص ٢٠ .

(١٢) نفس المرجع ص ٢٠ .

(١٣) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى ص ٣٠ .

(١٤) محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ص ٢٣ ، ٢٤ ، رفعت السعيد : المرجع السابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(١٥) وادى النيل ١٩ أغسطس ١٩١٩ .

(١٦) محمود أبو الفتح : المرجع السابق ص ١٤٨ .

(١٧) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى ص ٢٥ ــ ٢٨ .

(١٨) محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ص ٢٦ ، ٢٧ ، مع الوفد المصرى ص ٢٥ ــ ٢٨ ، الطليعة مارس ١٩٦٩ .

(١٩) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ــ ٢٧ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٢٠) عبد العزيز رفاعى : ثورة ١٩١٩ ص ١٦٣ .

(٢١) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى ص ٨٢ ، ٨٣ ، المسألة المصرية والوفد ص ٢٨ .

(٢٢) وادى النيل ١٩ أغسطس ١٩١٩ .

(٢٣) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى ص ٨٢ ــ ٨٤ .

(٢٤) محمود أبو الفتح : المرجع السابق ص ٨٤ ــ ٨٧ ، المسألة المصرية والوفد ص ٤٠ .

(٢٥) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى ص ٨٦ .

(٢٦) وادى النيل ٢٦ يونيو ١٩١٩ .

(٢٧) نفس المصدر : ١٧ مايو ، ٦ أغسطس ١٩١٩ .

(٢٨) الأفكار ٢٥ ديسمبر ١٩١٩ .

(٢٩) محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ص ١٤٩ ، ١٥٨ .

(٣٠) نفس المرجع : ص ٣٧ ــ ٤٠ .

(٣١) الأهالي ٢٧ مارس ١٩٢١ .

(٣٢) الأفكار ٢٥ ديسمبر ١٩١٩ .

(٣٣) عباس العقاد : سعد زغلول ، ص ٢٧٥ .

(٣٤) محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣٥) عبد الرحمن فهمي : المذكرات محفظة رقم ٢ ، ملف ٩ ، ص ٧١١ ، ٧١٦ .

(٣٦) وادي النيل أول فبراير ١٩٢١ .

(٣٧) نفس المصدر ٢٤ أغسطس ١٩١٩ .

(٣٨) نفس المصدر ٢ سبتمبر ١٩٢١ .

(٣٩) نفس المصدر ١٩ أكتوبر ١٩١٩ .

(٤٠) نفس المصدر ٣ ديسمبر ١٩١٩ .

(٤١) الأفكار ١٠ ديسمبر ١٩١٩ .

(٤٢) الأهالي ١١ مارس ١٩٢٠ .

(٤٣) الأفكار ١٩٢٠/١/٢٦ ، وادي النيل ، الأهالي ١٩٢٠/١/٢٨ .

(٤٤) عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩ جـ ٢ ، الطبعة الاولى ص ١١٥ .

(٤٥) أحمد شفيق : الحوليات تمهيد جـ ١ ، ص ٧٠٥ .

(٤٦) الأفكار ، وادي النيل ٢٩ يونيو ١٩٢٠ .

(٤٧) مصر ١٦ سبتمبر ١٩٢٠ .

(٤٨) الاهالي ٢٦ أكتوبر ١٩٢٠ .

(٤٩) نفس المصدر ٢٤ ديسمبر ١٩٢٠ .

(٥٠) نفس المصدر ١١ أكتوبر ١٩٢٠ .

(٥١) وادى النيل ١٢ سبتمبر ١٩٢٠ .

(٥٢) الأهالى ١٢ أكتوبر ١٩٢٠ .

(٥٣) نفس المصدر ٢٧ ديسمبر ١٩٢٠ .

(٥٤) مصر ٣٠ سبتمبر ١٩٢٠ .

(٥٥) الأهالى ٧ ، ٢٨ أكتوبر ١٩٢٠ .

(٥٦) جمهورية مصر : القضية المصرية ص ٨٨ .

(٥٧) الأهالى ٢٨ أكتوبر ١٩٢٠ .

(٥٨) نفس المصدر ٢٨ أكتوبر ١٩٢٠ ـ (مزيد من التفاصيل الأهالى ٢٧ ـ ١٩١٩/١٢/٣١) .

(٥٩) نفس المصدر ٢ ديسمبر ١٩٢٠ ، مصر أول ديسمبر ١٩٢٠ .

(٦٠) نفس المصدر والتاريخ ، نفس المصدر ولتاريخ .

(٦١) محمد فريد : المراسلات ، الظروف الـ ٢٧ ، من محمد الدين ناصف الى محمد فريد .

(٦٢) الطليعة مارس ١٩٦٩ .

(٦٣) الأهالى ٢١ أكتوبر ١٩٢٠ .

(٦٤) رفعت السعيد : تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ ١٩٢٥ ص ١١٩ ، طلائع الفكر الاشتراكى فى مصر ، ص ١٩ .

وعبد لخالق لاشين : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ، الطليعة مارس ١٩٦٩ .

(٦٥) الطليعة مارس ١٩٦٩ .

(٦٦) سعد زغلول : المذكرات الكراسة ٣٩ ، ص ٢٣١٠ ـ ٢٣١٢ .

(٦٧) محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ٢٥٢ .

ورفعت السعيد : طلائع الفكر الاشتراكى ص ٢١ ، تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ ٢٥ ، ص ١٢٠ .

(٦٨) رفعت السعيد : طلائع الفكر الاشتراكية فى مصر ، ص ٢٠ .

ومحمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ، ص ١٢٧ .

(٦٩) محمود أبو الفتح : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٧٠) عبد الخالق لاشين : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(٧١) سعد زغلول : المذكرات الكراسة ٣٩ ، ص ٢٣٧٢ .

(٧٢) رفعت السعيد : طلائع الفكر الاشتراكى ، ص ٢١ ، تاريخ الحركة الاشتراكية ـ ٢٥ ، ص ٢٧٩ .

(٧٣) عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ، ص ٣١٦ ـ ٣٢٠ .

(٧٤) أحمد شفيق : الحوليات ، تمهيد جـ ٢ ، ص ٣١٠ ـ ٣١٣ .

(٧٥) نفس المرجع ، ص ٣١٥ .

(٧٦) عباس العقاد : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

(٧٧) الأهالى ، وادى النيل ١٣ يوليو ١٩٢١ .

(٧٨) وادى النيل ٢٢ يوليو ١٩٢١ .

(٧٩) الأهالى ١٤ يوليو ١٩٢١ ، الأفكار ١٥ يوليو ١٩٢١ .

(٨٠) الأفكار أول أغسطس ١٩٢١ .

(٨١) وادى النيل ٩ يوليو ١٩٢١ .

(٨٢) الأفكار ٢١ يوليو ١٩٢١ .

(٨٣) نفس المصدر ١٥ يوليو ١٩٢١ .

(٨٤) نفس المصدر ٢٥ يوليو ١٩٢١ .

(٨٥) وادى النيل ٨ نوفمبر ١٩٢١ .

(٨٦) نفس المصدر ١٦ نوفمبر ١٩٢١ ، الأهالى ٢٤ اكتوبر ١٩٢١ .

(٨٧) وادى النيل ١٧ أغسطس ١٩٢١ .

(٨٨) الأفكار ٢٦ أغسطس ١٩٢١ .

(٨٩) وادى النيل ٢ نوفمبر ١٩٢١ .

(٩٠) نفس المصدر ٧ يناير ١٩٢٢ .

(٦١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٤٣٠ .

(٦٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقـــاب الثـورة الجـــزء الاول ، الطبعة ٣ ، ص ٢٧ .

(٩٣) نفس المرجع والصفحة .

(٩٤) النظام ٢٠ يناير ، ٦ فبراير ، وادى النيل ٢١ يناير ١٩٢٢ .

(٩٥) النظام ٣ فبراير ١٩٢٢ .

(٩٦) وادى النيل ١٦ فبراير ١٩٢٢ .

(٩٧) نفس المصدر ١١ يناير ١٩٢٢ .

(٩٨) نفس المصدر والتاريخ .

(٩٩) نفس المصدر ٦ يناير ١٩٢٢ .

(١٠٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(١٠١) وادى النيل ١٩٢٢/٣/١ .

(١٠٢) النظام ١ يونيو ١٩٢٢ .

(١٠٣) نفس المصدر ٢٣ نوفمبر ١٩٢٢ .

(١٠٤) الأفكار ٢٩ سبتمبر ١٩٢٢ .

المصـــادر

● أولا ـ المصادر العربية

(أ) وثائق غير منشورة

١ ـ مذكرات سعد زغلول ـ دار الوثائق

٢ ـ مذكرات عبد الرحمن فهمى ـ دار الوثائق

٣ ـ مراسلات محمد فريد ـ دار الوثائق

(ب) وثائق منشورة

٤ ـ جمهورية مصر : القضية المصرية ـ ١٨٨٢ ـ ١٩٥٤

٥ ـ الاهرام : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ـ القاهرة ١٩٦٩

٦ ـ أوراق المؤتمر الأول لقيادات طلاب مصر ـ ١٩٧٥

٧ ـ مجموعة خطب وأحاديث وبيانات وترجمة حياه حضرة صاحب المعالى رئيس الوفد المصرى سعد زغلول باشا ، مطبعة الفنون الوطنية ـ القاهرة

(جـ) القضايا السياسية :

٨ ـ قضية مقتل السردار الجنائية رقم ١١٠ لسنة ١٩٢٤ ، المتحف القضائى ـ القاهرة ٠

(د) المذكرات :

٩ ـ حافظ رمضان : ذكريات المعارك فى الصحافة والسياسية والفكر ـ ١٩١٩ ـ ١٩٥٢ ، القاهرة ١٩٦٩

١٠ ـ عبد الرحمن الرافعى : مذكراتى ١٨٨٩ ـ ١٩٥١

١١ ـ عبد العزيز فهمى : هذه حياتى ـ كتاب الهلال (١٤٥) القاهرة

١٢ ـ فخر الدين الاحمدى الظواهرى (الدكتور) السياسة والازهر ـ القاهرة ١٩٤٥

١٣ ـ عبد الوهاب النجار : مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار منشور بجريدة البلاغ يونيو ١٩٢٣

١٤ ـ فكرى اباظة : الضاحك الباكى كتب للجميع العدد الثانى ، القاهرة

١٥ ـ عبد الفتاح عنايت : قصة كفاح ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة

١٦ ـ محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، الجزء الأول ـ القاهرة ١٩٥١ ٠

١٧ ـ محمد الخضرى : مذكرات الشيخ محمد الخضرى ، منشورة بجريدة البلاغ ـ مارس ١٩٢٣ ٠

١٨ ـ محمد شكرى الكرداوى : خمسة وخمسون شهرا فى مخبأ ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٦ ٠

١٩ ـ محمد كامل سليم : ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ، كتاب اليوم القاهرة ـ مايو ١٩٧٥ ٠

٢٠ ـ محمد كامل سليم : صراع سعد فى أوربا ، كتاب اليوم القاهرة يونيو ١٩٧٥ ٠

٢١ ـ محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى، القاهرة ١٩٢٠ ٠

٢٢ ـ محمود أبو الفتح : المسألة المصرية والوفد ، القاهرة ـ ١٩٢١ ٠

٢٣ ـ يوسف نحاس ، الدكتور : صفحة من تاريخ مصر السياسى الحديث ـ مفاوضات عدلى / كيرزن ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥١ ٠

(هـ) التراجم

٢٤ ـ أحمد بيلى (الدكتور) : عدلى باشا أو صفحة من تاريخ الزعامة بمصر ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٢٢ ٠

٢٥ ـ عباس حافظ : مصطفى النحاس أو الزعامة والزعيم القاهرة ١٩٣٦ ٠

٢٦ ـ عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، القاهرة ١٩٣٦ ٠

٢٧ ـ قدرى قلعجى : سعد زغلول رائد الكفاح الوطنى فى الشرق العربى القاهرة ١٩٤٦ ٠

(و) الرسائل الجامعية الغير منشورة

٢٨ ـ أحمد فريد على : العلاقات المصرية الانجليزية واثرها فى تطور الحركة الوطنية فى مصر ـ ١٩١٤ ـ ١٩٥٢ ، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٠ ٠

٢٩ ـ عبد الصبور مرزوق : أدب ثورة ١٩١٩ رسالة دكتوراه اداب القاهرة ٠

٣٠ ـ يوسف خليل جاد الله : تطور الحركة القومية فى مصر ١٨٨٢ـ١٩١٩ رسالة دكتوراه،أداب القاهرة ١٩٥٧ ٠

(ر) الابحاث والدراسات

٣١ ـ احمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ـ الطبعـــة الثالثة القاهرة ١٩٦٧ ٠

٣٢ ـ أحمد شفيق باشا : حوليات مصر السياسية ، تمهيد الجزء الاول القاهرة ١٩٢٦ ٠

٣٣ ـ أحمد شفيق باشا : حوليات مصر السياسية ، تمهيد الجزء الثانى القاهرة ١٩٢٧ ٠

٣٤ ـ أحمد فريد على (الدكتور) : كفاح الشباب وظهور جمال عبد الناصر ، كتب قومية القاهرة ٠

٣٥ ـ أمين سعيد : تاريخ مصر السـياسى منذ الحملـة الفرنسية ١٧٩٨ حتى انهيار الملكية ١٩٥٢ ، المجلد الثانى عشر من تاريخ العرب السياسى والحديث ٠

٣٦ ـ أنور الجندى : الصحافة المصرية فى مصر منذ نشاطها الى الحرب العالمية الثانية ـ القاهرة ١٩٦٢

٣٧ ـ حافظ محمود : اسرار الماضى ـ ١٩٠٧ ـ ١٩٥٢ فى السياسة والوطنية ـ القاهرة روز اليوسف ١٩٧٣ ٠

٣٨ ـ حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر

٣٩ ـ حسين مؤنس (الدكتور) : دراسات فى ثورة ١٩١٩ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٦ ٠

٤٠ ـ جلال يحيى (الدكتور) : أصول ثـورة ٢٣ يوليو ، القاهرة ١٩٦٥ ٠

٤١ ـ جلال يحيى (الدكتور) : العالم العربى بين الحربين ،

٤٢ ـ رفعت السعيد (الدكتور) : تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ـ١٩٢٥،دار الثقافة الجديدة ١٩٧٥ ٠

٤٣ ـ رفعت السعيد (الدكتور) : طلائع الفكر الاشتراكى عصام الدين حفنى

٤٤ ـ سعيد اسماعيل على (الدكتور) : المجتمع المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ ٠

٤٥ ـ سيد قنديل : ثورة ١٩١٩ ـ القاهرة ١٩٥٢ ٠

٤٦ ـ شحاتة عيسى ابراهيم : الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر كتب قومية ، القاهرة ١٩٦٥ ٠

٤٧ ـ شهدى عطية : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ ـ الطبعة الاولى ، الدار المصرية للكتب ـ القاهرة ١٩٥٧

٤٨ ـ عاصم أحمد الدسوقى (الدكتور) : كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ ـ ١٩٥٢ الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٥

٤٩ ـ عبد الخالق لاشين (الدكتور) : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، ١٩١٤ ـ ١٩٢٧ ، الطبعة الاولى بيروت ١٩٧٥ ·

٥٠ ـ عبد الرحمن : ثورة ١٩١٩ ، تاريخ مصر القومى ١٩١٤ ـ ١٩٢١ جزء أول وثان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٨ ·

٥١ ـ عبد الرحمن الرافعى:فى أعقاب الثورة المصرية الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٩ ·

٥٢ ـ عبد العزيز رفاعى (الدكتور) : ثورة مصر سنة ١٩١٩ دراسات تاريخية تحليلية ١٩١٤ ـ ١٩٢٣ ـ الطبعة الاولى ، دار الكاتب العربى القاهرة ١٩٦٦ ·

٥٣ ـ عبد العزيز رفاعى (الدكتور) : الكفاح الشعبى فى مصر الحديثة ، سلسلة كتب قومية القاهرة ·

٥٤ ـ كلية الآداب ج الاسكندرية : داسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، (محاضرات) ·

٥٥ ـ محمد صبيح : كفاح شعب مصر ـ الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٦ ·

٥٦ ـ محمد طه بدوى ، محمود حلمى مصطفى (الدكتور) :
ثورة يوليو جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية ـ
الطبعة الأولى المكتب المصرى الحديث للنشر ١٩٦٦ ٠

٥٧ ـ محمود سليمان غنام : اضواء على احداث ثورة ١٩١٩
دار الفكر الحديث ـ القاهرة ١٩٧١ ٠

٥٨ ـ مصطفى أمين : الكتاب الممنوع الجــزء الاول ، دار
المعارف ١٩٧٤ ٠

٥٩ ـ مكى شبيكة:بريطانيا وثورة ١٩١٩ المصرية ـ القاهرة
١٩٧٦ ٠

٦٠ ـ ويفل : اللنبى فى مصر ٠

(ز) اللقاءات الشخصية :

لقاء مع عبد الحليم عابدين أحد قيادات الطلبة في ثورة ١٩١٩
فى ١٩٧٦/٦/٢٣ بالقاهرة ٠

(ى) الدوريات :

الوطن ، المقطم ، البلاغ

مصر ، وادى النيل ، الاهرام

الاهالى ، النظام ، الافكار

روز اليوسف ، المصور ، الطليعة

● ثانيا الدراسات الافرنجية

1. Berque, jacques : Egypt imperialism and revolution, London.
2. Chirol Valentine : The Egyptian problem, London, 1920.
3. Elgood, P.G. : Egypt and the Army, Oxford 1924.
4. Iloyd, G. : Egypt since, Cromer Vol. I, London, 1933.
5. Iloyd, G. : Egypt since Cromer Vol· II, London 1934.
6. Marlow John : Anglo-Egyptian relation 1900—1956, London, 1956.
7. Marshall, J. : The Egyptian Enigma, 1890 — 1928, London, 1928.
8. Quraishi Zaheer, M· : liberal nationalism in Egypt, Rise and fall of the Wafd Party, First edition, 1967.
9. Royal institute of international affairs : Great Britian and Egypt 1914 — 1951, London, 1957.
10. Russel, Thomas : Egyptian service 1902 — 1946, first edition, London, 1949·
11. Symons, Travers, M., : Britian and Egypt, The rise of Egyptian nationalism, London, 1925.
12. Vatikiotes P.J. : The Modern History of Egypt,
13. Zayid, Mahmud, Y.,: Egypt's struggle for indepence Firist edition, Beirut, 1965.

الفهـــرس

صـــدر في هذه الســلسلة

١ ـ الأصول التاريخية لمسالة طابا ـ دراســة وثائقية

د • يونان لبيب رزق

٢ ـ مجمع اللغة العربية ـ دراسة تاريخية

د• عبد المنعم الدسوقى الجميعى •

٣ ـ التيــارات الســياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ـ دراسة فى فكر الشيخ محمد عبده •

د • زكريا سليمان بيومى

٤ ـ الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث •

د• محمد كمال يحيى

٥ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « الشيخ حســن المرصفى وكتابه رســالة الكلم الثمان مع النص الكامل للكتاب »

د • احمد زكريا الشلق •

٦ ـ صياغة التعليم المصــرى الحديث ـ « دور القــوى السياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢ »

د • سليمان نسيم

٧ ـ دور مصر في افريقيا في العصر الحديث

د • شوقي عطا الله الجمل :

٨ ـ التطورات الاجتماعية فى الريف المصرى قبل ثورة ١٩١٩ ٠

د٠ فاطمة علم الدين عبد الواحد ٠

٩ ـ المرأة المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥

د ٠ لطيفة محمد سالم ٠

١٠ ـ الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى ين مصر والسودان ـ « دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١ ـ ١٨٤٨ » ٠

د ٠ نسيم مقار ٠

١١ ـ حول الفكرة العربية فى مصر ـ « دراسة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى المعاصر ٠

د ٠ فؤاد المرسى خاطر ٠

١٢ـ صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٧ ـ ١٩١٢ ـ « دراسة تاريخية » ٠

د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠

١٣ ـ الجامعة الأهلية ين النشأة والتطور ٠

د ٠ سامية حسن ابراهيم ٠

١٤ ـ العلاقات المصرية السودانية ١٩١٩ ـ ١٩٢٤ ٠

د ٠ أحمد دياب ٠

١٥ ـ حركة الترجمة فى مصر فى القرن العشرين

أحمد عصام الدين ٠

١٦ ـ مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال أفريقيا ٠

د ٠ عبد الله عبد الرازق ابراهيم ٠

١٧ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « دراسة فى فكر احمد فتحى زغلول » .

د . أحمد زكريا الشلق .

١٨ ـ صناعة تاريخ مصر الحديث ـ « دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى » .

د . حمادة محمود اسماعيل .

١٩ ـ الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ من ملفات الخارجية البريطانية .

د . لطيفة محمد سالم .

٢٠ ـ الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧،١٩٤٨ .

د . عادل حسين غنيم .

٢١ ـ الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣ ـ « جمعية الانتقام » .

د . زين العابدين شمس الدين نجم .

٢٢ ـ قضية الفلاح فى البرلمان المصرى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦ .

د . زكريا سليمان بيومى .

٢٣ ـ فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ ـ ١٩١٤ .

د . حلمى أحمد شلبى .

٢٤ ـ الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا .

د . شوقى الجمل .

٢٥ ـ تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ٠

د ٠ فاطمة علم الدين ٠

٢٦ ـ جمعية مصر الفتاة ١٨٧٩ دراسة وثيقية

د ٠ على شلش ٠

٢٧ ـ السودان فى البرلمان المصرى ـ ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦

د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠

٢٨ ـ عصر حككيان ٠

أ ٠ د / أحمد عبد الرحيم مصطفى ٠

٢٩ ـ المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى

د ٠ سعيده محمد حسنى ٠

٢٩ ـ صغار ملاك الأراضى الزراعية فى مديرية المنوفية ٠

د ٠ حلمى أحمد شلبى

المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى

د ٠ سعيده محمد حسنى